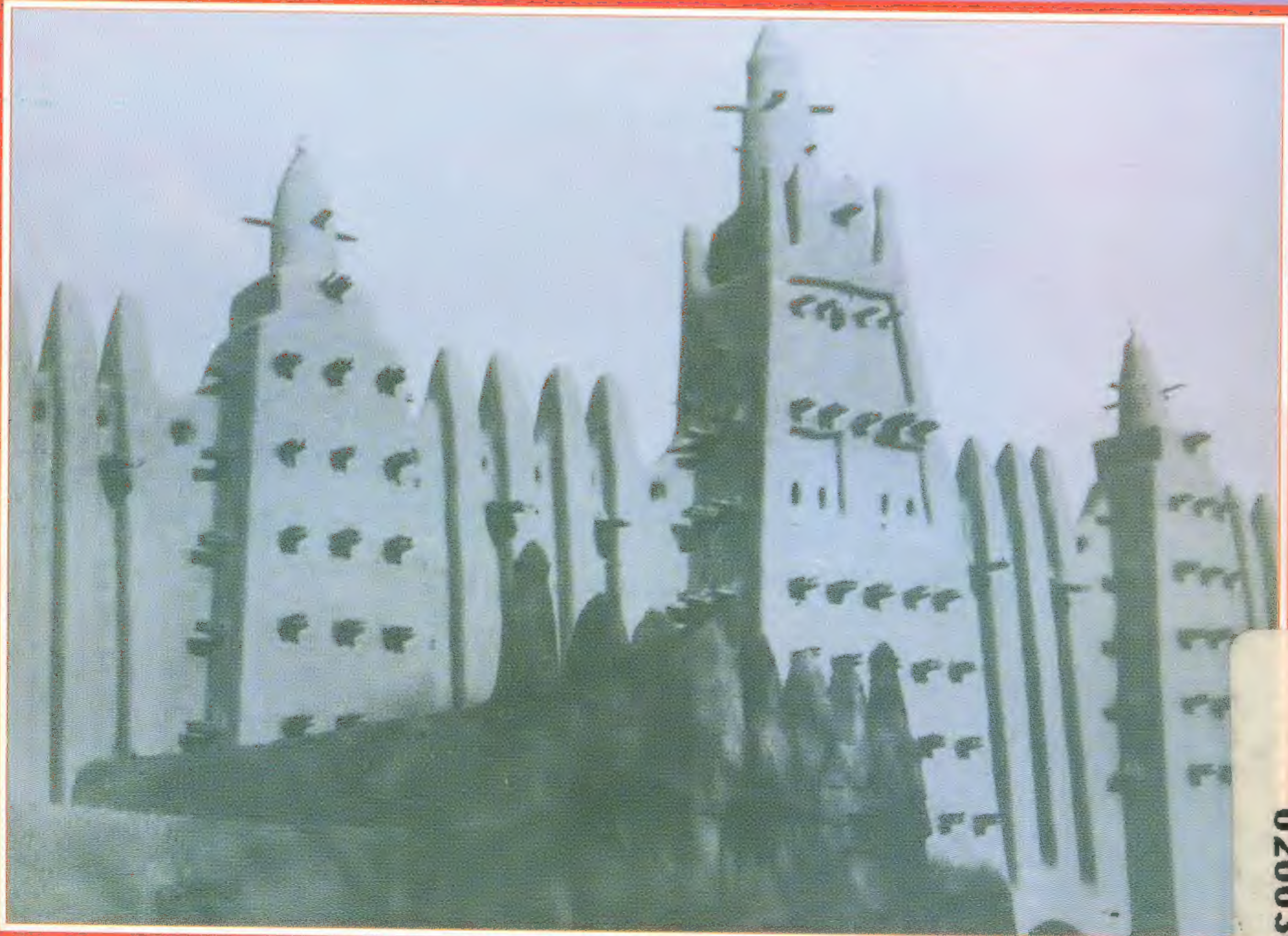


أمطير سعد غيث

# التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي

فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر



0200381

Bibliotheca Alexandrina





# التأثير العربي الإسلامي

في السودان الغربي

فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر



# التأثير الحربي الإسلامي في السودان الحربي

فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر

أمطير سعد غيث

توزيع

دار الرواد

رقم الايداع بدار الكتب الوطنية - بنغازى

96/1937

الطبعة الاولى

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

1996

## الاهـداء

إلى روح والدى العزيز المرحوم الحاج / سعد غيث أحمد  
عثمان ( 1918 - 1996 ف ) ، والذى كان معلمي الأول فى  
التاريخ والاخلاق وحب الوطن.

وإلى والدتي العزيزة أمّـد الله فى عمرها.

إليهما...

حباً واحتراماً ووفاءً

واعترافاً بالجميل.

أبنكما :

أمطير ،،،





## ثبت المحتويات

التأثير العربي الاسلامى فى السودان الغربى فيما بين القرنين الرابع عشر  
والسادس عشر الميلاديين

5 الاهداء

7 ثبت المحتويات

11 التمهيد

### الفصل الاول :-

التغلغل العربى الاسلامى فى السودان الغربى حتى  
الربع الاول من القرن الرابع عشر الميلادى.

22 أولا: الارض والسكان

ثانيا: أهم العناصر المغربية الوافدة من الشمال

32 الافريقى : اصلها وموطنها

ثالثا: التأثير العربى الاسلامى فيما بين القرنين

41 السابع والحادى عشر الميلاديين

44 1- نشر الاسلام فى مملكة غانه

47 2- المملكة الصنهاجية الاسلامية

51 رابعا: جهاد المرابطين فى السودان الغربى ونتائجه

55 1- الصراع المرابطى - الغانى

57 2- دعم المرابطين للمؤثرات العربية الاسلامية

خامسا: مسار التأثير العربي الاسلامى منذ قيام مملكة

60 مالى الاسلامية وحتى رحلة منسا موسى الى الحج

## الفصل الثانى :-

### التأثير السياسى

77 اولا: تأثير النظم العربية الاسلامية

77 1- النظام السياسى

84 2- النظام الادارى

88 3- النظام القضائى

94 4- النظام الحربى

ثانيا: العلاقات مع الممالك العربية الاسلامية

97 المعاصره فى مصر والشمال الافريقى

98 1- الممالك فى مصر

101 2- بنومرين والسعديون فى المغرب الاقصى

## الفصل الثالث :-

### التأثير الاقتصادى

114 اولا: أهم طرق القوافل التجارية

118 ثانيا: أهم المراكز التجارية

1- المراكز التجارية على الطرف

119 الشمالى للصحراء الكبرى

2- المراكز التجارية على الطرف

127 الجنوبى للصحراء الكبرى



### ثالثا: أهم السلع التجارية

136 1- سلع واردة الى السودان الغربى

142 2- سلع صادرة من السودان الغربى

### رابعا: نظم التعامل

145 1- المقايضة

147 2- العملات

147 أ) النقود الذهبية

148 ب) النقود الفضية والنحاسية

150 ج) السودع

151 د) المنسوجات القطنية

151 3- المقاييس والمكايل والموازين

154 4- الوكالات التجارية

155 خامسا: التأثير فى مجال الزراعة والثروة الحيوانية

161 سادسا: التأثير فى مجال الصناعة والحرف والثروة المعدنية

### الفصل الرابع:-

#### التأثير الثقافى والاجتماعى

اولا: وسائل انتشار الثقافة العربية الاسلامية

169 1- البدو والهجرات العربية

172 2- التجار

174 3- الفقهاء والمعلمون الائمة

178 4- الطرق الصوفية

## ثانيا: أهم مراكز انتشار الثقافة العربية الاسلامية

- 1- تمبكتو 182
- 2- جنى 188
- 3- نيانى 190

## ثالثا: مظاهر الثقافة العربية الاسلامية

- 1- انتشار الاسلام واللغة العربية 191
- 2- التعليم ومراحله 199
- 3- فن العمارة-البناء-النحت-النقش 202
- رابعا: مظاهر التأثير فى الانماط الاجتماعية 207
- 1- العادات والتقاليد والفنون الشعبية 207
- 2- المرأة ونظام الاسرة 214
- 3- الزى وتقاليده 217
- 4- الشعائر والطقوس الدينية 220
- 5- اداء فريضة الحج الى الاراضى المقدسة 223

## الخاتمة 229

## المصادر والمراجع 237

## الملاحق 253



## التمهيد

تؤكد المصادر التاريخية أن التواصل والتمازج والتلاقح بين المناطق المعروفة حالياً بالوطن العربي ، وبين افريقيا ماوراء الصحراء\*، قد ابتدأت منذ عصور زمنية مبكرة جداً. حيث أنطلقت الهجرات العربية من شبه الجزيرة العربية، مهد العروبة، متجهة غرباً عن طريق باب المندب وبرزخ السويس الى مصر وعموم منطقة الشمال الافريقى. فإنه من المنطقى أن تنساح هذه القبائل المهاجرة، والتي سكنت الشمال الافريقى الى مناطق ماوراء الصحراء المصاوبة لها من الناحية الجنوبية، وذلك تحت ضغط الظروف المختلفة. وقد عبرت هذه الهجرات المتعاقبة الصحراء الكبرى التي لم تكن فى يوم من الأيام عائقاً للتواصل الحضارى بين المنطقتين ، بل كانت منافذها ومسالكها وطرقها ومفازاتها جسراً للقوافل التجارية التي ظلت تجوب جانبيها منذ قرون عديدة. وبديهي أن هذا التمازج والتواصل وتصادع العلاقات المختلفة بين شمال القارة وغربها، لم تصل ذروتها إلا حوالى القرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى، الذى توطدت فيه دعائم الحضارة العربية الإسلامية فى الشمال الافريقى، ومن ثم واصلت القبائل العربية هجراتها عبر الصحراء حاملة تعاليم العقيدة الاسلامية والثقافة العربية ، ووجدت من

---

\* مصر كتاب الغرب ذرو النزعة الاستعمارية على تقسيم منطقة ماوراء الصحراء الى افريقيا جنوب الصحراء وافريقيا شمال الصحراء ، وذلك حتى يرسحوا فكرتهم عن الصحراء الكبرى بأنها كانت ولا زالت تشكل عامل فصل بين المنطقتين الواقعتين على طرفيها. ونحن نستخدم مصطلح ماوراء الصحراء اعتقاداً جازماً - مسنوداً بالبحث العلمى - بأن هذه المنطقة كانت وباستمرار منطقة واحدة متمازجة ، وان الصحراء الكبرى شكلت - وباستمرار - عامل وعسل بين الساكنين على جانبيها ، وتشكل هذه الدراسة أحد الاسهامات فى هذا الاطار.

العناصر الافريقية الوطنية ترحيباً كبيراً ، وحدث بينهما أقوى مظاهر التمازج والتلاقح البشري ، وتجسد ذلك في الهجين الجديد اجتماعياً وثقافياً ودينيّاً.

وقد كان السودان الغربى "وهى منطقة هذه الدراسة " أكثر تأثراً بموجات هذه الهجرات التى تمتد الى ما قبل الإسلام. وقد كانت هذه الهجرات فى الغالب الأعم من قبائل صنهاجة بفروعها الثلاث : مسوفة وجدالة وملتونة. وقد لعبت هذه القبائل دوراً هاماً فى تاريخ المنطقة خاصة بعد تبنيتها للحركة المرابطية الشهيرة (القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى) ، والتى أعطت التأثير العربى المتنامى دعماً سياسياً وروحياً. وتأكدت هذه المؤثرات بتدفق هجرات قبائل بنى هلال وبنى سليم التى كانت بادرة طيبة لتعريب المناطق المتاخمة للسودان الغربى ، وازدياد المخزون البشرى من العناصر العربية ، والتى بمجرد انسياحها جنوباً الى مناطق السودان الغربى انصهرت مع الأهالى الوطنيين من قبائل : التكرور والسوننكى والوولوف والماندينجا والديولة والسنگاي وغيرهم.

وقد تميز التأثير العربى الإسلامى فى مرحلته الأولى بالاحتكاك السلمى وبأنه وجد طريقه الى الطبقات الاجتماعية السودانية الحاكمة والثرية ، وكان التجار العرب المغاربة والبدو دعامة. وتمثلت المرحلة الثانية فى جهاد قبائل صنهاجة الذين تبنا تعاليم الإمام المجاهد عبدا لله بن ياسين الجزولى الذى أنشأ رباطاً على مقربة من نهر السنغال ، وسمى أتباعه بالمرابطين. وتجمع المرحلة الثالثة بين السلم والجهاد ، وترسيخ مفاهيم العقيدة الإسلامية بين المواطنين الأفارقة. وفيها انتقلت الزعامة الدينية والقيادة السياسية والاقتصادية والثقافية الى السكان الاصليين ، سواء أكانوا من السودان الخالص ، أم من المولدين الجدد الناتجين عن اختلاط الدماء العربية بالدماء الافريقية السودانية ، وقد وقع على كاهل هؤلاء عبء تأسيس مملكتي مالي وسنگاي الإسلاميتين على التوالي.

ويبدو أن المرحلة الخامسة فى تدفق المؤثرات العربية الإسلامية على السودان الغربى هي التى أعقبت رحلة الحج الهامة التى أداها السلطان المالى منسا موسى عام (725هـ / 1324م)



الى الأراضى المقدسة وقد استمرت هذه المؤثرات فى التنامي حتى سقوط مملكة سنغاي الإسلامية على يد المغاربة عام 1000هـ / 1591م.

وتوضيحاً لهذه التأثيرات فى السودان الغربى خلال الفترة ما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين ، فقد قسمت الدراسة إلى أربعة فصول وخاتمة على النحو التالى :-

**الفصل الاول :-** يهتم هذا الفصل بدراسة بدايات التغفل العربى فى السودان الغربى، ويعطى لمحة جغرافية عن المنطقة وتحديد لها ، وأهم الاجناس التى عاشت فيها. كما يتناول قبائل صنهاجة والآراء المختلفة حول أصلهم ، ودورهم فى دفع المؤثرات العربية الإسلامية نحو المنطقة من خلال تأسيسهم المملكة الصنهاجية الإسلامية والحركة المرابطية، واسقاطهم لمملكة غانة. كما سيتبع تدفق المؤثرات العربية الإسلامية حتى رحلة منسا موسى الى الحج.

**الفصل الثانى :-** يدرس التأثير العربى الاسلامي فى مجال الحياة السياسية وكيفية تغفله فى النظم السياسية والادارية والقضائية والحربية. كما يستعرض تطور علاقات مملكتي مالي وسنغاي السياسية مع بعض الممالك العربية الإسلامية المعاصرة فى مصر والشمال الافريقي.

**الفصل الثالث :-** يتناول هذا الفصل تأثيرات العرب فى المنطقة فى مجال الحياة الاقتصادية ، وذلك بالأشارة الى طرق القوافل الهامة والمراكز التجارية على جانبي الصحراء ، وأهم السلع المتبادلة ، ويتلمس التأثير فى نظم التعامل مثل : المقايضة والعملات والوكالات التجارية ، ويشرح سبل وصول التأثير العربى الاسلامي الى مجالات الزراعة والثروة الحيوانية و الحرف والصناعات وغيرها.

**الفصل الرابع :-** يبرز دور التأثير العربى الاسلامي فى الحياة الثقافية والاجتماعية ، مشيراً الى أهم وسائل انتشار الثقافة العربية بالمنطقة وخاصة البدو والتجار والدعاة والمعلمين والطرق الصوفية. كما يلقي الضوء على أهم المراكز الثقافية بالمنطقة ، ومظاهر

التأثير الثقافي في اللغة ونشر الاسلام وفي الفن المعماري وفي نظم التعامل. ويركز على التأثيرات في مجال الحياة الاجتماعية من عادات وتقاليده وطقوس دينية وزري ومواكب الحج وغيرها. وقد خصصت الخاتمة لتضمن أهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة.

وهنا تجدر الإشارة الى أن هذا الكتاب هو في الاصل رسالتي التي نلت بها درجة الاجازة العالية (الماجستير) في تاريخ العلاقات العربية الافريقية من كلية العلوم الاجتماعية التطبيقية بجامعة الفاتح بتاريخ 26-1-1995 افرنجي.

وقد كان هذا العمل نتاجاً للفرص التي أتاحت لي عديد المرات لزيارة بعض المكتبات والمراكز الثقافية الهامة ، والتي حصلت منها على مادة علمية هامة حول موضوع الدراسة. ومن هذه المراكز : المعهد الموريتاني للبحث العلمي بنواكشوط ، ومعهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة ، ومعهد الدراسات الافريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم. بالاضافة الى بعض المكتبات في كل من : تونس والجزائر والمغرب ومالي والنيجر ، اضافة الى مكتبات ومراكز البحوث العلمية بالجمهورية العظمى. وأنتهز هذه الفرصة لأقدم شكري الجزيل وعرفاني الاخوي لكل الاخوة العاملين بالمراكز العلمية الآتفة الذكر لما قدموه لي من تسهيلات للحصول على المادة العلمية النافعة لهذه الدراسة.

كما لايسعني في هذا المجال إلا أن أكرر شكري الجزيل الى اولئك الذين ساعدوني بكل الوجوه في هذا العمل منذ ان كان فكرة الى أن صار كتاباً.

ومن بينهم استاذي الكبير، الدكتور قمر الدين محمد فضل الله، أستاذ التاريخ الحديث بكلية العلوم الاجتماعية التطبيقية بجامعة الفاتح، والذي تولى الاشراف على هذه الرسالة وتولى رعايتها منذ أن كانت فكرة الى أن صارت حقيقة واقعة ، وأتاح لي النهل من فيض علمه الغزير ووعيه المنهجي الرفيع وخلقه القويم.

كما أتقدم بشكري العميق لأساتذة التاريخ بهذه الكلية الذين أستفدت كثيراً من نصائحهم ، وكذلك كل من ناقش معي فكرة هذا الكتاب وشجعني على السير فيها.



وأخيراً لاتفوتني الإشارة الى أنني أتطلع أن يكون هذا العمل فاتحة لمزيد من الدراسات والابحاث عن مظاهر التأثير العربي الاسلامي فى مناطق أخرى من القارة الافريقية ، وذلك كمساهمة علمية جادة فى مجال العلاقات العربية الافريقية للمحافظة على تراثنا العربي الافريقي المشترك. وأوصي المختصين فى هذا المجال الى الاتجاه نحو الدراسات الاثرية وجمع وتحقيق عديد المخطوطات التى لازالت تقبع بصناديق بعض الأسر بالمنطقة كمقتنيات شخصية وعائلية يصعب التفريط فيها.

... والله من وراء القصد ...

أمطر سعد غيث

طرابلس : الجماهيرية العظمى

1996/8/2 أفرنجي





# الفصل الأول

التغلغل العربى الإسلامى فى السودان الغربى حتى الربع الاول من  
القرن الرابع عشر الميلادى

أولا :- الأرض والسكان

ثانيا :- أهم العناصر المغربية الوافدة من الشمال الأفريقى : أصلها وموطنها

ثالثا :- التأثير العربى الإسلامى فيما بين القرنين السابع والحادى  
عشر الميلاديين .

1- نشر الإسلام فى مملكة غانة .

2- المملكة الصنهاجية الإسلامية .

رابعا :- جهاد المرابطين فى السودان الغربى ونتائجه .

1- الصراع المرابطى - الغانسى .

2- دعم المرابطين للمؤثرات العربية الإسلامية .

خامسا :- مسار التأثير العربى الإسلامى منذ قيام مملكة مالى الإسلامية حتى

رحلة منسا موسى الى الحج .



## التغلغل العربى الإسلامى فى السودان الغربى حتى الربع الاول من القرن الرابع عشر الميلادى

إن تاريخ الوجود العربى الإسلامى وتأثيره فى بلاد السودان الغربى ينظر إليه الباحثون نظرة خاصة ، وذلك لما تركه من آثار موجودة إلى يومنا هذا فى المكونات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية التى سادت ذلك الجزء من القارة الإفريقية . وبالرغم من وجود ثغرات كبيرة هامة فى الصورة التاريخية لبدايات التغلغل العربى ومداه فى السودان الغربى قيل أن يتوطد الإسلام فى الشمال الإفريقى حوالى القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى ، فإن بعض الدراسات الحديثة أعطت معلومات قيمة عن إنتشار الإسلام فى ممالك غانة ومالى وسنغاي (1) . ولقد تأكد بصورة جلية إن أهم روافد التأثير العربى الإسلامى جاءت الى السودان الغربى من منطقة الشمال الإفريقى . وقد لعب

---

( 1 ) من هذه الدراسات على سبيل المثال :

- J ,S, Trimingham : A history of Islam in west Africa , (London, 1970)

- R , Mauny : Tableau Geographic de Louest Africaine au Moyen Age, (Dakar 1961)

- ابراهيم على طرخان. إمبراطورية غانة الإسلامية . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1970 م).

- ابراهيم على طرخان . دولة مالى الإسلامية . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1973 م )

- عبدالقادر زبادية . مملكة سنغاي فى عهد الأسقيين 1493 - 1592 م . (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر

والتوزيع ، د-ت ) .



العرب المغاربة دورا رئيسيا في حمل مشعل العروبة والإسلام الى تلك البقاع حتى أضحي التأثير العربي المغربي فيها معلما حضاريا زاهرا . وأشارت بعض الشواهد التاريخية الى أن التجار العرب المغاربة قد أقاموا أحياء عديدة لإستقرارهم في السودان الغربي منذ وقت مبكر، مثل تلك الأحياء التي ألحقت بعاصمة مملكة غانة التي وصفها الجغرافي المغربي أبو عبيد الله البكري(1). غير أنه ليس هنالك مايفيد بإنتشار الإسلام في الأوساط الحاكمة السودانية قبل مجيء القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي (2) ويعود لجهاد المرابطين الفضل في إعطاء المؤثرات العربية الإسلامية دعما سياسيا في السودان الغربي .

فالمرابطون هم الذين أسقطوا مملكة غانة الوثنية عام 469 هـ / 1076 م ، وربما هم أيضا الذين أستقطبوا الأسرة الحاكمة في مالي الى الإسلام ، فضلا عن أنهم تركوا تأثيرا واضحا في سنغاي شهدت به مقابر عاصمتها جاو (3) .

ويلاحظ أن التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي حتى نهاية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي قد مر بثلاث مراحل رئيسية ، هي :-

**المرحلة الأولى:** وقد بدأت في أعقاب توطد دعائم الإسلام في الشمال الإفريقي حوالى القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي وإستمرار غمته تمثلها كاملا للعروبة على إثر تدفق هجرات بني هلال وبني سليم في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي الى الشمال الإفريقي ثم أمتدت تأثيرهم الى السودان الغربي(4). وتميزت

---

(1) أبو عبيد الله البكري . المغرب في أخبار أفريقيا والمغرب ، وهو جزء من المسالك والممالك .

( الجزائر : المطبعة الحكومية ، 1858 م ) ، ص 175.

(2) البكري ، المصدر السابق ، ص 172.

(3) J, Sauvaget: "Les Epitaphes Royales de Gao "Bull IFAN.XII 1950 P.P.418 -40 .

(4) يوسف فضل حسن . إنتشار الإسلام في افريقيا . (الخرطوم : مطبعة جامعة الخرطوم ودار جامعة

الخرطوم للنشر . 1979م ) ، ص 18 .

هذه المرحلة بالاحتكاك السلمى وأقترنت بالتجارة والرعى وبإزدياد الهجرات البشرية بين شمال القارة وغربها، وتنتج عنها مصاهرة العرب الوافدين للأسر الحاكمة والوطنيين الأفارقة ، مما أدى الى وضع لبنة قوية لإنطلاق إنتشار الإسلام والعروبة فى المنطقة . أما المرحلة الثانية : فترتبط بتدفق الهجرات العربية جنوبا الى مايعرف حاليا بإسم موريتانيا ، حيث أنتشر الإسلام بين قبائل صنهاجة الثلاث ( لمتونة ومسوفة وجدالة ) التى وقع على كاهلها رفع راية الجهاد بإسم الحركة المرابطية التى أعطت تأثيرات الحضارة العربية الإسلامية دفعة قوية (1) . وتوجت المرحلة الثالثة بقيام مملكتى مالى وسنغاي الإسلاميتين اللتين أمثلتا لمؤثرات الحضارة العربية الإسلامية فى نظمهما ومعاملتهما (2). وقد شغلت هذه المرحلة الفترة ما بين القرنين السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى والعاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، وهى الفترة التى بلغ فيها التأثير العربى الإسلامى فى السودان الغربى ذروته . ولما كان عهد السلطان المالى منسا موسى وحجته الشهيرة الى الأراضى المقدسة، يشكلان منعطفًا هامًا نحو إمتزاج التأثير العربى الإسلامى الوافد من المشرق العربى بالموثوث من المغرب العربى فإن الباحث يرى أن يركز فى موضوع دراسته على الفترة الواقعة ما بين القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى والقرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى التى شهدت نهايتها تقريبا وقوع سنغاي بيد المغاربة ولاكمال الصورة التاريخية وضمان تسلسل أحداثها ، سيتناول البحث موضوعات هذا الفصل على النحو التالى :-

---

(1) المرجع نفسه ، ص 18.

(2) الصفحة نفسها

## أولاً: - الأرض والسكان :-

أصطلح الجغرافيون والمؤرخون العرب فى العصور الوسطى على تسمية المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى وشمال خط الإستواء ، والممتدة من البحر الأحمر شرقا وحتى المحيط الأطلسى غربا بإسم (بلاد السودان ). ورغم ان المدلول اللفظى لكلمة بلاد السودان قد تعنى الشعوب السوداء البشرية ، فإنه من المرجح انه قصد بها فى كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب فى العصور الوسطى مناطق حزام السافانا ، وهى المناطق التى كانت أقوى أجزاء القارة الأفريقية علاقة بمناطق الوطن العربى تأثرا وتأثيرا حتى أضحت معظم سكانها من المسلمين وقامت بها إمبراطوريات إسلامية مثل مالى وسنغاي ، فضلا عن أن هؤلاء الكتاب والجغرافيين العرب كانوا أكثر إلحاحا بهذه المنطقة بحكم مصابقتها للوطن العربى من الناحية الجنوبية وقربها منه (1).

وقد وصف الجغرافى الإصطخرى ، الذى عاش خلال القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، بلاد السودان بقوله "...انها بلاد عريضة وليس فى الأقاليم التى للسودان من الحبشة والنوبة والبجة وغيرهم إقليم أوسع منه ويمتدون على قرب البحر المحيط مما يلى الجنوب ومما يلى الشمال على مفازة تنتهى الى مفازة مصر من وراء الواحات ... " (2) .

كما وصفها القزوينى من أعلام القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى

---

(1) جميلة احمد التكتيك . مملكة سنغاي الإسلامية فى عهد الاسكيا محمد الكبير 1493-1528م رسالة

ماجستير غير منشورة ، (طرابلس : جامعة الفاتح ، كلية العلوم الاجتماعية التطبيقية ، 1991) ص 12 ومايلها .

(2) الإصطخرى . كتاب المسالك والممالك . (القاهرة : مطبعة الحسينى ، 1961م ) ، ص 34 . أما لفظ

البحر المحيط الوارد فى النص فالمقصود به المحيط الأطلسى .



بقوله : ... هي بلاد كثيرة وأرض واسعة ينتهى شمالها الى أرض البربر وجنوبها الى البرارى وشرقها الى الحبشة وغربها الى البحر المحيط . " (1) .

والمتبع لكتابات المؤرخين والجغرافيين العرب فى العصور الوسطى يلمس أنهم لم يضعوا تقسيم معين للمنطقة . غير أن بعض العلماء والمؤرخين المعاصرين درجوا على تقسيم بلاد السودان الى قسمين ، ومن أمثال ذلك : هيرسكوفيتش (Herskovits) ، الذى قسمها الى اقليمين هما : السودان الشرقى والسودان الغربى وتفصلهما بحيرة تشاد (2) .

أما المؤرخ المعاصر سبنسر ترمينجهام (Spencer Trimingham) ، فقد قسم بلاد السودان الى ثلاث مناطق هى السودان الشرقى والسودان الأوسط والسودان الغربى (3) .

ومنذ ذلك الوقت أصبح هذا التقسيم هو المتعارف عليه للمنطقة وذلك على النحو التالى :

1- السودان الشرقى ويمتد من البحر الأحمر شرقا حتى حدود إقليم دارفور غربا، ويضم الحوض الأعلى والأوسط لنهر النيل (4). وكان هذا القسم بالإضافة الى ساحل شرق افريقيا قد غلب عليه عند العرب ، ما بين القرن الرابع الهجرى / التاسع الميلادى والقرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، اسم (بلاد

---

(1) القزوينى. آثار البلاد وأخبار العباد . ( بيروت: دار صادر، د-ت) ص 24

(2) M, Herskovits : " Apreliminary Consideration of Culture Areas of Africa"

America Antroplogisitis 26, 1926, P.P. 50-63 .

(3) Trimingham . A history Islam in West Africa .

(4) الشيخ الأمين عوض الله . العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى فى عهد السلطتين

الإسلاميتين : مالى وسنغاي . (جدة : دار المجمع العلمى ، 1979 م ) ، ص 41 .

الزنج) ، إلا أن كلمة السودان كانت تشملها أيضا (1) .

2- السودان الأوسط ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد .

3- السودان الغربى : ويشمل المناطق الواقعة بين حوض نهر السنغال \* ، والحوض الأوسط لنهر النيجر والمجرى الأعلى لنهر فولتا (2). والمنطقة الأخيرة هى منطقة هذه الدراسة وقد عرفت أيضا بإسم الحوض والساحل (3) ، كما تعتبر الآن جغرافيا جزءاً من غرب أفريقيا .

وتجدر الإشارة الى أن بعض الكتاب والجغرافيين والمؤرخين العرب فى القرون الوسطى كانوا يخلطون بين مصطلحي بلاد السودان الغربى وبلاد التكرور \*\* ، ومنهم من يستخدم لفظ التكرور ويعنى به بلاد السودان الغربى عموماً (4) .

يبد أن منطقة التكرور، هى إحدى مناطق السودان الغربى وكانت قد انفصلت

---

(1) عبدالقادر زيادية ، مملكة سنغاي ، ص15

\* نهر السنغال ونهر النيجر كان المؤرخون القدماء يسمون كليهما بنهر النيل أو البحر . أنظر : محمد الغربى . بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى . (بغداد : دار الرشيد للنشر ، 1982م) ، ص45.

(2) الشيخ الأمين عوض الله ، المرجع السابق ، ص41 .

(3) أمين توفيق الطيبى . دراسات وبحوث فى تاريخ المغرب والأندلس . (ليبيا - تونس : الدار العربية للكتاب ، 1984م) ، ص301 .

\*\* عن معنى التكرور يقول محمد بلو بن فودى : " وأعلم أن هذا الإسم الذى هو التكرور علم على الإقليم الغربى من الجنوب السودانى ، على ما فهمنا من تعبيرهم فى التواريخ والنقول ، وهذا الإسم شائع فى الحرمين ومصر والحبشة " . أنظر محمد بلو بن عثمان بن فودى . إتفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور (القاهرة : دار مطابع الشعب ، 1383هـ / 1964م) ، ص27 .

(4) القلقشندى . صبح الأعشى فى صناعة الانشا . (القاهرة : المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، 1963م) ، ج 5 ، ص283 .

عن مملكة غانة الوثنية في حوالى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى. ويورد ابن فضل الله العمرى (ت 1348 م) فى مخطوطته الشهيرة (مسالك الابصار فى ممالك الأمصار) مايفيد قطعاً بأن العرب ، آنذاك ، يفرقون بدقة بين مصطلحى التكرور والسودان الغربى حيث يقول : " ... وصاحب هذه المملكة هو المعروف عند أهل مصر بملك التكرور ولو سمع هذا أنف منه لأن التكرور إنما هو إقليم من أقاليم مملكته والأحب إليه أن يقال صاحب مالى لأنه الإقليم الأكبر وهو به أشهر ... " (1). والجدير بالذكر أن بعض الكتاب اليونان والرومان أطلقوا على منطقة السودان الغربى والأوسط مصطلح نجرىتيا (Nigritia) نسبة الى نهر النيجر (Niger) ، الذى أطلق عليه هذه التسمية ، لأول مرة ، المؤرخ والجغرافى الرومانى بلينى (Pliny) (ت حوالى عام 115 م) ومعناها : (نيل الأجناس السوداء) (2). ولاشك أن موقع بلاد السودان الغربى ، وكما سبق تحديده ، يتميز بـمميزات إيجابية جعلت منه منطقة جذب لهجرات الأجناس المختلفة اليه من كل الجهات المحيطة به ، ومن هذه المميزات :موقعة فى منطقة غزيرة الأمطار نسبياً وتجرى بها بعض الأنهار مثل : نهر السنغال ونهر النيجر ونهر غامبيا ونهر فولتا بالإضافة الى تنوع المناخ وخصوبة التربة وتوفر الثروة الحيوانية والثروة السمكية والثروة المعدنية وبالذات الذهب والنحاس والحديد وغيره . ونتيجة لهذه المميزات عاش فى هذا الإقليم ، ومنذ الآف السنين ، خليط من الأجناس المختلفة ونشأت به جملة من المدن

---

(1) العمرى . مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار . (فرانكفورت :معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، 1988م) ، مج 4 ، ص 34.

(2) ابراهيم على طرخان . الإسلام واللغة العربية فى السودان الغربى والأوسط . ( القاهرة : الهيئة العامة للتأليف والنشر ، 1969 م) ص 52-53 .



والخواضر وربطت هذه المنطقة بشبكة من طرق القوافل مع مناطق الوطن العربي، وبخاصة الأجزاء الواقعة في الشمال الأفريقي .

### أهم الثروات :-

من أبرز الثروات التي تمتعت بها بلاد السودان الغربي ، والتي كانت سر شهرتها الإسطورية منذ القدم وحتى القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي ، هي الذهب . وقد سماها الفزارى (أرض الذهب) ، وذلك بعد أن زارها عام 800 م أو قبلها بقليل (1) .

ويقول ابن حوقل : "...وغانة ايسر من على وجه الأرض من ملوكها بما لديهم من الأموال المدخرة من التبر المثار . " (2). ومن المعروف أن الذهب كان يقايض بمادة الملح الهامة جدا في السودان الغربي وفي هذا الصدد يؤكد ابن حوقل : "... وحاجتهم الى ملوك أوداعست ماسة من أجل الملح الخارج اليهم من ناحية الإسلام ، فإنه لا قوام لهم إلا به . " (3) .

وكان ذهب هذه المنطقة يستخرج من مناجم ونقارة في الجنوب ، ويحمل على رؤوس العبيد الى جنى ، ثم بالقوارب الى تمبكتو ، ثم على ظهور الإبل الى مراكز التصدير في الشمال الإفريقي . وكانت تتم عملية المقايضة بين تجار الشمال الإفريقي ، وأهالي السودان الغربي بما عرف في التاريخ بإسم التجارة الصامتة (Silent Trade) . وقد كانت هذه المنطقة ، وكما يؤكد موني (Mauny)، منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي وحتى اكتشاف قارة أمريكا

---

(1) بازل دافدسن . افريقيا تحت أضواء جديدة ، ترجمة : جمال أحمد . (بيروت : دارالثقافة 1961)،

(2) ابن حوقل . صورة الأرض . (بيروت : دار مكتبة الحياة ، 1979م ) ، ص 96 .

(3) المصدر نفسه ، ص 96 .

عام 1492م، هي المصدر الرئيسى لتمويل العالم بالذهب وكان لهذا الذهب اليد الطولى فى بناء قوة غانة ، وإقامة امبراطورية مالى (3) .  
ومن الثروات المعدنية التى كانت متوفرة بالمنطقة ، والتى تأتى فى المرتبة الثانية بعد الذهب هي النحاس والذى كان يستخدم فى الصناعات الحربية وأدوات الزينة وصناعة الأواني وغيرها . وكذلك الحديد الذى يدخل فى صناعة الأسلحة والمعدات الزراعية وغيرها ، وقد أدت الكشوف والحفريات الأثرية الحديثة فى عاصمة مملكة غانة الى العثور على كميات من المصنوعات الحديدية (4) .  
كما إشتهرت بلاد السودان الغربى بالثروة الزراعية وتنوع المحاصيل ، وذلك نتيجة لخصوبة الأرض وهطول الأمطار \* وجريان الأنهار ، التى أستفيد منها فى الملاحة .

كما عاشت بالمنطقة أنواع من الحيوانات مثل : البقر والأفيال والزراف والحمير والإبل كما توفرت بها كميات كبيرة من الأسماك كانت تشكل جزءا هاما من مكونات الغذاء فى تلك المنطقة .

## 1- أهم الأجناس التى عاشت بالمنطقة :-

ونتيجة للموقع الهام والثراء الكبير ، عاش بالسودان الغربى خليط من الأجناس من فصائل عرقية متباينة إضافة الى الهجرات التى وفدت على المنطقة من مناطق الوطن العربى وبالذات الشمال الإفريقى .

---

(3) بازل دافدسن ، المرجع السابق ، ص 136 .

(4) ابراهيم طرخان ، امبراطورية غانة الإسلامية ، ص 36

\* من المعروف إن فصل الأمطار فى السودان الغربى هو فصل الصيف ، أما الشتاء فهو فصل الجفاف.

وقد كانت الهجرات البشرية ميسورة بين المنطقتين نسبة لعدم وجود حواجز طبيعية تعوق حركة التواصل والتنقل. ومن أهم القبائل الزنجية التي عاشت بالسودان الغربى هى : السوننك ، وهم أحد فروع الماند الذين يتميزون بقوة جسمانية وعادات وتقاليد اجتماعية فريدة (1) .

وقد انتشر نفوذهم فى أجزاء واسعة من السودان الغربى بين أعالي نهر السنغال والنيجر، أى أمتد من تمبوكتو شرقا الى بلاد التكرور (السنغال الحالية ) غربا(2) . ومن الأدلة على الإمتزاج المبكر لقبائل السوننك مع المهاجرين الوافدين من الشمال الإفريقى أن قبائل الـ (Wolof) ، يطلقون على السوننك المقيمين فى حوض السنغال . اسم سيركول أو سراكول أو سراكولى ، وتعنى هذه التسمية الرجال الحمر أو الناس الحمر (3) .

وتتضمن مجموعة السوننك فروعاً مختلفة اشتهرت بأسماء متنوعة تبعا للأماكن التى أقامت بها ، أو تبعا لأسماء العشائر التى برزت من بينها أو بحسب تسمية جيرانهم لهم (4) . ونتيجة للإمتزاج المبكر بين السوننك والهجرات الوافدة من الشمال الإفريقى فقد إعتنق السوننك الإسلام ولعبوا دورا كبيرا فى الدعوة له ، وصارت العقيدة الإسلامية ذات أثر عميق فى حياتهم الاجتماعية ، وأن بعض العشائر السوننكية وهبت نفسها للدعوة الى الإسلام فقط، حتى إن كلمة

---

(1) ابراهيم طرخان ، امبراطورية غانة الإسلامية ، صـ 18

(2) أحمد مختار العبادى . " الصفحات الاولى من تاريخ المرابطيين " ، : مجلة كلية الآداب ، جامعة

الأسكندرية ، مج 21 : (1967م) ، صـ 77 .

(3) ابراهيم طرخان ، امبراطورية غانة الإسلامية ، صـ 19 .

(4) المرجع نفسه ، صـ 19.



سونتك استخدمها الماندنكا الوثنيون مرادفة لكلمة داعى (1) ، مما يدل على الدور الكبير الذى لعبوه فى نشر الإسلام .

وكذلك من الأجناس الهامة التى عاشت بالمنطقة هى : قبائل التكرور (Toclur) التى عاشت فى وادى السنغال وفى المناطق الواقعة بين السنغال وغامبيا (2) . ويقال إن ملكهم وارجابى \* (Warjabi) أعتنق الإسلام حوالى عام 432 هـ / 1040 م (3) وقام بنشره بين رعاياه .

ومن الأجناس التى عرفت بالمنطقة ايضا قبائل الـوولوف التى عاشت بالمنطقة الواقعة جنوب نهر السنغال (4) كما عاش بالمنطقة قبائل البمبارا (Bambara) ، وذلك فى المنطقة التى تضمها الآن موريتانيا . ومن المعروف أن هذه القبائل أستمرت على وثنيتهما زمنا طويلا رغم أن الإسلام قد أنتشر فى كل تلك المناطق ، وخاصة منذ القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى

---

(1) المرجع نفسه ، ص 48 .

(2) بوفيل . تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، ترجمة : الهادى ابر لقمة ومحمد عزيز . ( بنغازى :

جامعة قاريونس ، 1988 م ) ، ص 105 .

\* يعتقد ان إسلام وارجابى كان بتأثير الفقهاء الأباضيين القادمين من جبل نفوسه ، بليبيا الحالية ، الذين كانوا ضمن الحالية التجارية المقيمة هنالك . أنظر : صباح ابراهيم الشيخعلى . " النشاطات التجارية عبر الطريق الصحراوى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى " . تجارة القوافل ودورها الحضارى حتى نهاية القرن 19 م . ( بغداد : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، 1984 م ) ، ص 43 .

(3) البكرى ، المصدر السابق ، ص 173 .

(4) عصمت عبداللطيف دندش . دور المرابطين فى نشر الإسلام فى غرب افريقيا . (بيروت : دار الغرب

الإسلامى ، 1988 م ) ، ص 45 .

وتفسير ذلك الأمر هو ان المجتمعات الأفريقية التى لم تكن تخضع لحكم مركزى أو شبه مركزى كانت أقل تأثرا بالحضارة العربية الإسلامية ، وذلك لأن الإسلام عادة ما كان ينتشر فى الأوساط الحاكمة ومن ثم بين الرعية . فالمجتمعات ذات السلطات المركزية أكثر تجاوبا مع المؤثرات الحضارية الخارجية.

ولقد تجاوبت المجتمعات الأفريقية فى دولتى مالى وسنغاي ، على سبيل المثال ، ايجابيا مع تطبيق النظم الإسلامية اكثر من أية مجتمعات أفريقية أخرى لاتعيش فى كنف المركزية أو تحت قيادة موحدة .

ويشير المؤرخ الإنجليزى توماس ارنولد (Thomas Arnold) الى استمرار قبائل البمبارا على وثنيها بقوله : " إن النفوذ الإسلامى لم يصادف مقاومة عنيدة كتلك التى جعلت جماعة البمبارا Bambara الوثنية يحتفظون بوثنيتهم مع انهم كانوا محاطين مدة قرون بالسكان المسلمين " (1) . ومن هذه الأجناس كذلك الموشى أو الموسى (Mossi) ، التى أقامت مملكة وثنية قوية فى منحنى نهر النيجر وجاورت الممالك الكبرى بالمنطقة (غانة ومالى وسنغاي) . وأستمرت على وثنيها حتى جاهدتها الاسكيا محمد الكبير ملك السنغاي فى بداية القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى. وذلك حسب ماجاء عند عبدالرحمن السعدى (2) ولعل السبب فى مناوئة كل من قبائل البمبارا والوولوف للإسلام يرجع الى عدم تمتعها بسلطة مركزية واحدة ، وذلك لسيادة النظام القبلى فيها وكانت تخشى الغريب ولذا ، ظلت منعزلة عن قوى التأثير والتطور الحضارى الوافد من الخارج . ومن القبائل التى كانت بالمنطقة ، أيضا ، قبائل السنغاي

---

(1) توماس ارنولد . الدعوة الى الإسلام ، ترجمة : حسن ابراهيم حسين وآخرون . (القاهرة : مكتبة

النهضة المصرية ، 1970م ) ، ص 358 .

(2) السعدى . تاريخ السودان . (طبعة هوداس ، انجى - فرنسا ، 1898م ) ، ص 74.

(Songhay) وهي قبيلة كانت تسكن النيجر حول حدود الغابات الإستوائية ، ثم أخذت تنتقل الى الشمال مع نهر النيجر . وفي القرن الاول الهجرى/ السابع الميلادى كانت أمتدت مساكنها على طول حوض النيجر بحوالى مائة وخمسين كيلومتر ، وتمتحن صيد الأسماك وزراعة الدخن (1). وقد عرف الزراع منهم بـ سادة الأرض ، وصيادى الأسماك بـ سادة المياه (2) ويعتقد أن أول دولة للسنگاى قد تأسست حوالى القرن الأول الهجرى/ السابع الميلادى وكانت عاصمتها مدينة كوكيا على نهر النيجر الأدنى وهى لا تبعد عن جاو \* الحالية سوى مائة وخمسين كيلومتر (3) . وقد أنتشر الإسلام فى بلاد السنگاى ، فيما يبدو ، نتيجة الامتزاج السكانى مع هجرات القبائل الصنهاجية الوافدة من الشمال الإفريقى ، ومما يدل على ذلك ان ملكهم زاكسى كوساى كان قد أسلم حوالى 1009م (4) أى قبيل حركة المرابطين الجهادية الشهيرة ، كما هاجر الى المنطقة بطون عديدة من قبائل صنهاجية بفروعها كما سيتضح .

---

(1) عبدالقادر زبادية ، مملكة سَنَغاى ، ص 25 ، هامش رقم (1) .

(2) الشيخ الأمين عوض الله ، المرجع السابق ، ص 56 .

\* حول نشأة جاو راجع الفصل الثالث (التأثير الإقتصادى) .

(3) عبدالقادر زبادية ، مملكة سَنَغاى ، ص 251 .

(4) السعدى ، المصدر السابق ، ص 3 .

## 2- أهم العناصر المغربية الوافدة من الشمال الإفريقي : أصلها وموطنها .

تؤكد الشواهد التاريخية إن منطقة الشمال الإفريقي قد تعرضت الى موجات من الهجرات البشرية المتتالية منذ قرون عديدة قبل الإسلام ، وقد وفدت هذه الهجرات من شبه الجزيرة العربية (1). وهذا يدل على أن حركة تعريب منطقة الشمال الإفريقي ترجع الى ما قبل الإسلام وتوطد الإسلام فى المنطقة حوالى القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى وبلوغ الدولة العربية الإسلامية ذروتها وخاصة بعد فتح الأندلس تطلع العرب الى نشر الإسلام فيما يعرف بمنطقة ما وراء الصحراء .

وانتشار الإسلام والثقافة العربية فى السودان الغربى مرتبط الى حد كبير بالجهود الكبيرة التى لعبتها قبائل صنهاجة التى وفدت على المنطقة من الشمال الإفريقي. ويبدو ان الإسلام بدأ ينتشر مبكرا فى بطون صنهاجة المختلفة وتوج بحركة المرابطين الجهادية .

كما أن الهجرات الجماعية لقبائل بنى هلال وبنى سليم فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى وانتشارهم فى ارجاء الشمال الإفريقي قد أدى الى نشر الإسلام واللغة العربية الحديثة لغة القرآن الكريم ، بين أهل المنطقة والى استعراب أهلها استعرابا كاملا . ويسقوط مملكة غانة على ايدى المرابطين بدأت مرحلة جديدة فى تاريخ السودان الغربى توجت بقيام مملكتين اسلاميتين هما :

---

(1) محمد محمد أمين . "تطور العلاقات العربية الإفريقية فى العصور الوسطى" ، محمود خيرى عيسى

(محرر) ، العلاقات العربية الإفريقية ، دراسة تحليلية فى ابعادها المختلفة ، (القاهرة : معهد البحوث

والدراسات العربية ، 1978م ) ، ص 64 .



مالى وسنغاي . وقد وقع عبء أحداث هذه التغيرات الهامة على عاتق قبائل صنهاجة بفروعها ، والتي امتدت هجراتها الى تلك المناطق ، "... منذ دهور قبل الفتح لايعرف أولها ... وصاروا مايين بلاد البربر وبلاد السودان حجزا واتخذوا اللثام خطاما تميزوا بشعاره بين الأمم وفي تلك البلاد وكثروا وتعددت قبائلهم ... كلهم مايين البحر المحيط بالمغرب الى غدامس من قبلة طرابلس وبرقة " (1) وعن امتدادات هذه القبائل نحو بلاد السودان الغربى بقول المؤرخ المغربى عبدالعزيز بن عبدالله : "ان جزءا من قبائل صنهاجة التى هاجرت الى مناطق جنوب الصحراء كانت تضم افخاذا من قبائل لمطة ولتونة والملثمين المتسبين الى هواره ، قد قطنت الواحات الصحراوية شمال نهر النيجر ، وأصبح يطلق عليها الطوارك . " (2). ومعروف ان الطوارك أو الطوارق هم أحد فروع صنهاجة المشار اليها وقد لعبت هذه القبائل ، التى عاشت بمنطقة بالسودان الغربى دورا هاما في تاريخها ، ولا زالت هذه القبائل حتى اليوم تشكل جزءا هاما من البنية السكانية للمنطقة وخاصة الاجزاء الشمالية منها ، كما انطلقت مجموعة صنهاجية اخرى نحو الجنوب الغربى ، وأوغلت فى بلاد السودان الغربى حيث الأماكن الوفيرة المياه والمراعى وأسست مدينة أوداغست\* والتى اتخذت منها عاصمة لها (3) ، وقد

---

(1) ابن خلدون. العبر وديوان المبتدأ والخبر. (بيروت : مؤسسة جمال للطباعة والنشر، 1979م) ، ج 6 ، صـ 181 .

(2) عبدالعزيز بن عبدالله . تاريخ الحضارة المغربية . (دار السلمى، 1962م) ، صـ 25

\* أوداغست لاوجود لها اليوم ومكانها ، حسب بعض الإشارات التاريخية ، تقام فيه اليوم مدينة تجداست (Tegdast) شرقى منطقة تكانت (Tagnt) بجمهورية موريتانيا الحديثة .

(3) الحموى . معجم البلدان . (بيروت : دار صادر ، د-ت) ، صـ 227 ؛ ابوالفداء . تقويم البلدان . (باريس : دار الطباعة السلطانية ، 1850 م) صـ 37 .

شهدت هذه المدينة ، التي كانت أشبه بحلقة وصل بين شمال افريقيا وبين السودان الغربى حركة تجارية ترجمتها كثرة أسواقها التي اشتهرت بتجارة الذهب (1) ومما يبرهن على أصالة قبائل صنهاجة وأهميتها أن تلك المناطق سميت ببلاد الزنوج أو بلاد الزناجة وأن النهر الكبير الغربى أطلق عليه نهر السنغال، والاسمان : (الزناجة والسنغال) مشتقان من صنهاجة (2). ويعتقد ان اسم صنهاجة كان يطلق على نهر السنغال ، غير ان الاوربيين فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى قاموا بتحريف لفظ صنهاجة الى السنغال. وعن أهمية قبائل صنهاجة ودورها فى المنطقة ان رجالها كانوا طيلة وجود دولة غانة هم عماد الحكم والجيش والادارة والتجارة مما حدا بعبد الرحمن السعدى الى القول بان الاسرة الغانية كانت لاتباشر فعليا الحكم فى جهات مملكتها ، بل أكثر من ذلك فقد اعتبر ان غانة من ممالك البيضان اى العرب (3) .

وحسب رواية السعدى ، أن هجرة صنهاجية وفدت الى كوكيا (جاو) وأستقرت فيها وكان رئيس هذه المجموعة الصنهاجية يتخذ لقب (ذا) أو (زا) وتسمى باسم (ايمن) أو (اليمن) (4).

وقد حاول كثير من المستشرقين المهتمين بالدراسات الإسلامية ومن الباحثين الذين تأثروا بهم ترويج مغالطة تاريخية حول نشر الإسلام فى السودان الغربى. وفى هذا الصدد يقول ترمنجهام : "إن العرب لم ينشروا الإسلام ، ولكن

---

(1) مجهول . الاستبصار فى عجائب الأمصار ، تحقيق : سعد زغلول عبد الحميد .

(الدار البيضاء: دار النشر المغربية ، 1985م )، ص215 ؛ البكرى ، المصدر السابق ، ص158.

(2) عبدالعزيز بن عبدالله ، تاريخ الحضارة المغربية ، ص22 .

(3) السعدى ، المصدر السابق ، ص9 .

(4) السعدى ، المصدر السابق ، ص4 .

إختلاطهم ببربر موريتانيا جنوب المغرب ، أدى الى إستعراب هذه العناصر . أما  
بربر الصحراء الوسطى ، أى الطوارق ، فلم يتم غزوهم ولا استعراهم . " (1)  
ويقصد ترمنجهام أن يقول صراحة بأن العناصر الوافدة من الشمال الإفريقى  
والتي عملت على نشر الإسلام فى السودان الغربى لم تكن عربية فى أصولها  
وأما هى مما يسمى (البربر) . ولم يكتف بذلك فحسب ، بل أنكر عروبة قبائل  
الطوارق التى أسست أكبر منارة ثقافية وعلمية بالمنطقة وهى مدينة تمبكتو  
وذلك حوالى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى . وعليه، فقد  
رأى الباحث ضرورة دحض وتفنيد الآراء المشككة فى عروبة قبائل صنهاجة  
ومنها الطوارق ، والتي سكنت منذ القدم الشمال الإفريقى ثم أنساحت جنوبا  
وعملت على دعم نفوذ التأثير العربى الإسلامى فى تلك البقاع. إن الدارس  
لتاريخ الشمال الإفريقى ، يجب ألا يهمل دور الهجرات العربية التى كانت تخرج  
من شبه الجزيرة العربية منذ القدم ، نتيجة لظروف مناخية وإقتصادية وسياسية  
متجهة صوب الشمال الإفريقى ومختلطة بالسلالات الموجودة فى المنطقة كما  
أن سرعة إستجابة سكان الشمال الإفريقى للعقيدة الإسلامية الوافدة من الجزيرة  
العربية ثم قدرة هؤلاء السكان على التحدث بلغة القرآن الكريم التى أضحت  
لغة العبادة والدواوين والمخاطبات الرسمية والعمل اليومى وفى وقت وجيز ،  
ماهو الا دليل على وحدة الأصل والموروث الثقافى لسكان الشمال الإفريقى  
واخوانهم العرب حاملى الدعوة الجديدة . وبحلول القرن الثانى الهجرى / الثامن  
الميلادى أكتسب الشمال الإفريقى بأسرة اكتسابا كاملا للعروبة وأضحت

---

(1) J ,S ,Trimingham: "The Phases Of Islamic Expansion and Islamic

Culture Zones in Africa " Islamic in tropical Africa ,ed . I.M. Lewis ,

( Oxford University Press 1966 ) , P. 128.

العناصر القاطنة فيه عربية حضارة وثقافة . وقد أطلق الإغريق على سكان الشمال الإفريقي لفظ (البربر)، وهو لفظ يطلق بصفة عامة على الشعوب الناطقة بغير اللغة الإغريقية، (1) تماماً مثل ما أطلق العرب على الفرس وغيرهم لفظ (عجم) . أما الرومان فقد طوروا هذا اللفظ الى مفهوم سياسى وحضارى بمعنى الشعوب الأدنى منهم مرتبة وحضارة ، ويعيشون فى معزل عن الحضارة الرومانية العالمية، واطلقوا على جميع الشعوب التى خرجت عن طاعتهم اسم (بارباريكوم) أى بلاد البربر ، وهكذا عمت البربرية عندهم كل مالىس يونانيا أو رومانيا (2) . ويتضح من هذا القول أنه لا يوجد فى تاريخ السلالات البشرية جيل من الناس يعرف باسم البربر . أما سكان الشمال الإفريقي الذين أطلق عليهم الإغريق والرومان هذا الاسم ، وتوارثته الأجيال حتى الآن فهؤلاء كانوا يطلقون على أنفسهم لفظ (أمازيغ أو أمازيغ) أى الأحرار (3) . وبمجيء الفتح العربى الإسلامى للمنطقة حوالى القرن الأول الهجرى / السابع الميلادى ، تمت المحافظة على هذه التسمية ولم تغير لذيوعها وانتشارها والدليل على ذلك ورودها فى كتابات بعض المؤرخين العرب المسلمين . وقد اختلف المؤرخون العرب القدماء فى أصول هؤلاء السكان ، شأنهم شأن المؤرخين المحدثين ، وعذرهم فى ذلك المدى الزمنى الطويل الذى مر على سكن الإنسان للشمال الإفريقي ، بالإضافة الى عدم وجود وسائل البحث العلمى بين أيديهم . ورغم كل ذلك فهم قد فطنوا الى أن هنالك صلة نسب قديمة بين سكان شبه الجزيرة العربية وخصوصا اليمن وبين سكان الشمال الإفريقي . حيث يرى ابن خلدون ان لقبائل

---

(1) عبدالرحمن محمد الجيلالى . تاريخ الجزائر : (بيروت : 1965 م) ، ص 48 .

(2) أحمد صفر . مدينة المغرب فى التاريخ (تونس: داربوسلامة للنشر ، د-ت) ، ص 34 وما بعدها .

(3) المرجع نفسه ، ص 34 .



صنهاجة وكتامة نسب عربى قديم يعود الى اليمن (1) كما انه يرى أيضا أن اسم افريقيا ذاته مشتق من أحد ملوك التبابعة وهو أفريقش بن قيس بن صيفى (2) والواقع أن سيل الهجرات البشرية من شبه الجزيرة العربية كان متصلا منذ قرون عديدة . وإذا كان من الصعب تتبع صلة النسب القديمة بين العرب القدماء وبين سكان الشمال الإفريقى منذ عصور ما قبل التاريخ فإنه ليس من الصعب أن نتبع الاستاذ جرينبرج الذى يعد من أقدر علماء اللغات فى العصر الحاضر، فيما ذهب اليه من أن لغة البربر واللغات السامية ترجع كلها الى أصل واحد ، وقد سماها ( المجموعة الإفروآسيوية ) ، ولن تكن القرابة اللغوية قائمة دون أن تستند الى شىء من القرابة العرقية بين العرب وسكان الشمال الإفريقى (3) .

وتأسيسا على ماتقدم من متابعة حركة الهجرات البشرية الى الشمال الإفريقى عبر العصور التاريخية المختلفة نستطيع أن نؤكد : انه ومنذ أزمنة تاريخية قديمة خرجت أفواج متعددة من الهجرات البشرية من شبه الجزيرة العربية متجهة غربا وأستوطنت مناطق الشمال الإفريقى ، وهذا مايؤكد أن سكان المنطقتين يرجعون الى أصل واحد . وهذه الهجرات البشرية المتعاقبة على مر السنين كان بعضها قبل الإسلام وبعضها بعده . ومن هنا فإن عروبة الشمال الإفريقى مرت بمرحلتين أساسيتين هما : مرحلة ما قبل الإسلام ، وهى التى تمثلت فى الهجرات المتعاقبة التى جاءت من جنوب وشمال شبه الجزيرة العربية الى الشمال الإفريقى، ومرحلة ما بعد الإسلام، وهى التى تمثلت فى الهجرات التى أعقبت الفتح العربى الإسلامى،

---

(1) ابن خلدون 90/6 .

(2) المصدر نفسه، ص89 ، وقد فصل الحديث فى أصول البربر، راجع: ابن خلدون 89/6 وما بعدها .

(3) محمد عوض محمد . الشعوب والسلالات الإفريقية . ( القاهرة : الدار المصرية للتأليف والنشر ، 1965م )

والتي حملت معها الدين الجديد واللغة العربية الحديثة (1) .

ولما كان الشمال الإفريقي قد خضع لنفوذ الدولة العربية الإسلامية خضوعاً تاماً منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي وأصبح جزءاً من أجزاء الوطن العربي الكبير يسود فيه الدين الإسلامي والتراث الثقافي العربي المشترك ، فإن مصطلح (البربر) الذي أطلق على هؤلاء السكان من قبل الإغريق ، كما سلف ، لم يكن صائباً فالرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم لا يقر المضمون العرقي للعروبة، بل يراها رابطة حضارية وثقافية (2). كما تبنى اجتماع عربي تعريفاً للعروبة بقوله : " كل من يعيش في بلادنا ويتحدث لغتنا ، وتربى في ثقافتنا ، ويحس بالإعتزاز بأمجادنا ، فهو عربي " (3).

وبناء عليه ، فيجب على الباحثين إنكار مصطلح البربر وتأكيد عروبتهم بإضفاء مصطلح (العرب المغاربة) عليهم . ويقسم المؤرخون الذين عنوا بأنساب سكان الشمال الإفريقي هؤلاء السكان إلى قسمين هما البتر والبرانس (4) :

1- البتر : وهم سكان البادية الرحل الذين كانوا يعيشون على الرعي والتنقل ويتكونون من :- زناتة وزواغة وزوارة وتقزة ولواته ومزاتة ونفوسة ومغيلة ومطماطة ومططرة ومديونة (5) وغيرها وكل قبيلة تتكون من بطون وأفخاذ متعددة ، وتمتد مناطق سكنهم امتداداً متصلاً من طرابلس إلى تازا .

---

(1) محمد محمد أمين ، تطور العلاقات العربية الإفريقية في العصور الوسطى ، ص 66 .

(2) محمد عماره . العرب والتحدى . ( بيروت : دار الشروق ، 1991م ) ، ص 35 .

(3) عوني فرسخ . الأقليات في الوطن العربي : تراكمات الماضي وتحديات الحاضر واحتمالات المستقبل.

المستقبل العربي 1 ( 1989م ) ، ص 204 .

(4) ابن خلدون 89/6 .

(5) حسن أحمد محمود . قيام دولة المرابطين . (القاهرة : دار الفكر العربي ، 1956 ) ، ص 33

**2- البرانس :** وهم حضر مستقرون ، يعيشون على الزراعة وأهم قبائلهم صنهاجة وازداجة واوربة وعجيسة وكتامة واوربغة ولمطة وهسكورة وكزولة (1). ومن أهم قبائل البرانس : صنهاجة التي تتكون بدورها من مجموعة قبائل امتدت بطونها وفروعها الى مختلف أنحاء بلاد المغرب ، فهناك صنهاجة الشمال في المغرب الأدنى والأوسط ، وصنهاجة الجنوب التي كانت قبائلها تعيش في أرض موريتانيا الحالية مصابقة لبلاد السودان الغربى. ومن أهم فروعها: لتونة وجدالة ولمطة ومسوفة وجزولة . وصنهاجة الجنوب هم امتداد لصنهاجة الشمال والإختلاف بينهما هو أن صنهاجة الجنوب كانوا يتلثمون أو يتقنعون ولهذا سموا بصنهاجة اللثام أو الملثمين ولعلمهم أخذوا هذه العادة من الزوج المجاورين لهم في الجنوب والذين استخدموا الأقنعة لدفع العين الشريرة الحاسدة عنهم (2) . والصنهاجيون الملثمون أو صنهاجة اللثام ، وهم موضوع حديثنا ، هم بدو رحل ينتجعون الكلاء ويتبعون المطر ، وقد وصفهم صاحب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية بقوله : "ظواعين رحالة في الصحراء لايطمئن بهم منزل ، وليست لهم مدينة يأوون اليها ومراحلهم في الصحراء مسيرة شهرين في شهرين" (3) .

ومن أهم هذه القبائل الصنهاجية والتي كانت تعيش مصابقة لبلاد السودان الغربى هي : لتونة ومسوفة وجدالة ، ولئن كانت الآراء تتضارب حول نسب

---

(1) ابن خلدون 90-89/6 .

(2) أحمد مختار العبادى فى تاريخ المغرب والأندلس . (بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر،

1978م) ، ص 16 .

(3) مجهول . الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق : سهيل زكار وعبدالقادر زمامة .

(الدار البيضاء : دار الرشاد الحديثة ، 1982م) ، ص 17 .

صنهاجة شأنهم فى ذلك شأن معظم قبائل العرب المغاربة وكما سلف الإيضاح فإن الإنتماء العربى ظل الظاهرة الأكثر شيوعا ووضوحا ، وخاصة بعد أن تبناوا اللغة العربية وأعتنقوا العقيدة الإسلامية . ولقد توزعت هذه القبائل الثلاث ، لمتونة فى شمال الصحراء ثم تليها مسوفة فى الجنوب الشرقى ثم جدالة بالقرب من نهر السنغال . وقد وصفهم ابن حوقل قائلا : (... فلم يروا قط حاضرة ولا عرفوا غير البادية العازبة ، يقيمون بقلب البر على مياه غير طائفة لا يعرفون البر ولا الشعير ولا الدقيق ومنهم من لم يسمع بهما . الا بالمثل وأقواتهم الألبان وفى بعض الأوقات اللحم ..."(1) .

وعن أمتداد قبائل جدالة عبر الجنوب الغربى من مضارب لمتونة يقول البكرى : (... أن جدالة يحاورون البحر ليس بينهم وبينه أحد ... ) (2) ويقصد المحيط الأطلسى . وقد استطاعت هذه القبائل بحكم موقعها أن تحكم سيطرتها على كل المنطقة وأن تتحكم فى طرق التجارة ، وتتحصل على مبالغ مالية مقابل السماح بمرور القوافل التجارية التى ظلت تجوب المنطقة أمدا طويلا .

وقد تحدث ابن خلدون عن هذه القبائل وموطنها وديانتها وتقسيماتها واحوالها عموما بقوله : ... هذه الطبقة من صنهاجة هم المثلثون الموطنون بالقفز وراء الرمال الصحراوية بالجنوب ، ابعدوا فى المجالات هنالك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها ، فاصحروا عن الأرياف ، ووجدوا المراد ، وهجروا التلول وجفوها ، واعتاضوا منها بالبان الأنعام ولحومها انتباذا عن العمران ، واستئناسا بالانفراد وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر ، ونزلوا من ريف الحبشة جوارا وصاروا حجزا واتخذوا اللثام خطاما تميزوا بشعاره بين الأمم ، وعفوا فى تلك

---

(1) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 333 .

(2) البكرى ، المصدر السابق ، ص 164 .



البلاد وكثروا وتعددت قبائلهم من كدالة ، فملتونة، فمسوفة، فوتريكا فتاو كا ،  
فزغاوة ، ثم لمطة اخوة صنهاجة كلهم مايين المحيط بالمغرب الى غدامس من قبله  
طرابلس وبرقة وللمتونة فيهم بطون كثيرة فهم تبسو ورتنطق وبنوزمال  
وبنوصولان وبنوناسحة، وكان موطنهم من بلاد الصحراء يعرف كاكرم ،  
وكان دينهم المجوسية شأن برابرة المغرب ، ولم يزالوا مستقرين بتلك المجالات  
حتى كان اسلامهم بعد فتح الأندلس " (1) .

وصنهاجة الجنوب أو المثلثين هي التي أمتزجت مع سكان السودان الغربى  
وشاركت فى صنع أحداثه ، وهذا ماستم الإشارة اليه فى الفقرات القادمة من  
هذا الفصل .

### ثالثا :-التأثير العربى الإسلامى فيما بين القرنين السابع والحادى عشر الميلاديين .

أدى ظهور الإسلام فى القرن الأول الهجرى/ السابع الميلادى الى تعاظم  
وشائج الإتصال العربى بإفريقيا ، فقد أمد الإسلام العرب بسياج دينى وفكرى  
ساعدهم على خلق وحدة بينهم وازدهار نهضتهم الثقافية . ومنذ البدء صار  
الإسلام الركيزة الأساسية للثقافة العربية الجديدة ، مثلما أصبحت اللغة العربية  
(لغة القرآن الكريم ) وعاء الفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية . وتحت راية  
الإسلام خرج العرب لإعلاء كلمة الله وفى زمن وجيز تمكنوا من نشر الإسلام  
فى أجزاء كثيرة من القارة الإفريقية . وسار الدعاة العقيدة الجديدة على ذات  
الطرق التى سار عليها أجدادهم من قبل من أجل التجارة والهجرة . وأدى هذا

---

(1) ابن خلدون 181/6 .

التطور الكبير في حياة العرب الى حدوث نقلة نوعية في تاريخ العلائق الثقافية بين العرب والأفارقة . فوق دعائم التعامل التجاري والهجرات قام العرب بدور أساسي في نشر العقيدة الإسلامية ، وساعد انتشار الإسلام على رواج كثير من مظاهر الثقافة العربية كاللغة وتمثل النسب العربي ، وعليه أعطى الإسلام لهذه العلاقات بعدا عقائديا ، وأعطتها اللغة العربية محتوى لغويا وثقافيا (1) . وبعد أن أستقر الفاتحون في الشمال الإفريقي ورسخوا وجودهم هنالك بدأت المؤثرات العربية الإسلامية تنساح جنوبا الى مناطق ما وراء الصحراء ، وقد تمكنوا من عبور مسالك الصحراء ومفارقاتها ودروبها لأنها تشابه الى حد بعيد بلادهم . وبما أن التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي قد مر بمراحل وساهمت وسائل عديدة في توطيد مرتكزاته ، فإن هذه الدراسة سوف تستعرض هذا التأثير خلال الفترة المذكورة على النحو التالي :-

إن من أولى الإشارات التي وردت في التاريخ الإسلامي عن تفكير قادة الفتح العربي الإسلامي في توسيع فتوحاتهم غربا صوب شمال إفريقيا وغربها لنشر الإسلام ، هو ما أورده المؤرخ ابن عبد الحكم 803م-870م ، وذلك أن عمرو بن العاص والى مصر من قبل الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبعد أن فتح طرابلس عام 22 هـ / 642م كتب الى الخليفة عمر بن الخطاب يخبره بفتح طرابلس ويستأذنه في مواصلة فتوحاته غربا في إفريقيا بقوله : " ان الله قد فتح علينا طرابلس وليس بيننا وبين إفريقيا الا تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل فكتب اليه عمر لا أنها ليست بإفريقيا ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد

---

(1) يوسف فضل الله حسين . " الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية " ، العرب وإفريقيا .

( بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1984 م ) ، ص 28 وما بعدها .

ما بقيت . " (1) . وعندما تولى الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه عزل عمرو بن العاص وولى عبدالله ابن ابي السرح مكانه وأذن له فى فتح أفريقيا ، وقد فتح قرطاجنة سنة 27هـ / 647م وتبعه معاوية بن حسيب فواصل فتوحه ثم تبعه عقبة بن نافع الفهري عام 46 هـ / 666م فأختط مدينة القيروان عام 50 هـ / 670م (2) ، وواصل فتوحاته حتى وصل بلاد السوس الأقصى ، وفتح قاعدتها تارودانت . وأستمر توافد الهجرات العربية الإسلامية على تلك الجهات بعد الفتح ، وأخذ الإسلام ينتشر بين سكان تلك الجهات وأسلم كثير من قبائل المثلثين الضاريين فى جوف الصحراء الكبرى ، والذين كانت ديارهم تحتلط بديار السودان ، بل تذهب بعض الروايات التاريخية إلى القول بأن: عقبة بن نافع قد أوغل فى بلاد السودان وفتح بلاد التكرور وغانة (3) . وبعد إستشهاد عقبة بن نافع (63هـ / 684م) واصل موسى بن نصير العمل على نشر الإسلام بين قبائل المثلثين وأرسل إلى بلاد السودان الغربى المبشرين والدعاة والفقهاء لينشروا الإسلام بينهم ويفقهونهم فى أمور دينهم . وقد ذكر ابن خلدون ذلك بقوله : "إن موسى بن نصير اتحن فى البربر ودوخ المغرب وادى إليه البربر الطاعة وولى على طنجة طارق بن زياد وأنزل معه سبعة وعشرين الفا من العرب واثنى عشر الفا من البربر وأمرهم أن يعلموا البربر القرآن والفقه ثم أسلم بقية

---

(1) ابن عبدالحكم . فتوح مصر وأخبارها . (بغداد: مكتبة المتنى، د-ت) ص 173 . أما المقصود بلفظ إفريقيا الوارد فى النص فهو مدينة قرطاجنة عاصمة الشمال الإفريقى آنذاك وموقعها قرب مدينة تونس الحالية ، وبذا تكون المسافة بينها وبين أطرابلس ، هكذا وردت فى النص ، تسعة أيام على ماورد فى رواية ابن عبدالحكم المشار إليها .

(2) ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص 318 وما بعدها

(3) البكرى ، المصدر السابق ، ص 179 .

البربر على يد اسماعيل عبدالله بن ابي المهاجر سنة إحدى ومائة" (1) .

## 1- نشر الإسلام في مملكة غانة :-

كانت السلطة المركزية في أوائل القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي في السودان الغربي هي التي تشكلها مملكة غانة التي أفاضت بعض المصادر والمراجع التاريخية في وصف توسعها وثوراتها (2) ، حيث شملت معظم مساحات السودان الغربي من منحني نهر النيجر ونهر السنغال في الجنوب الى وادي نون في الشمال في قلب الصحراء ، وسيطرت على مناجم الملح في الشمال ومناجم الذهب في الجنوب ولذا سمي ملوكها (ملوك الذهب) ، وأحتكرت تجارة هاتين السلعتين الهامتين جدا وبسطت نفوذها على طرق التجارة الصحراوية ، بل وأمتد سلطانها على قبائل الملثمين الضارين في أعماق الصحراء الكبرى حتى قال عنها محمود كعت : "دولة كيمع سلطان المغرب كله بلا استثناء" (3) . ولفظ كيمع أو كيمغ معناه : ملك الذهب (4) . ويبدو أن هذا اللقب أطلق على بعض ملوك غانة ومن بينهم الملك كنسعى الذي

---

(1) ابن خلدون 101/6 .

(2) مثل : ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص71 وما بعدها ، والبكري ، المصدر السابق ، ص159 وما بعدها ، وحسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص73 وما بعدها ، وابراهيم طرخان ، امبراطورية غانة الإسلامية ، ص25 وما بعدها وغيرهم.

كما تشير جملة المصادر والمراجع التاريخية المذكورة الى ان مملكة غانة قديمة وترجع الى القرن الأول الميلادي أو ما قبلها .

(3) كعت ، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، تحقيق هوداس

( باريس : 1913م ) ، ص41 .

(4) المصدر نفسه ، ص41 .



كان معاصرا لرسول الله (صلعم) (1) ، ورغم قدم مملكة غانة ، كما سلفت الإشارة ، إلا انها لم تبلغ ذروة مجدها وعظمتها إلا فى الفترة ما بين القرنين الثالث الهجرى / التاسع الميلادى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى وخلال هذه الفترة ظهرت المؤثرات العربية الإسلامية واضحة فيها . إذ وصف البكرى عاصمة المملكة وهى غانة أو كومبى صالح \* بقوله : " مدينة غانة مدينتان سهيلتان ، أحدهما التى يسكنها المسلمون وهى مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا أحدهما يجمعون فيه وله الأئمة والمؤذنون والراتبون وفيها فقهاء وحملة علم ... ومدينة الملك على بعد ستة أميال من هذه وتسمى الغابة . " (2) . ويبدو أن هذه المؤثرات صارت فى تصاعد إذ نجد الشريف الأدريسى ، الذى سجل وصفا لغانة بعد أكثر من مائة عام من وصف البكرى لها يقول : "... وغانة مدينتان على ضفتى البحر الحلو وهى أكبر بلاد السودان قطرا وأكثرها خلقا وأوسعها متجرا ... وأهلها مسلمون . " (3) ووصفها القلقشندى بقوله : "... انها مدينتان على ضفتى نيلها ، إحدهما يسكنها المسلمون والثانية يسكنها الكفار . " (4) . ويورد لوثرروب ستودارد معلومة عن وصول التأثير العربى الإسلامى مبكرا الى غانة بقوله : " كانت فى غانة فى أوائل القرن الثامن

---

(1) الصفحة نفسها .

\* كومبى صالح : كومبى فى لغة الزنج مدينة صالح اسم عربى ، وتعنى الكلمة بمجموعة مدينة صالح . ويعتقد أن صالح هو مؤسس المدينة ، وهذا دليل على أن التأثير العربى الإسلامى قد وصل مبكرا الى تلك البقاع .

(2) البكرى ، المصدر السابق ، ص 175 .

(3) الأدريسى . نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق . (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د-ت ) مج 1، ص 23

(4) القلقشندى 284/5 .

للميلاد اثنا عشرة مدرسة للقرآن . (1) . ومن الأدلة على خضوع غانة للمؤثرات العربية الإسلامية ما أكدته الحفريات الأثرية الحديثة التي أجريت في موضع غانة ، حيث وجد المنقبون رماحا وسكاكين وعددا كبيرا من الحراب والمسامير وأدوات زراعية متنوعة ومقصا بديع الصنع واعدادا من الأوزان الزجاجية يرجح أنها كانت تستعمل لوزن الذهب كما عثروا على بقايا من الفخار وعلى سبع وسبعين قطعة من الحجر المزين بالألوان ، كان على ثلاث وخمسين منها آيات من القرآن الكريم كتبت بالحروف العربية (2) .

والراجح إن الإسلام قد عرف بغانة قبيل حركة المرابطين ، إذ يقول القلقشندي عن إسلام أهل غانة: " وكان أهلها قد أسلموا أول الفتح " (3) . وإن نمو الحى الإسلامى بعاصمة غانة أو المدينة الإسلامية وغيرها من المظاهر العربية الإسلامية من شعائر دينية ومساجد وغيرها ، لا يعقل أن تكون قد ظهرت فجأة وخلال وقت قصير . ومن الظواهر البارزة فى تاريخ مملكة غانة ان المسلمين ، لأهميتهم وثقافتهم ونشاطهم سواء أكانوا من الوطنيين أو العناصر العربية التى أستوطنت المنطقة ، قد تمتعوا بإحترام وتقدير واضح من قبل الملوك الوثنيين ووجود أثنى عشر مسجدا دليل واضح على هذا الإحترام، وقد وصف البكرى ذلك (4) . وقد إزداد وضوح المؤثرات العربية الإسلامية فى مملكة غانة وذلك فى الفترة التى أعقبت حركة المرابطين وذلك مما سيتم استيضاحه فى إطار دعم المرابطين للمؤثرات العربية الإسلامية .

---

(1) لوثرروب ستودارد . حاضرم العالم الإسلامى ، ترجمة عجاج نويهض ، تعليق الأمر شكيب أرسلان

(بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1973م ) ، ص 368 .

(2) بازل دافدسن ، المرجع السابق ، ص 141 .

(3) القلقشندي 284/5 .

(4) البكرى ، المصدر السابق ، ص 175 .

## 2- المملكة الصنهاجية الإسلامية :-

من المعروف أن قبائل صنهاجة تتكون من لمتونه ومسوفه وجداله و كانت هذه القبائل الصنهاجية تنزل بالصحراء الكبرى ما بين المحيط الأطلسي في الغرب وغدامس في الشرق وكانت ديارهم تختلط بديار السودان ، وقد وضع عقبة بن نافع الفهري ثم موسى بن نصير اللبنة الأولى في نشر الإسلام بين هذه القبائل . وتؤكد المصادر التاريخية انه ما أن أنجز موسى بن نصير مهمة فتح بلاد الأندلس ، وتوقفت الفتوحات في تلك الأنحاء ، حتى هب المثلثون لفتح بلاد السودان مشاركة منهم في الجهاد في سبيل الله وتحمسا لدينه وأتحدت قبائلهم تحت زعامة قبيلة لمتونة ، واستوثق لهم ملك ضخيم منذ دولة عبدالرحمن بن معاوية الداخل في الأندلس سنة 138هـ / 755 م توارثه ملوكهم فيما بعد (1) .

وأخذ هؤلاء المثلثون مدينة أوداغست كعاصمة ومركز لدولتهم الإسلامية الناشئة التي امتدت خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي من المحيط الأطلسي غربا الى قلب الصحراء شرقا(2) وضمت مساحتها فيما يقول البكري: " مسيرة شهرين في مثلها" (3) ، وقد تركز نشاط هذه المملكة على نشر الإسلام جنبا الى جنب مع تنشيط حركة التجارة بين بلاد السودان الغربي وبين شمال افريقيا .

وكانت أهم السلع المطلوبة في بلاد السودان هي الملح ، مما جعل ملوك المملكة الصنهاجية يكتسبون أهمية كبرى نتيجة سيطرتهم على مصادر الملح والطرق التجارية التي تمر بها القوافل التجارية الحاملة لهذه السلعة البالغة الأهمية . يقول

---

(1) ابن خلون 181/6.

(2) J,D: fage : An Introduction to the History of West Africa

(Cambridge , 1959), P. 21.

(3) البكري ، المصدر السابق ، ص 159 .

ابن حوقل : "وحاجة ملوك السودان الى ملوك أوداغست ماسة من أجل الملح الخارج اليهم من ناحية الإسلام ، فإنه لأقوام لهم إلا به " (1) .

وقد وصف ابن خلدون جهود هذه المملكة فى نشر الإسلام بتلك المناطق بقوله : "... ودوخوا تلك البلاد الصحراوية وجاهدوا من بها من أمم السودان وحملوها على الإسلام فدان به كثيرهم وأتقاهم آخرون بالجزية فقبلوها منهم " (2) .

وتتحدث المصادر والمراجع التاريخية المختلفة عن الدور الهام الذى لعبه الملك الصنهاجى تبوتان (Tibotan) الذى كان شديد الحماس لنشر الإسلام بين رعاياه ، وبين أهالى السودان الغربى المجاورين له من ناحية الجنوب (3) . وقد اتسعت المملكة الصنهاجية وترامت أطرافها حتى أصبحت مسيرة أيام من منحنى نهر النيجر وخاصة فى عهد تبوتان (ت 222هـ / 837 م) الذى أخضع قبائل الصحراء ، وارغم ملوك السودان المتأخمين لدولته على دفع الأتاوات نظير تأمين عبور قوافلهم التجارية (4) . ويبدو أن هذه الدولة تعرضت فى بعض الأحيان الى حالات من الضعف نتيجة الصراعات الداخلية ، أدت الى سيطرة مملكة غانة على العاصمة أوداغست. وبعد حالات الضعف والتشتت استطاعت قبيلة لمتونة أن تلم شعث الملتمين فى وحدة قوية بزعامة الملك تين يروتان بن ونسيو بن نزار الأودغستى ، وهو رجل من صنهاجة ، وكان قد بلغ من سعة النفوذ وقوة السلطان ، مما جعله سيدا على أكثر من عشرين من ملوك السودان كلهم يؤدى

---

(1) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 98-101.

(2) ابن خلدون 181/6.

(3) ابراهيم طرخان ، امبراطورية غانة الإسلامية ، ص 42

(4) ابن خلدون 181/6-182 .



له الجزية (1) وكان هذا الملك يحكم فى الفترة ما بين 961-971 م (2) .  
وأخر مرحلة من مراحل قوة المملكة الصنهاجية الإسلامية هى المرحلة التى تولى فيها الملك اللمتونى (تارسينا أو تارشينا) ، الذى يعد أول ملك صنهاجى مسلم  
لقى شهرة كبيرة . ومما يروى عنه انه ذهب الى مكة المكرمة لتأدية فريضة الحج ،  
وأعتنق فكرة الجهاد الإسلامى دفاعا عن الدين والدولة ولرد عدوان أعدائه  
الوثنيين وقد مات وهو يحاربهم حوالى عام 1023م (3). وقد تحدث عنه ابن  
خلدون بقوله : "...قام فيهم ابو عبيد الله بن تيفات المعروف بناصر اللمتونى  
فاجتمعوا عليه وأحبوه وكان من أهل الدين والصلاح وحج وهلك لثلاثة أعوام  
من رياسته فى بعض غزواته وقام بأمرهم صهره يحيى بن ابراهيم ."(4). ويتولى  
يحيى بن ابراهيم الجدالى مقاليد الأمور فى المملكة الصنهاجية الإسلامية تكون وقد  
وضعت اللبنة الأولى لحركة المرابطين ( القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر  
الميلادى ) تلك الحركة التى أعطت سندا سياسيا للتأثير العربى الإسلامى فى  
السودان الغربى ، وذلك كما سيأتى ذكره. ورغم إصرار بعض الدراسات  
التاريخية على الإشادة بالفتح المرابطى للسودان الغربى وإعتباره فاتحة لتدفق التجار  
والدعاة والبدو والفقهاء والعلمين على المنطقة ، مما يعنى فتح الباب على  
مصراعيه أمام مؤثرات الحضارة العربية الإسلامية فى المنطقة فإنه يبدو أن تغفل  
المؤثرات العربية الإسلامية فى المنطقة سابقة لمرحلة جهاد المرابطين والدليل على  
ذلك جملة من الإشارات التاريخية من بينها ما أشار اليه القلقشندى من أن سكان

---

(1) البكرى ، المصدر السابق ، ص 159 .

(2) ابراهيم طرخان ، امبراطورية غانة الإسلامية ، ص 42

(3) Trimming ham :Ahistory of Islam in West Africa .P.22 ( 3 )

(4) ابن خلدون 6/182 .

غانة قد أسلموا فى أول الفتح الإسلامى (1)، وماأورده البكرى من خلال إشارته الى وصول جيوش بنى أمية واستقرار بقاياهم بتلك المنطقة حيث قال: "... وببلاد غانة قوم يسمون بالهنيهين من ذرية الجيش الذى كان بنو أمية انفذوه الى غانة فى صدر الإسلام وهم على دين أهل غانة الا أنهم لاينكحون فى السودان ولاينكحوهم فهم بيض الألوان، حسان الوجوه ."(2).ومن هذه الإشارات ما أورده البكرى فى وصفه لمدينة غانة (3) ، وفى وصفه للقسم الوثنى منها (4) . وكذلك إشارته الى دخول العناصر العربية المسلمة فى دواوين الملوك الغانيين كمرّجّمين وموظفين ووزراء (5) وقد أشارت بعض الروايات التاريخية الى الإتصال المبكر للفاتحين المسلمين بتلك المنطقة ، وذكرت ان عقبة بن نافع استطاع أن يدرك بلاد السودان الغربى ويصل الى منحى نهر النيجر ومصب نهر السنغال وقد بقيت ذكره تنبعث عبر الأجيال متمثلة فى حرص بعض القبائل فى غرب افريقيا على الإنتساب إليه (6) . وفى هذا الصدد أشار الرحالة بارث (Barth) الى أن الرواية المحلية السودانية تؤكد انه كان بغانة جالية

---

(1) القلقشندي 284/5

(2) البكرى ، المصدر السابق ، صـ179

(3) المصدر نفسه ، صـ175 .

(4) الصفحة نفسها .

(5) الصفحة نفسها .

(6) جمال زكريا قاسم . "الروابط العربية الإفريقية قبل حركة الكشف الجغرافية وبدء حركة الإستعمار

الأوروبى فى القرن الخامس عشر " . العلاقات العربية الإفريقية ، دراسة تاريخية للآثار السلبية للإستعمار

القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، 1977م ، صـ26 .

إسلامية وعدد من المساجد منذ عام 60 هـ / 680م (1). هذا وغير ذلك من الإشارات التي وردت أثناء الحديث عن إنتشار الإسلام بغانة.

#### رابعاً :- جهاد المرابطين في السودان الغربي ونتائجه :-

للإمام بالأثر الهام الذي أحدثه جهاد المرابطين من كسر للحاجز الوثني وإدخال المؤثرات العربية الإسلامية الى مناطق السودان الغربي ، وفتح الطريق على مصراعيه أمام التجار والدعاة والمعلمين والفقهاء والمهاجرين الى السودان الغربي . للإمام بكل ذلك يستلزم تحديد المنطقة التي ظهرت فيها هذه الدعوة ، والتي مارست فيها جهادها وخلفت فيها آثارا هامة . انطلقت حركة المرابطين من صحراء شنقيط \* أوما يسمى اليوم موريتانيا ، وتشبه هذه الصحراء الشاسعة البلاد الحجازية أرضا وماشية ونباتا " (2) أو تحدها من الجنوب بلاد السودان حيث مملكة غانة ومن الغرب المحيط الأطلسي ، أو بحر الظلمات كما كان يعرف

---

(1) H ,Barth : Travels and discoveries in North and central Africa vol,iv, P.579.

\* شنقيط أو شنقيط كانت في الأصل تطلق على قرية من قرى ولاية ادرار الموريتانية ، ومعناها : عيون الخيل ، ويقال أنها بنيت أول الأمر في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ثم حددت في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي في موضعها الحالي ، ولم يلبث اسمها ان اطلق على القطر كله ، وصار أهل البلاد عموما يعرفون بالشناقطة .

أنظر : محمد يوسف مقلد . شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون . (الدار البيضاء : مكتبة الوحدة العربية ، 1962م) ، ص 56 ؛ الخليل النحوي . شنقيط المنارة والرباط . (تونس : المنظمة العربية للعلوم والثقافة ، 1987م) ، ص 20 .

(2) احمد مختار العيادي ، الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين ، ص 48 .

قديمًا ومن الشرق نهر النيجر عندما يلتوى شمالًا إلى جهة تمبكتو ومن الشمال منطقة سجلماسة التي يقال لها اليوم تافيلالت \* . في هذه الصحراء كانت تعيش صنهاجة اللثام ، ومن أشهرها : قبيلة لمتونة في شمال الصحراء ، ثم تليها جنوبًا قبيلة مسوفة ، ثم قبيلة جدالة بالقرب من نهر السنغال (=نهر صنهاجة) ، ونهر النيجر ، وساحل المحيط الأطلسي . ولقد انتشر الإسلام بين هذه القبائل عن طريق السرايا العسكرية التي أرسلها حكام المغرب الأوائل ومن بينها نقلا عن رواية ابن عبدالحكم(1) حملة أرسلها وإلى المغرب عبيد الله بن الحبحاب بقيادة حبيب بن أبي عبيدة الفهري ، حفيد عقبة بن نافع إلى صحراء موريتانيا وارض السودان . وازداد تدفق العقيدة الإسلامية بفعل التجار الذين كانوا يجوبون هذه المناطق ، ورغم كل هذه الجهود فإن اسلام هذه المناطق كان ضعيفا وسطحيا وذلك حتى ظهور المرابطين على مسرح الأحداث في أوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، حيث قام المرابطون بدور هام في نشر تعاليم العقيدة الإسلامية بين تلك القبائل المتناحرة . ويرجع الفضل في قيام الحركة المرابطية إلى زعيم سياسي هو الأمير يحيى بن ابراهيم الجدالي \*\* ، وإلى زعيم ديني هو الفقيه عبدالله بن ياسين الجزولي \*\*\* ، وكلا الرجلين ، وكما هو واضح من اسميهما من أصل صنهاجي . وتتابع الآن صاحب كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، وهو من أهم المصادر التي أرخت للحركة المرابطية ، تتابع حديثه

---

\* تافيلالت الحالية تقابل مقاطعة سجلماسة القديمة ، أما مدينة سجلماسة فتقابلها اليوم مدينة الريساني

انظر : احمد مختار العبادي ، الصفحات الاولى من تاريخ المرابطين ، ص 40 .

(1) ابن عبدالحكم ، المصدر السابق ، ص 218 .

\*\* الجدالي : نسبة إلى قبيلة جدالة الصنهاجية .

\*\*\* الجزولي : نسبة إلى قبيلة جزولة الصنهاجية .



عن بداية الدعوة المرابطية، حيث يقول "...والموجب لخروجهم من الصحراء الى وطن المغرب ، أن أحد بنى جدالة ، ويعرف يحيى بن ابراهيم كان قد توجه لأداء فريضة الحج ، واجتاز فى إيباه على مدينة القيروان .. . وحضر بها مجلس الفقيه المدرس ابي عمران الفاسى ، فسأله عن قبيلته ووطنه ، فذكر له أنه من الصحراء من قبيلة جدالة أحد قبائل صنهاجة ، فقال له الفقيه مامذهبكم ؟ فقال له : مالنا علم من العلوم ، ولا مذهب من المذاهب ، لأننا فى الصحراء منقطعون لا يصل إلينا الا بعض التجار الجهلاء حرفتهم الإشتغال بالبيع والشراء لا علم عندهم وفيما أقوام يحرصون على تعلم القرآن، وطلب العلم ويرغبون فى التفقه فى الدين لوجدوا الى ذلك سبيلا فعسى ياسيدنا أن تنظر من طلبتك من يتوجه معنا الى بلادنا ليعلمنا ديننا فقال له الفقيه: سأنظر لك فى ذلك ان شاء الله وعرض الفقيه الأمر على الطلبة ، فلم يوافق أحد، لبعد الشقة، والانقطاع فى الصحراء ، فدلّه على رجل من فقهاء المغرب الأقصى ، استوطن بالوس يدعى : وكاك بن زولو كان مشهورا بالخير والعبادة ، كانت بينهما معرفة ، فخاطبه فى القضية ، وأكد عليه بالمشاركة فيها ، فلما وصل يحيى بن ابراهيم المذكور ، اجتمع به ، واكرمه ، واجتمع به ودفع اليه كتابه ، فرحب به واكرمه ، واختار له رجل يعرف بعبدالله بن ياسين الجزولى من طلبة الشيخ المذكور فأرسله معه ، ودخل الصحراء ، الى بلاد جدالة ، وهو مع يحيى بن ابراهيم "(1) . ورغم اجماع المؤرخين على فحوى هذه القصة مع بعض الاختلافات الطفيفة، فإن الموضوع المختلف عليه بين المصادر التاريخية التى ارجحت للمرابطين، هو تاريخ خروج يحيى بن ابراهيم لهذه المهمة فقد ذهبوا فى ذلك مذاهب شتى .

---

(1) الحلل الموشية ، المصدر السابق ، ص 19-20 ، أما لفظ "القيروان" الوارد فى النص فهو لفظ فارسى

دخل فى العربية ومعناه محط الجيوش ومناخ القافلة وموضع اجتماع الناس فى الحرب .

فالقلقشندى ، يرى أن تاريخ رحلة يحيى بن ابراهيم هو سنة 440 هـ (1)، وابن الأثير (2) يرى انه خرج عام 428 هـ ، اما ابن ابى زرع (3) يرى ان تاريخ خروجه هو عام 427 هـ أو 428 هـ، وحيث ان كل الروايات تؤكد قصة اللقاء مع ابى عمران الفاسى ، وان كتب التاريخ والتراجم والطبقات تؤكد ان ابا عمران الفاسى قد توفى سنة 430 هـ فإنه من المنطقى أن تكون هذه الرحلة قد وقعت سنة 427 هـ أو 428 هـ أو 429 هـ على الأكثر، وذلك طبقا لرواية ابن ابى زرع ورواية ابن الأثير ويتضح من النصوص التاريخية ان ابن ياسين لم يجد ما كان يتوقعه من قبول لمبادئه ودعوته الإصلاحية . وتفسير ذلك ان المجتمع اللمتونى كان غارقا فى الجهالة والبعد عن مبادئ الدين الصحيحة ، وهذا ما دعاه الى التفكير فى الإعتكاف والإعتزال فيما سمي تاريخيا باسم (رباط ابن ياسين) ، ويحدد حسن أحمد محمود فى دراسته للمرابطين موقع رباط عبدالله ابن ياسين بأنه فى جزيرة تقع أمام مصب نهر السنغال حيث تتصل بالبر صيفا وتغمرها المياه شتاء (4). ويبدو أنه كان أمام ابن ياسين مهمتان هما :-

- 1- اصلاح عقائد القبائل الصنهاجية وغيرها من القبائل التى ظهر بينها المشعوذون والمتنبئون وخاصة فى المغرب الأقصى .
- 2- مجاهدة القبائل الزنجية الوثنية ومملكة غانة ، التى تصاقبهم من الناحية الجنوبية والشرقية وتسيطر على المسالك التجارية الهامة. وتخبرنا المصادر التاريخية ان

---

(1) القلقشندى 189/5 .

(2) ابن الأثير. الكامل فى التاريخ ، راجعه وصححه : محمد يوسف الدقاق .(بيروت :

دار الكتاب العلمية )، ج 8 ، ص 330 ومايلها .

(3) ابن ابى زرع .الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب ، وتاريخ مدينة فاس .

( الرباط 1973م ) ، ص 36 .

(4) حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص 125 .

الإمام عبدالله بن ياسين قد استشهد وهو يقاتل قبائل برغواطة بالمغرب الأقصى (1) وتولى من بعده القيادة الروحية والسياسية للمرابطين الأمير ابو بكر بن عمر ، الذى لعب دورا أساسيا فى تاريخ الحركة المرابطية . وبعد أن حقق ابن عمر انتصارات فى الشمال قرر العودة الى الجنوب ليلعب دورا هاما فى مسار الأحداث .

## 1- الصراع المرابطى - الغانى

يرى بعض المؤرخين أن عودة الأمير ابوبكر بن عمر الى الجنوب ، كانت بسبب تنامى أخبار عن وقوع اضطراب بين القبائل الصحراوية الصنهاجية ، ولاسيما ملتونة وجدالة ، ونضيف الى أسباب العودة الى الجنوب هو أن الأمير ابابكر قرر العودة الى الصحراء ، وترك مباحج الحياه الرغدة فى الشمال ، حيث استخلف ابن عمه يوسف بن تاشفين على الشق الشمالى من الدولة ، فى عاصمتهم الجديدة مراكش ، عمل ذلك ليؤدى رسالته التى خلدته بين عظماء المجاهدين ، وهى مجاهدة القبائل الزنجية الوثنية وعلى رأسها مملكة غانه ، وكسر الحاجز لتدفق المؤثرات العربية الإسلامية الى ماوراء الصحراء . وتحدثنا الروايات التاريخية ان المرابطين قد قاموا عام 1054 م بفتح أوداغست ، واستردوها من مملكة غانه التى سبق وان اغتصبتها من المثلثين (2) وهدف المثلثون من احتلالهم اوداغست ذات الأهمية التجارية والإستراتيجية الى تحقيق عدة أغراض هى الإستيلاء على هذه المدينة الهامة، والثأر لما حاق بالمثلثين من هزيمة،

---

(1) الحلل الموشية ، المصدر السابق ، ص 23 .

(2) محمد عبدالله عنان . عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف

والترجمة ، 1964م) ، ص 65

ولنشر الإسلام (1) وقد أوغل المرابطون جنوبا فى السودان الغربى ، ودليلنا على ذلك ان المؤرخين يتكلمون عن أن ملك التكرور حالف المرابطين وخاض الحرب الى جانبهم (2). واذا ما علمنا أن شعب التكرور يضرب الى الجنوب من ملك غانة، أدركنا أن المرابطين قد أوغلوا فى ديار غانة حتى أشرفوا على ديار التكرور. وبعد الوجهة الى الشمال التى اتجهتها الحركة المرابطية، كما سلفت الإشارة، اتجهت جموع المرابطين جنوبا لتصفية بقية الحساب مع مملكة غانة الوثنية ، وحقت عليها انتصارا حاسما بإحتلال عاصمتها كومبى صالح عام 469 هـ / 1076 م، وأقاموا عليها حاكما مسلما (3). وبافتتاح المرابطين لكومبى صالح قاموا بنشر الرباطات وبناء المساجد. وواصل الأمير أبوبكر بن عمر فتح بلاد السودان حتى وصل الى بلاد ونجارة حيث مناجم الذهب . ويصف ابن ابى زرع ما وصل اليه الأمير ابوبكر بن عمر من سلطان بقوله: " استقام له أمر الصحراء الى جبل الذهب من بلاد السودان " (4) ، وواصل حملاته العسكرية ضد الممالك الزنجية الوثنية المجاورة ، الى أن أستشهد بسهم مسموم عام 480 هـ / 1087 م . (5). وترك الأمير ابوبكر بن عمر مقاليد الأمور من بعده لابنه يحيى الذى واصل نشر الإسلام على رأى صاحب الحلل الموشية الذى يقول : "... وأسلم أهل غانة وحسن اسلامهم عند خروج الأمير

---

(1) البكرى ، المصدر السابق ، ص 150.

(2) المصدر نفسه ، ص 167 - 168 .

(3) ابراهيم طرنحان ، امبراطورية غانة الإسلامية ، ص 46 .

(4) ابن ابى زرع ، المصدر السابق ، ص 136 .

(5) المصدر السابق ، ص 136 .



ابى يحيى ابن الأمير ابوبكر اللمتوني اليهم . " (1) . ويبدو ان جهاد المرابطين فى السودان الغربى لم ينته بوفاة ابى بكر بن عمر بل أستمر فى عهد يوسف بن تاشفين وابنه على بن يوسف ، ويبدو ان يوسف بن تاشفين ، رغم مشاغله ، لم يتردد فى الإسهام مساهمة فعالة فى الجهاد ببلاد السودان ، حتى قيل انه قضى على أغلب مملكة السوننكى ، ويقصد بها مملكة غانة (2) .

## 2- دعم المرابطين للمؤثرات العربية الإسلامية

كان من نتاج الحركة المرابطية ، وكما سلفت الإشارة ، سقوط مملكة غانة الوثنية واعتناق شعبها المعروف بالسوننكى الإسلام وانتشارهم الواسع فى مناطق السودان الغربى ، مما أدى الى إنتشار الإسلام واللغة العربية فى تلك المنطقة . وبالرغم من أن المرابطين هم أول من حقق وحده سياسية جمعت بين المغرب الأقصى والسودان الغربى والأندلس ، فإن تفاقم الأحداث السياسية فى الشمال الإفريقى ، وذلك نتيجة تزايد ضغوط الفرنجة ، وسعيهم لطرد المسلمين من الأندلس ، مما حدا بملوك الطوائف الى الاستنجاد بالمرابطين ، الذين لبوا النداء وتخلوا عن نفوذهم السياسى فى المنطقة غير ان نفوذهم الثقافى حدد المسار الحضارى لشعوب المنطقة فالثقافة العربية الإسلامية التى انتشرت بها كانت

---

(1) الحلل الموشية ، المصدر السابق ، ص7

(2) حسن ابراهيم حسن . انتشار الإسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى . (القاهرة : معهد البحوث والدراسات الافريقية ، 1957) ، ص57 .

مغربية السمات ، وساد المذهب المالكي \* الذى وضع المرابطون لبنته الأولى (1) ومن خلال هذه الوحدة نفذت المؤثرات العربية الإسلامية الى المنطقة على نطاق واسع ، وقد لعبت الجماعات العديدة ، التى صار الإسلام عقيدتها واللغة العربية لغتها ، دورا كبيرا فى هذا الصدد . ومن أبرز نتائج الحركة المرابطية فى الميدان الثقافى هو تأسيس مدينة تمبكتو التى أصبحت حاضرة للثقافة العربية الإسلامية فى غرب افريقيا عموما (2) وظهرت نتائج هذه المؤثرات فى اعتناق العديد من ملوك المنطقة للإسلام وانتقال ممالكهم من الطور الوثنى الى الطور الإسلامى ، ومن أمثلة ذلك ملوك مملكتى مالى وسنغاي (3) . ومن أمثلة ذلك أيضا ما يذكره المؤرخون من ان الملك السوننكى (تنكامين) الذى كان يحكم غانة عند فتح المرابطين لها قد قبل الدخول فى الإسلام والخضوع لسلطان المرابطين ، وبإسلامه دخل الكثيرون من سكان العاصمة وغيرها من المدن الغانية فى الإسلام (4) . وأشتهرت بعض هذه المدن بكثرة عدد المسلمين فيها ، ومنها غيارو (Ghiarou) القرية من نهر النيجر الأعلى ، التى وصفها البكرى بقوله : "... وفيها كثير من المسلمين " (5) ، وكذلك يرسنى الواقعة الى الغرب من غيارو : "... ويسكنها المسلمون وماحولها مشركون" حسب رواية صاحب

---

\* المذهب المالكي: نسبة الى الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامرين عمرو الحارث ولد عام 93 هـ / 711 م وتوفى عام 179 هـ / 795 م ، وهو مذهب شائع فى شمال افريقيا وبلاد السودان بصفة عامة .

(1) عصمت عبداللطيف دندش ، المرجع السابق ، ص 141 .

(2) حسن احمد محمود، الإسلام والثقافة العربية فى افريقيا . (القاهرة: دار الفكر العربى، 986م) ، ص 216.

(3) المرجع نفسه ، ص 217 .

(4) ابراهيم طرخان ، امبراطورية غانة الإسلامية ، ص 47.

(5) البكرى ، المصدر السابق ، ص 177.

المغرب (1). وقد عملت قبائل السوننك على نشر الإسلام على نطاق واسع فى هذه المنطقة ، وتحولت دولتهم الى دولة اسلامية ، حيث أقامت علاقات متميزة مع الخلافة العباسية فى بغداد ، وأجبرت رعاياها على لبس العمامة(2) مقلدين بذلك المرابطين الذين اتخذوا من السواد شعارا لهم فى ملابسهم وراياتهم (3) وقد تعرض السوننك عقب سقوط دولتهم المركزية على يد قبائل الصوصو الى التشتت وانتشروا فى أجزاء بلاد السودان الغربى ، مما يرجح انه مكنهم من نشر الإسلام على نطاق واسع . أما الصوصو فهم كانوا احدى ولايات مملكة غانة ، ولكنهم خرجوا عن طاعتها ووجهوا لها الضربة السياسية القاضية ، وذلك بمهاجمتهم العاصمة كومبى صالح وتدميرها حوالى عام 1203م (4) .

وكان من نتاج ذلك هو هجرة بعض سكانها وخاصة من المسلمين وبالذات من قبائل العرب المغاربة وتأسيسهم مدينة ولاته (5) الشهيرة ، والتي لعبت هى الأخرى أدوارا هامة فى ترسيخ المؤثرات العربية الإسلامية فى تلك البقاع .

---

(1) المصدر نفسه ، صـ177.

(2) ابراهيم طرخان ، امپراطورية غانة الإسلامية ، صـ49 .

(3) صلاح الدين عبدالهادى مصطفى . "إسهام المرابطين فى نشر الإسلام فى الشمال الإفريقى والسودان

الغربى ، المؤرخ العربى ، بغداد : 12 : 31 (1987م) ، صـ211.

(4) ابراهيم طرخان ، امپراطورية غانة الإسلامية ، صـ53 ومايلها .

(5) بوفيل ، المرجع السابق ، صـ154 .

## خامسا :- مسار التأثير العربى الإسلامى منذ قيام مملكة مالى الإسلامية حتى رحلة منسا\* موسى الى الحج.

تعد دولة مالى الإسلامية من أهم الدول المركزية التى ظهرت فى السودان الغربى ، وقد قامت بدور بارز فى نشر الإسلام والدعوة له فى مناطق غرب افريقيا عموما (1). وقد أطلق الكثيرون على مالى اسم بلاد التكرور، غير أن العمرى ميز جليا بين للتكرور وبين مالى وأشار الى أن التكرور هى إحدى المدن أو المقاطعات التى كانت تابعة لمملكة مالى (2)، وذلك كما سلف الإيضاح. وقد اختلف الكثير من الكتاب العرب من المؤرخين والجغرافيين فى ضبطها فالبكرى يسميها (ملل) (3)، وابن بطوطة يسميها (مالى) (4)، والعمرى يطلق عليها (مالى) (5)، وعمود كعت (مل) (6)، والوزان (مالى) (7) والسعدى (ملى) (8). ونحن نعتقد ان الاسم الصحيح هو مالى كما

---

\* استخدم لفظ منسا أو منسى بمعنى السلطان أو الملك فى مملكة مالى الإسلامية واستخدم لفظ أسكيا أو أسقيا بذات المعنى فى مملكة سنغاي الإسلامية ، بينما استخدم لفظ ماى والجمع مايات بنفس المعنى فى كانم - بورنو .

(1) ابراهيم طرخان ، الإسلام واللغة العربية فى السودان الغربى والأوسط ، ص 17 ومايلها .

(2) العمرى ، المصدر السابق ، ص 34 .

(3) البكرى ، المصدر السابق ، ص 178 .

(4) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 444 .

(5) العمرى ، المصدر السابق ، ص 34 .

(6) كعت ، المصدر السابق ، ص 38 .

(7) الوزان 2/164 .

(8) السعدى ، المصدر السابق ، ص 9 .



ورد لدى ابن بطوطة ، لأنه زارها فى فترة ازدهارها ووصفها وصفا ينم عن المامه الكامل باحوالها المختلفة ، اضافة الى صحة ضبطه لمدنها وقراها وأسماء ملوكها وعلمائها. ويعتقد أن مؤسسى دولة مالى هم قبائل الماندينجو (Mandingo) (1) التى تتكون من أربعة فروع رئيسية هى : المالك والبامبارة والديولا والسوننك (2) . ومعروف ان تاريخ نشوء مملكة مالى غير محدد بشكل دقيق ، اذ ترى بعض الرويات ان هذه الدولة ظهرت فى الفترة التى تكونت فيها مملكة غانة، وذلك قبل البعثة النبوية الشريفة بزمان طويل (3) ، حيث انها كانت فى البداية إحدى مقاطعات مملكة غانة .

وقد عرفت مالى الإسلام كغيرها من بلاد السودان الغربى ، منذ زمن يسبق حركة المرابطين أو خلالها ، وأزدادت أعداد المعتنقين للعقيدة الجديدة بعد حركة المرابطين. ويعتقد ان من أبرز خصائص انتشار الإسلام فى بلاد السودان الغربى، انه تضاعف انتشاره بعد اعتناق الطبقات المتنفذة والأسر الحاكمة له . وقد وصف البكرى اسلام أول ملوك مالى بقوله "... وملكهم يعرف بالمسلمانى وانما يسمى بذلك لأن بلاده أجذبت عاما بعد عام فاستسقوا بقرايينهم من البقر حتى كادوا يفنونها ولايزدادون الا قحطا وشقاء وكان عنده ضيف من المسلمين يقرأ القرآن ويعلم السنة فشكا اليه الملك مادمهم من ذلك فقال له ايها الملك لو امنت بالله تعالى واقررت بوحدانيته وبمحمد (صلم) واقررت برسالته واعتقدت بشرائع الإسلام كلها لرجوت لك الفرج مما انت فيه وان تعم الرحمة أهل بلدك وان يحسدك على ذلك من عاداك وناواك فلم يزل به حتى أسلم وأخلص نيته واقراه من كتاب الله ماتيسر عليه وعلمه من الفرائض والسنن

---

(1) ابراهيم طرخان ، دولة مالى الإسلامية ص 26 .

(2) المرجع نفسه ، ص 30 .

(3) السعدى،المصدر السابق ، ص9 ومايليها ، ابراهيم طرخان ،امراطورية غانة الإسلامية،ص40.

مالا يسع جهله ثم استأنابه الى ليلة الجمعة فأمره فتطهر فيها طهرا سابغا والبسه المسلم ثوب قطن كان عنده وبرزا الى ربوة من الأرض فقام المسلم يصلى والملك على يمينه يأتى به فصليا من الليل ماشاء الله والمسلم يدعو والملك يؤمن فما انبلج الصباح والا والله قد اعمهم بالسقى فأمر الملك بكسر الدكاكير واخرج السحرة من بلاده وصبح اسلامه واسلام عقبه وخاصته وأهل مملكته مشركون فوسموا ملوكهم منذ ذاك بالمسلماني " (1) . ومؤسس هذه المملكة هو ساندياتا (Sandiata) ، الذى أشتهر عند الكتاب العرب باسم ماري جاطه (Mari DGata) ، ومعنى كلمة (ماري) الأمير الذى يكون من نسل السلطان وكلمة جاطة تعنى الأسد (2) ، وكان ماري جاطة من اول الذين تحولوا الى الإسلام . ويقال إن دولة مالى الإسلامية قد ازدهرت فى عهد خلفاء ماري جاطة ، فأمتدت بين غانة فى الغرب وأرض التكرور فى الشرق وأعتز سلطانهم وهابتهم أمم السودان (3) . وكان من أشهر ملوك مالى على الإطلاق هو منسا موسى (712-738هـ / 1312-1337م) ، الذى تعتبر فترة حكمه بمثابة العصر الذهبى لمملكة مالى . وفى الحقيقة أن ماري جاطة ومنسا موسى هما أعظم سلاطين مالى وكان لهما الفضل فى تكوين الدولة . وإذا كان ماري جاطة هو البطل الأسطورى لشعب مالى ، فإن منسا موسى هو المفضل عند الكتاب العرب المسلمين ، وبذا يمكن القول إن ماري جاطة قد جعل ولاية مالى

---

(1) البكرى ، المصدر السابق ، ص 178 .

(2) القلقشندي 29315 .

(3) الناصري السلاوى . الاستقصاء لأخبار دولة المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق محمد الناصري وجعفر

الناصرى (الدار البيضاء: دار الكتاب، 1955م)، ج 2 ، ص 100.

دولة مترامية الأطراف ، وأن منسا موسى قد أكمل عمل سلفه وكون الشخصية الإسلامية للإمبراطورية وأعطائها شهرتها العالمية (1) ومن أبرز خلفاء ماري جاطة ابنه منسا ولي ، الذي تولى مقاليد الأمور خلفاً لأبيه حوالي عام 654 هـ / 1255 م ، ويفسر القلقشندى كلمة ولي بمعنى على (2) . ومن دلائل خضوعه للمؤثرات العربية الإسلامية هي قيامه برحلة إلى الحج زار خلالها مصر عام 658 هـ / 1259 م ، زمن السلطان الظاهر بيبرس (3) .

وفي عام 712 هـ / 1312 م آلت المملكة لمنسا موسى الذي توطدت في عهده علاقات مالى بالشرق العربى والشمال الافريقى (4)، وبلغت المؤثرات العربية الإسلامية فى المجالات السياسية والإقتصادية والثقافية والاجتماعية ذروتها بالمنطقة لاسيما بعد حجته الشهيرة الى الأراضى المقدسة التى قام بأدائها عام 725 هـ / 1323-1324 م وقد كانت هذه الرحلة بادرة هامة لتوثيق علاقات السودان الغربى مع المنطقة العربية لاسيما مصر والحجاز .

وقد نالت هذه الرحلة المشهودة مكانا بارزا فى المصادر التاريخية المعاصرة لها ، وذلك لما تميزت به من ضخامة الموكب الذى رافق السلطان والأبهة والترف اللذان أحاطا هذه الرحلة، حيث أصطحب السلطان منسا موسى فى تلك الرحلة العديد من أتباعه الوطنيين الأفارقة، وكميات كبيرة من الذهب الخالص صرفها بسخاء أثناء إقامته بكل من مصر والحجاز. وقد تمكن منسا موسى ومرافقوه من

---

(1) R . Oliver : The Cambridge History of Africa , VOL, 3.P.380.

(2) القلقشندى 193/5 .

(3) المقرئى .الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال .(القاهرة : مكتبة

الخارجى ، 1955 م) ، ص 110-111 ؛ القلقشندى 293/5 .

(4) أنظر الملحق رقم (1) ص 198.

الإطلاع على الأحوال الحضارية التي كان يعيشها الوطن العربي آنذاك. فشرع في الاستفادة من هذه الإنجازات الحضارية التي برزت في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية. وعند عودته رافقه العديد من العلماء والفقهاء والتجار والمهندسين المعماريين ، والصناع من مختلف التخصصات ، وبذلك شهدت المنطقة تيار حضارى مشرقى ومن هنا شهدت التأثيرات العربية الإسلامية في السودان الغربى دفعة قوية في النواحي المختلفة ويمكن أن يقال إن هذه الرحلة قد وضعت أساسا متينا ودفعة قوية لإنطلاقة التأثيرات العربية الإسلامية في السودان الغربى خلال القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر .



## الفصل الثانى

### التأثير السياسى

أولا :- تأثير النظم العربية الإسلامية

1- النظام السياسى

2- النظام الإدارى

3- النظام القضائى

4- النظام الحربى

ثانيا :- العلاقات مع الممالك العربية الإسلامية المعاصرة فى  
مصر والشمال الإفريقى

1- الممالك فى مصر

2- بنو مرين والسعديون فى المغرب الأقصى .



تشير المصادر التاريخية الى أن علاقات الشمال الإفريقي بالسودان الغربى راسخة فى القدم حيث تمتد جذورها الى ما قبل الإسلام . كما أن علاقات مصر بتلك النواحي قديمة ، أيضا ، لاسيما حينما أقامت صلات تجارية مع مملكة غانة الشهيرة بمملكة الذهب . بيد أن المصادر المتاحة لم تعط صورة تاريخية عن حدوث هجرات جماعية مباشرة من مصر بقصد الإقامة والسكن فى السودان الغربى الذى كان فيه التأثير العربى المغربى بارز السمات منذ وقت مبكر . حيث بدأت العناصر العربية التى إستوطنت المنطقة تخالط السكان وتتصاهر معهم ، فكان ذلك بداية التهجين الثقافى والعرقى والتأثير العربى الإسلامى الحقيقى الذى أمتد الى البنية الأساسية للدولة والمجتمع . لقد أصبح التأثير العربى الإسلامى فى السودان الغربى واضحا ، وذلك منذ القرن الحادى عشر الميلادى بفضل حركة المرابطين وجهادهم ، بالإضافة الى الجهود المقدرة التى بذلها كل من التجار والبدو والحجيج والعلماء وجلهم من قبائل صنهاجة والشناقطة والمغاربة فى نشر الحضارة العربية الإسلامية فى تلك المناطق . ومما لاشك فيه أن الوطنيين الأفارقة ، ممن درسوا بالأزهر الشريف والمغرب وتمبكتو وغيرها من المراكز التعليمية ، قد بذلوا جهودا كبيرة لتوسيع رقعة الثقافة العربية الإسلامية ، مما حدا ببعض المؤرخين أن يزعموا أن الإسلام قد أنتشر فى غرب أفريقيا بفضل الإفريقيين أنفسهم(1) ، أما عن تغلغل التأثير السياسى العربى الإسلامى فى السودان الغربى منذ القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى فقد أشار الى ذلك البكرى ، الذى لاحظ أن معظم مترجمى ملوك السودان الغربى وموظفى بيت المال

---

(1) على ابوبكر . الثقافة العربية فى نيجيريا 1950-1960م ، عام الإستقلال،(بيروت : مؤسسة عبدالحفيظ

ووزرائهم ، وقتئذ ، كانوا من العرب المسلمين (1) . وقد وصل هؤلاء الى مراكز هامة مما دفع ملوك السودان الغربى الى أن يؤسسوا لهم مسجدا قريبا منهم رغم أن هؤلاء الملوك لم يعتنقوا الإسلام(2) وبديهي أن يحظى العرب بمكانة مرموقة فى بلاط ملوك السودان الغربى وأمرائه بسبب إلمامهم بالقراءة والكتابة، فضلا عما تحلى به الكثيرون منهم من خصال حميده كالصدق والأمانة وحسن المعاشرة. وقد قوى نفوذ العرب المسلمين سياسيا بفتح المجال لهم لمصاهرة الأسر السودانية الحاكمة والنبيلة وإستثمار نظام الوراثة عن طريق الأم الذى كان سائدا فى تلك المناطق ، حيث تقلد أبناؤهم من زوجاتهم الوطنيات الأفريقيات الوظائف القيادية فى الممالك السودانية (3). وأدى ذلك ، ليس الى التعامل مع الأسر الحاكمة والنبيلة فحسب، بل أمتدت مخالطة هذه الجماعات العربية الوافدة الى عامة أهالى المنطقة، حيث أمتزجوا معهم وصاهروهم وشاركوهم فى السكن والحياة الإجتماعية والإقتصادية، مما أكسبهم ثقة الوطنيين الأفارقة وحكامهم، الأمر الذى أتاح لهم تقلد أرفع المناصب كالقضاء والديوان والخزانة والإستشارة وغيرها. فاثروا فى أهالى السودان الغربى وحكامه وتأثروا بهم. ونتج عن هذا كله إعتناق عدد كبير من أهالى المنطقة العقيدة الإسلامية (4) . ومن الشواهد التاريخية التى تؤكد عقد عدد من العناصر العربية لصلات مصاهرة مع الأسر السودانية الحاكمة ماأورده ابن بطوطة فى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر

---

(1) البكرى ؛ المصدر السابق ؛ ص175.

(2) المصدر نفسه ؛ ص175 .

(3) قمر الدين محمد فضل الله . "لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الإسلامية 1468-1591م" ، مجلة كلية

الدعوة الإسلامية ، طرابلس : 4 (1987) ، ص216 .

(4) المرجع نفسه ، ص214 .



الميلادى فى قوله : "... ولما وصلت الى مالى ... وصلت الى محلة البيض وقصدت محمد بن الفقيه الجزولى فوجدته قد اكرى لى دارا أزاء داره ... وكان ابن الفقيه متزوجا بينت عم السلطان . "(1) . ويقصد ابن بطوطه بالسلطان فى هذا النص منسا سليمان سلطان مالى إبان رحلته الشهيرة الى المنطقة . ومن خلال إشارة ابن بطوطه الى ابن الفقيه الجزولى الذى قام بدور الوساطة بينه وبين منسا سليمان (2) . يبدو أن ابن الفقيه كان لديه حظوة لدى منسا سليمان ، ويرجح أنه كان أحد مستشاريه . وهذا أحد الأدلة على وصول العناصر العربية التى هاجرت وأستوطنت السودان الغربى الى مناصب سياسية وإدارية هامة .

كما أن سنى على (869-898هـ / 1464-1492م) مؤسس مملكة سنغاي الإسلامية ينتمى الى أسرة ضياء ، التى يعتقد أنها وفدت على المنطقة من اليمن أو من طرابلس بليبيا\* ، وهذا دليل على أنه سليل إحدى الأسر العربية التى هاجرت الى المنطقة منذ وقت مبكر، ووصل أحد أبنائها الى تكوين مملكة حكمت أجزاء واسعة من بلاد السودان الغربى . كما عمل أبراهيم الخضر الفاسى ، الذى قدم على السودان الغربى من المغرب الأقصى ، كاتباً خاصاً لسنى على ، وعاش حتى عاصر الاسكيا محمد الكبير وعمل أيضاً كاتباً له الى أن توفى وخلفه فى منصبه ابنه حوى (3). كما أفاد محمود كعت بأن على بن عبد الله بن عبد الجبار اليمنى كان يعمل كاتباً بديوان الاسكيا محمد الكبير

---

(1) ابن بطوطه . تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار . (بهرت : دار الكتاب اللبنانى) ،

ص444.

(2) المصدر نفسه ، ص445 .

\* أنظر مناقشة أصل أسرة ضياء ضمن فقرات هذا الفصل.

(3) السعدى ، المصدر السابق ، ص68 .

وكان مقرباً منه وموضع ثقته (1). وهذه الشواهد تؤكد وصول العناصر العربية التي سكنت السودان الغربي إلى مواقع قيادية هامة مما أتاح لها إمكانية نقل المؤثرات السياسية العربية الإسلامية إلى تلك الربوع ومن مظاهر التأثير السياسي العربي الإسلامي في السودان الغربي الملحوظة، ظاهرة إدعاء النسب العربي وهي ظاهرة جديرة بالدراسة والتحليل. ومعروف أن الهجرات البشرية والإختلاط السكاني بين الوطن العربي وبين بلاد السودان قد نسجت حولها أساطير مفادها : أن أسرا معينة في بلاد السودان ، وخاصة الأسر ذات الجاه والنفوذ والسلطان ترجع بأصولها إلى أرومة عربية قد قدمت مع دخول العرب المسلمين إلى هناك بقيادة عقبة بن نافع الفهري (2) ، بل هناك من يرى : أن تلك الأسر جاءت قبل الفتح العربي لأفريقيا بزمان بعيد (3). والمتبع لتلك الأساطير والحكايات التي تناقلها الأبناء عن الأجداد يجد أنها تمثل مظهراً من المظاهر الثقافية .

لاشك إن هذه الأساطير المتعلقة بسلالات تلك الشعوب قد حيكت لتمييز أسرة حاكمة عن أسرة أخرى وذلك بتأكيد صلاتها وروابطها بالعالم الإسلامي (4) . وأن تلك الحكايات والأساطير لاتأتى من فراغ ولا بد أنها تشير إلى بعض الحقائق

---

(1) كعت ، المصدر السابق ، ص 74 .

(2) عبدالقادر صالح نور الدين . "علاقات فزان بكاتم بين 3-7هـ / 9-13م" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (طرابلس : جامعة الفاتح ، كلية التربية قسم التاريخ ، 1986م) ، ص 135 .

(3) المرجع نفسه ، ص 136 .

(4) أ،م، كاني . "مظاهر الاتصالات الفكرية بين شمال افريقيا ووسط السودان بين سنة 700م و 1700م" ،

مجلة البحوث التاريخية ، 1 ( 1981 م ) . ص 11

التاريخية التي تعمق الصلة والعلاقة الاجتماعية بين الوطن العربى وسكانه ، وخاصة سكان الشمال الإفريقى ، وبين الدول والممالك الإسلامية الإفرريقية فيما وراء الصحراء الكبرى ، حيث أن هجرات بشرية عديدة فردية كانت أم جماعية جاءت الى بلاد السودان الغربى وهى ترجع فى أصولها الى الوطن العربى ، وقد تمكنت من المساهمة فى انتقال مجتمعات السودان الغربى مما تعاني من جهل وتخلف دل عليهما إنتشار السحر والشعوذة، ونهضت به سياسيا وإقتصاديا وثقافيا وإجتماعيا (1) وقد كانت الأسر الحاكمة السودانية فى تلك المناطق تحرص على توطيد مركزها بإدعاء انتسابها الى نسب عربى شريف تستمد منه نفوذا سياسيا وروحيا وذلك لإكتساب شرعية دينية تعزز من مكانتها فى أعين مواطنيها (2). ويبدو أن هذه الظاهرة لم تقتصر على السودان الغربى فقط ، بل عرفت حتى فى المناطق المجاورة فقد أدعت مملكة كانم - بورنو \* بالسودان

---

(1) عبدالقادر صالح نورالدين ، المرجع السابق ، ص 136 .

(2) قمر الدين فضل الله ، المرجع السابق ، ص 215 .

\* للمزيد حول مملكة كانم - بورنو أرجع الى :-

ابراهيم صالح يونس . تاريخ الإسلام وحياة العرب فى امپراطورية كانم - بورنو . (جامعة الخرطوم ، كلية الآداب شعبة أبحاث السودان ، 1970 م) ؛ ابراهيم على طرخان . امپراطورية السرنو الإسلامية . القاهرة : (المهنة المصرية العامة ، 1975) ؛ زين العابدين عبدالحميد السراج ، دولة كانم الإسلامية ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب (1975 م) ؛ صالح الصادق السياني مملكة كانم - بورنو وعلاقتها بأقطار الشمال الإفريقى من القرن الثالث الى العاشر المحجرى ( القرن التاسع الى السادس عشر الميلادى ) ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط : 1988م - 1989 م .

الأوسط الإنتساب الى أصول عربية . هذا بالإضافة الى ممالك السودان الغربى مثل غانة ومالى وسنغاي وغيرها . فبالنسبة لمملكة كانم فى السودان الأوسط نجد القلقشندى قد نقل عن السلطان الكانمى عثمان بن أدريس رسالة يقول فيها : " نحن بنو سيف بن ذى يزن والد قبيلتنا العربى القريشى كذا اضبطناه عن شيوخنا . " (1) ، ويشكل هذا النص التاريخى دلالة واضحة على أن الحكام الكانميين اتخذوا لأنفسهم نسباً حميرياً \* يرجع الى سيف بن ذى يزن . وقد تسمى هؤلاء الحكام بالسيفيين نسبة الى ذلك ولم يكتف حكام كانم المسلمون بذلك ، بل سعوا الى الحصول على الاعتراف الشرعى من الخلفاء المسلمين بالشرق ، وذلك لكي يصبغوا على حكمهم الصفة الشرعية ويكتسبوا بذلك الهبة والجلال ، ليس بين شعوبهم فقط ، بل حتى بين الدول المجاورة لهم أو التى تعامل معها وارتبطوا بها ، ولذلك : " تلقب بعضهم بألقاب منها : سيف الخلافة وظهر الإمامه وعضد الدولة أمير المؤمنين . " (2) .

وبالنسبة لمملكة غانة، فإن ملوكها الأوائل ينحدرون من أصول عربية صنهاجية، وذلك كنتيجة من نتائج الحركة السكانية والإمتزاج المبكر بين سكان الشمال الإفريقى وبين السودان الغربى . أما عن ادعائهم الإنتساب الى أصول عربية شريفة فقد أشار الى ذلك الأدريسى بقوله : " وغانة مدينتان على ضفتى

---

(1) القلقشندى 8/ 117 .

\* يلاحظ وجود التباس بين نسب سيف بن ذى يزن الحميرى وبين النسب القريشى الوارد فى النص ويبدو أن هذا الالتباس ، كما يرى بالمر ، أن سيفاً التقى بسيد قريش عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف الذى هنأه على إنتصاره على الأحباش عام 602 م ، ودارت بينهما محاورة عقب فيها عبد المطلب مخاطباً سيف " اذن انت ابن اخنأ " ومن هذه المقابلة الأسطورية جاءت دعوى الصلة بالنسب القريشى .

(2) القلقشندى 7/8 .



البحر الحلو ... وملكها فيما يوصف من ذرية صالح بن عبدالله بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب (1) . وكذلك أبو الفداء بقوله : " ومدينة غانة محل سلطان بلاد غانة ويدعى انه من نسل الحسن بن علي عليهما السلام. " (2) أما في مملكة مالي فأسرة كيتا ، التي ينتمى اليها ماري جاطة ، والتي يرجع اليها الفضل في تأسيس مملكة مالي . يعتقد أن أصول هذه الأسرة عربية إسلامية . يقول ديلافوس (Dellafosse) ، أن موسى ديجيو (M.Dyigiu) ، أحد أسلاف أسرة كيتا المشار اليها ، والذي يعرف بلغة الماندينجو باسم الاكوي (Allakoi) ، قد تبوأ عرش مالي ما بين عامي 1200 - 1218م . يقال إنه ينتمى الى سلالة بلال بن رباح مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنه قد وفد من الحجاز الى أرض الماندينجو (=مالي) (3) . وبالإضافة الى ذلك تنسب بعض من الروايات التاريخية المتواترة أسرة كيتا ، المشار اليها ، الى الأسرة العلوية من سلالة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . يقول القلقشندي : " وصاحب التكرور هذا يدعى نسبا الى عبدالله بن صالح ، بن الحسين ، بن علي بن أبي طالب كرم الله وجوههم ، قلت : هو صالح بن عبدالله بن موسى ، بن عبدالله أبي الكرام ، بن موسى الجون ، بن عبدالله ، بن الحسين المثني ، بن الحسن السبط ، ابن أمير

---

(1) الإدريسي ، المصدر السابق ، ص23 ، والمقصود بالبحر الحلو في هذا النص هو نهر النيجر الذي تقع مدينة غانة على أحد ضفتيه ، وقد أكدت الحفريات الحديثة ذلك ، والمعروف أن الكتابات القديمة كانت تسمى النهر بحرا .

(2) اسماعيل ابوالفداء . تقويم البلدان . ( باريس : دار الطباعة السلطانية ، 1850م ) ، ص157 .

(3) نقلا عن : ابراهيم طرخان ؛ دولة مالي الإسلامية ؛ ص35 .

المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه . " (1) . وهكذا ، يتضح حرص ملوك  
مالى على إدعاء النسب العربى وإنحدارهم من أرومة عربية شريفة . وبالنسبة  
لملوك سنغاي الأوائل ، يتفق هنويك (Hunwick) مع رأى ديلافوس القائل بأن  
أسرة ( ذا اليمان ) أو (ضياء اليمان)(Dia Aliaman) المؤسسة لمملكة سنغاي فى  
كوكيا (جاو) قد وفدت من المشرق العربى وهى ذات أصل يمنى (2) . ويقول  
السعدى أن ذا اليمان أول ملوك سنغاي جاء من اليمن (3) . بيد أن عبدالقادر  
زبادية ، يرى أن عائلة ضياء أوديا هذه كانت تنزعم قبائل لمطة وهوار القاطنة  
فى طرابلس بليبيا ، ثم أنتقلت مع القبائل المذكورة الى جهات النيجر ، منذ  
زمن قديم ، حيث حكمت سنغاي حتى عام 1335 م (4) ثم أنتقل الحكم  
بعدها الى عائلة سنى التى حكمت سنغاي فيما بين 1335م و1493م ،  
ومؤسس حكم أسرة سنى هو الملك سنى على الذى ترك لقب ذا أوزا متخذاً  
بدلاً منه لقب سنى . بمعنى المحرر (5) . ويعتقد أن سنى على أخذ هذا اللقب ليظهر

---

(1) القلقشندى 298/5. كما تتفق بعض المراجع الحديثة فى إرجاع نسب ملوك مالى الى سلالة على بن أبى  
طالب رضى الله عنه . أنظر : حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية فى افريقيا ص 243 ؛ يوسف  
فضل حسن ، انتشار الإسلام فى افريقيا ، ص 22 .

(2) J.o, Hunwick : "Religion and State in Songhay Empire", Islam in

Tripical Africa" P.29 .

(3) السعدى ، المصدر السابق ، ص 4 .

(4) عبدالقادر زبادية . الحضارة العربية والتأثير الاوروبى ، دراسات ونصوص . (الجزائر ، المؤسسة الوطنية  
للكتاب ، 1989م ) ، ص 26 .

(5) السعدى ، المصدر السابق ، ص 3 .

نفسه ملتزما بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبذا يكون لفظ سنى مشتق من السنة المحمدية (1) . وعائلة سنى هذه تنحدر من عائلة ضياء المشار اليها إذ أن سنى على ، هو ابن أحد أمراء سنغاي وهو ضياء اسيباى على رأى عبدالقادر زبادية (2) وبنهاية حكم آل سنى عام 1493 م ، تولى مقاليد الأمور فى سنغاي الاسكيا محمد الكبير ( 1493-1528م) . ورغم أن بعض المراجع التاريخية تشير الى أن الاسكيا محمد الكبير مؤسس أسرة الاساكى من أصل سودانى (3) ، غير أن المؤرخ محمد الصغير الوفرانى يخالف ذلك رأى ويرى أن الاسكيا محمد الكبير مؤسس أسرة الاساكى المعنية يرجع فى أصوله الى أسرة عربية صنهاجية سكنت جنوب موريتانيا الحالية (4) . ويرى ترمنجهام (5) أن أسرة ضياء هذه هى من الزغاوة الذين كانوا يسكنون حوض تشاد .

ومن المعروف أن الزغاوة يعودون فى أصولهم الى منطقة فزان بجنوب ليبيا حسب رأى اليعقوبى (6) ، كما يرى نفس رأى عبدالقادر زبادية (7) . ورغم تباين الآراء المشار اليها حول أصول ملوك سنغاي هل هم من اليمن حسب ما ذكر هنويك وديلافوس والسعدى ؟ أم من طرابلس الغرب حسب رأى

---

(1) الشيخ الأمين عوض الله ، المرجع السابق ، ص 66 .

(2) عبدالقادر زبادية ، الحضارة العربية والتأثير الاوروبى ، ص 26 .

(3) المرجع نفسه ، ص 26

(4) الوفرانى . نزهة الهادى بأخبار ملوك القرن الحادى . ط 2 . (الرباط : مكتبة الطالب ، 1989م ) ،

ص 89 .

( 5 ) Trimingham: A history of Islam in West Africa .P.86

(6) اليعقوبى . تاريخ اليعقوبى . ( بيروت : دار صادر ، د-ت ) ، مج 1 ، ص 191

(7) عبدالقادر زبادية ، الحضارة العربية والتأثير الاوروبى ، ص 24 .

عبدالقادر زبادية ؟ أو من فزان يجنوب ليبيا حسب رأى ترمنجهام واليعقوبى وزلتر . ومادامت الروايات الثلاث تؤكد انتماءهم الى أحد الاقاليم الثلاث : اليمن أو طرابلس الغرب بما فيها فزان فإن هذا يرجح أن يكونوا من أرومات عربية . ومن هنا ، يمكن الاستنتاج أن ملوك سنغاي الاوائل هم من العرب المغاربة الذين اختلطت دماؤهم بالدماء السودانية . كما أنهم استفادوا من نظام الوراثة من ناحية الأمومة فى الوصول الى بعض المناصب فى بلاط الحكم السودانى (1) . ورغم أن مسألة إدعاء النسب العربى قد خالطته فى بعض الأحيان الأساطير والحكايات التقليدية التى تناقلها الأحفاد عن الأجداد ، فإنه من المرجح أن تلك الحكايات والأساطير ومانسج حولها لم تأت من فراغ ، ولكنها تؤكد عمق الصلات والروابط القديمة المختلفة بين الوطن العربى ، وبالذات مناطق الشمال الإفريقى وبين السودان الغربى .

وبدیهى ، لم تأت ظاهرة إنتساب الأسر الحاكمة فى السودان الغربى الى أصول عربية ؛ الا بعد سيادة التأثير العربى الإسلامى فى المنطقة بفضل جهود الوسائل المتنوعة والعديدة التى ساهمت فى ترسيخ المؤثرات العربية الإسلامية على التربة الإفریقیة وكانت النظم الإدارية فى طليعة هذه المؤثرات .

---

(1) قمر الدين فضل الله ، المرجع السابق ، ص 216 .



## أولا :- تأثير النظم العربية الإسلامية

لقد حرص ملوك السودان الغربى وحكامه المسلمون على إقتباس النظم العربية الإسلامية التى كانت سائدة آنذاك ، لاسيما فى الشمال الإفريقى ومصر والحجاز . ووضحت معالم هذه التأثيرات جلية على النحو التالى :-

### 1- النظام السياسى :-

يلاحظ أن بلاد السودان الغربى قد شهدت أنماط حكم مختلفة أمتزج فيها النمط الإفريقى المتوارث بالأنماط العربية الإسلامية الواردة التى لوحظ تطور وجودها فى ظل مملكتى مالى وسنغاي الإسلاميتين . وقد شهدت هذه المنطقة منذ وقت مبكر نظام حكم مركزى ، حيث ضعف شكل النظام القبلى القديم بالتدريج منذ أيام مملكة غانة الوثنية حتى وصلت مؤسسات الدولة الى هياكل منظمة ، لاسيما بعد انتقال الزعامة السياسية والدينية الى الوطنيين الإفارقة المسلمين فى هاتين المملكتين . ومن أبرز الملاحظات أن جهاز الحكم السودانى كان يتمتع بمركزية واضحة تؤول فيها السلطة الى الملك الذى يرأس هذا الجهاز ، ويساعده فى ذلك مجلس للوزراء وموظفون فى دواوين الدولة المختلفة . وكان الملك يصدر توجيهاته شفاهة ولا يكتبها فى الغالب الأعم ، بل يأمر صاحب الديوان فيكتب بالخط العربى على طريقة المغاربة (1) .

أما فيما يتعلق بتنصيب ملوك السودان الغربى المسلمين ، فيعطى عبدالقادر زبادية صورة لحفل تنصيب أحد ملوك سنغاي وهو نظام يكاد ينطبق تماما على واقع الحال فى مملكة مالى الإسلامية ، حيث يبدأ الحفل بوصول الملك الى القصر

---

(1) القلقشندي 298/5 ؛ عبدالرحمن زكى . الإسلام والمسلمون فى غرب إفريقيا . ( القاهرة : مطبعة يوسف

وبجلوسه على سرير العرش تطلق أصوات الطبول ، وتقدم اليه شارات السلطنة المكونة من قميص مزركش ولباس على الرأس شبيه بالتاج ثم يصافح الملك أعضاء جهازه التنفيذي وقائد الجيش، ويصلى فى المسجد (1). ثم يتلقى يمين الإخلاص له من قبل كبار الموظفين وأفراد العائلة الحاكمة ويجرى ذلك أمام القاضى والعلماء ، ويضع الذى يقسم بالله على الإخلاص والطاعة للملك الجديد يده على المصحف الشريف (2) .

وفى الليل تقام الحفلات الساهرة ، وفى اليوم التالى يياشر الملك الجديد مهامه ، ويبدأها بتوزيع الصدقات على الفقراء والمساكين (3) .

ويتضح من هذه الإشارات أن مراسم تنصيب الملوك فى السودان الغربى كانت متأثرة الى حد كبير بالممارسات التى كانت سائدة عند تنصيب بعض الحكام العرب المسلمين ومن أمثلة ذلك : إقامة مراسم قسم يمين الولاء للملك الجديد بالمسجد وعقب تأدية الصلاة ، وحملهم الشارات تشبها بالخلفاء والملوك العرب المسلمين وحرصهم على الإحسان الى الفقراء والمساكين بتوزيع الصدقات عليهم حال تسلمهم لمقاليده الأمور فى الدولة . أما عن المهام المنوطة بالملك فهى الإشراف على استتباب الأمن والعدل بين الرعية . وكان يعقد اجتماعات دورية فى فناء قصره للمشورة وتقصى أحوال الرعية والتأكد من تنفيذ توجيهاته الصادرة الى الجهات المكلفة بالتنفيذ (4) .

---

(1) عبدالقادر زبادية ، مملكة سنغاي ، ص 63 .

(2) المرجع نفسه ، ص 63.

(3) عبدالقادر زبادية ، مملكة سنغاي ، ص 63 .

(4) القلقشندى 301/5 .

أما عن نظام توليه الحكم فى السودان الغربى ، فقد يتولى الحكم أبناء البنات أو الأخوات وهى عادة كانت منتشرة بالمنطقة، وعلق عليها القلقشندى بقوله : "... على قاعدة العجم فى تملك البنت وابن البنت " (1) وعن نظام توريث ابن الأخت لعرش الممالك السودانية بالمنطقة قبيل خضوعها للتأثيرات العربية الإسلامية يقول البكرى : " وستهم إن الملك لا يكون إلا فى ابن الأخت ، لأنه لا يشك فيه انه ابن أخته، وهو يشك فى ابنه، ولا يقطع على صحة إتصاله به ". (2). ويقول فى موضع آخر : " ولا يلبس المخيط من أهل دين الملك غيره ، وغير ولى عهده هو ابن أخته " (3) وتعليل البكرى لهذه الظاهرة بتوفر اليقين فى أن الوليد هو ابن أمه وهذا صحيح ، لكن المعروف أيضا أن لهذه الظاهرة أصولا الى التقاليد الوثنية القديمة وهى التى تولى من شأن المرأة عند أغلب القبائل الأفريقية الوثنية وكذلك عند بعض قبائل العرب المغاربة مثل الطوارق الذين ترجع صلتهم ببلاد السودان الى أزمنة موعلة فى القدم (4) .

وعندما دخل الإسلام الى المنطقة أضعف من هذه الظاهرة ، ولكنه لم يقض عليها قضاء تاما فى جميع الإمبراطوريات والممالك الإسلامية بالسودان الغربى. وقد شهد ذلك ابن بطوطة فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى فى مدينة تكدا، فلم تعجبه هذه الظاهرة مما حدا به الى التعليق بقوله : ... ولا يرث الرجل إلا أبناء أخته دون بنيه، وذلك شىء مارأيته فى الدنيا ، إلا عند كفار بلاد المليار

---

(1) المصدر نفسه ، ص 301 .

(2) البكرى ، المصدر السابق ، ص 175 .

(3) المصدر نفسه ، ص 175 .

(4) السعدى ، المصدر السابق ، ص 20-22 .

من الهنود ، وأما هؤلاء فهم المسلمون محافظون على الصلوات ، وتعلم الفقه وحفظ لقرآن . " (1) .

ويبدو أنه بتعمق التأثيرات العربية الإسلامية ومفاهيم العقيدة الإسلامية قد حصل تغير فى نظام وراثة العرش ، حيث أصبح يورث الابن الأكبر أو الأخ ، بدل ابن البنت وابن الأخت ، وغنى عن البيان أن نظام وراثة الابن الأكبر أو الأخ قد عرف فى التاريخ الإسلامى منذ أن ولى معاوية بن أبى سفيان ابنه ولاية العهد فى الدولة الأموية وخلفاء الدولة العباسية، وأصبحت وراثة الحكم سمة مميزة فى الدويلات الإسلامية منذ ذلك التاريخ. وقد صار، وفق هذا التغير ، ابن الملك نائبه وولى عهده فى نفس الوقت ، والدليل على ذلك أن منسا موسى ، خلال رحلته الشهيرة الى الحج ، قد كلف ابنه محمد بأن يكون نائباً عنه فى حكم المملكة خلال فترة غيابه (2). ويبدو من خلال إشارة ابن بطوطه الى ( الفريا حسين ) ومعناها : النائب حسين، والذي كان واليا بولاته (ايوالاتن) أثناء زيارة ابن بطوطه لها (3) ، أن حكام الولايات كانوا يسمون نواب الملك. وبالإضافة الى تكليف ملوك السودان الغربى لابنائهم نوابا عنهم، فإنهم أحيانا ربما يكلفون إخوتهم نوابا عنهم ، وذلك كما فعل الاسكيا محمد الكبير ، الذى عهد الى أخيه عمر كمزاغ بتولى مقاليد الأمور فى المملكة أثناء غيابه فى رحلته الشهيرة الى الحج ومنحه جميع الصلاحيات (4) ويبدو ان ملوك مالى ، كانوا يشركون زوجاتهم فى الحكم وكانت تلقب فى لغة الماندينجو باسم ( القاسا ) ، ومعناها

---

(1) ابن بطوطه ، المصدر السابق ، ص443.

(2) القلقشندي 298/5 ؛ ابراهيم طرخان ، دولة مالى الإسلامية ، ص128 .

(3) ابن بطوطه ، المصدر السابق ، ص442 .

(4) عبدالقادر زبادية ، مملكة سنغاي ، ص38 .

الملكة أو الزوجة الكبرى . وقد تحدث ابن بطوطة عن زوجة منسا سليمان وشريكته فى الحكم والتي كانت ، على عادة السودان ، تشاركه الحكم ويذكر أسمهما معا على المنبر (1) . ونظرا لكون السلطان متزوجا بأكثر من زوجة فقد تتعرض القاسا، أحيانا، الى الإبعاد والعقاب الذى يصل أحيانا الى درجة السجن، فتختار الزوجة الثانية لتكون الملكة أو الزوجة الكبرى ، وذلك كما حدث عندما أشرتكت القاسا. فى تدبير مؤامرة لإقصاء منسا سليمان عن الحكم ، ولما تيقن من الأمر قرر قتلها ، ولم يحمها من ذلك سوى استجارتها بدار الخطيب (2) . وهذا يوضح أيضا مكانة الخطيب فى مجتمع السودان الغربى. كما مارس السودانيون نظام الشورى المعروف فى الإسلام ، وهذا امثال لقوله تعالى : "وأمرهم شورى بينهم" (3) كما عرفوا نظام البيعة الذى أشتهر عند المسلمين . وكانت البيعة مشروطة بأن يتبع الخليفة كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، والا فلا طاعة له على المسلمين . وكان نص البيعة : " نباعك على السمع والطاعة الأمر أمرك والنهى نهيك على الكتاب والسنة " (4). كما يلاحظ، أيضا أن حكام السودان الغربى حرصوا على التشبه بالخلفاء والحكام العرب المسلمين فى طريقة تصميم قصورهم وقاعات الاستقبال التى عادة ما كان يلحق بها قاعة كبيرة يجلس فيها الملك الى جانب ضيوفه وخاصته ، وكانوا

---

(1) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 449 .

(2) ابن بطوطة ، المصدر نفسه ، ص 449 .

(3) سورة الشورى : آية (38) .

(4) أحمد شلبى ، المرجع السابق ج 6 ، ص 711 .



يسمونها (المشور\*) ، وهى كلمة عربية مشتقة من المشورة (1) . ومن أمثلة هذه القاعات قاعة منسا موسى التى شيدها ابراهيم الساحلى كما سيتضح . ومن مظاهر تشبه حكام السودان الغربى بالملوك والخلفاء العرب ، أيضا ، هى تنظيم الإحتفالات الدينية، حيث يحضر الملك الى المصلى ، فتقام الصلاة والخطبة وبعدها يتغنى الشعراء بمدح الملك وذكر غزواته الجهادية فى سبيل نشر الإسلام ومدح أفعاله الحسنة فى تطبيق العقيدة الإسلامية ، وتغنى النساء والجوارى ، ويلعبون الألعاب الخفيفة منها اللعب بالسيوف وغيرها من الألعاب (2) .

كما عرفت ظاهرة جلوس الملك للنظر فى المظالم التى تقدم اليه من رعيته ، وهى مظهر عربى إسلامى معروف ، وقد عرفت هذه الظاهرة منذ أيام مملكة غانة، وذلك عقب خضوعها للمؤثرات العربية الإسلامية.

وقد سجل لنا الإدريسى ذلك واصفا ملك غانة بقوله : "... وهو أعدل الناس فيما يحكى عنه ومن سيرته فى قربه من الناس وعدله فيهم أن له جملة قواد يركبون الى قصره فى صباح كل يوم ولكل قائد منهم طبل يضرب على رأسه فإذا وصل الى باب القصر سكت فإذا اجتمع اليه جميع قواده ركب وصار يقدمهم ويمشى فى ازقة المدينة ودائر البلد فمن كانت له مظلمة أو ناية أمر تصدى له فلا يزال حاضرا بين يديه حتى يقضى مظلمته . " (3) . ولا يوجد ما يؤكد أن هذا الملك الغانى كان مسلما غير انه كان متأثرا بما حوله من المسلمين .

---

\* المشور: هو فناء خارج القصر وباب القصر فى داخله أى أن الداخل الى القصر يمر أولا فى المشور ثم القصر .

(1) محمود الشرقاوى . رحلة مع ابن بطوطة : من طنجة الى الصين والأندلس وإفريقيا . (القاهرة ) ، ص 381 .

(2) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 448 .

(3) الإدريسى ، المصدر السابق ، ص 23 .

ويبدو أن مظاهر التأثيرات السياسية العربية الإسلامية بدأت تتضح رويدا رويدا بانتشار العقيدة الإسلامية ومن هذه الظواهر ظاهرة تحول الملوك فى الشوارع لتفقد أحوال الرعية والوقوف على أحوالها (1) . وكذلك تقوية العلاقة والروابط بين عاصمة المملكة والمقاطعات النائية عنها . كما أمتنع الولاة المحليون فى المقاطعات والولايات فى مملكتى مالى وسنغاي الإسلاميتين عن الانفصال عن جسد المملكة اعتقادا منهم بأن خلع طاعة السلطان هى من باب الإرتداد عن الدين (2) . كما كان ملوك السودان العربى المسلمين يرسلون رجالهم لمراقبة الأحوال فى المملكة ، وإعداد التقارير المفصلة عن جميع الأوضاع لتوضع بين يدى الملك لإتخاذ اللازم . كما أنهم كانوا يفتحون مجالسهم أمام الشكاوى والمظالم التى تقدم اليهم من رعييتهم . ويشرف الملك نفسه على الفصل فى هذه المنازعات . وقد وصف القلقشندى ذلك مشيرا الى ملك مالى بقوله : " تنهى اليه الشكاوى والمظالم فيفصلها بنفسه . " (3) . وقد تحدث العمرى عن ذلك حين قال : " ومن عاداتهم انه إذا عاد أحد ممن بعث فى شغل أو مهم يسأله عن كل ماتم له من حال من حين مفارقتة الى حين عوده مفصلا والشكاوى والمظالم تنهى الى هذا الملك فيفصلها بنفسه وفى الغالب لا يكتب شيئا بل أمره بالقول غالبا وله قضاة وكتاب ودواوين هذا ماحدثنى به الدكالى . " (4) . ومن مظاهر تشبه سلاطين السودان الغربى بالخلفاء العرب المسلمين قيام الاسكيا محمد الكبير

---

(1) نعيم قداح . افريقيا الغربية فى ظل الإسلام ، ط 2 . (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1974م ، ص 176 .

(2) المرجع نفسه ، ص 176 .

(3) القلقشندى 300/5 .

(4) العمرى ، المصدر السابق ، ص 40-41 ؛ القلقشندى 301/5

بتسجيل سيرته وأعماله وجهاده فى سبيل نشر الإسلام ، وقد ندب لهذه المهمة مستشاره الخاص محمود كعت التمبكتى . وبناء على ماذكر فى عاليه ، يمكن أن يقال أن النظام السياسى فى مملكتى مالى وسنغاي الإسلاميتين ، لاسيما فى عهد منسا موسى والاسكيا محمد الكبير والاسكيا داؤود ، قد أتصف بالعدل والاستقرار وروح الطمأنينة ، وهذا راجع الى حد كبير ، الى ما أتصف به هؤلاء الحكام المسلمين من التزام دينى وخلقى . غير أنه فى بعض فترات هذه الدراسة ، وصل الى الحكم بعض الملوك الذين لم يلتزموا بهذا النهج ، الامر الذى أدى الى عودة بعض التقاليد والممارسات والعادات الغريبة ، التى اضعفها التأثير العربى الاسلامى فى تلك البقاع .

## 2- النظام الإدارى :

تجلى التأثير العربى الإسلامى فى التقسيمات الإدارية التى شهدتها كل من مالى وسنغاي ، لاسيما فى عهد أبرز سلاطينهما : منسا موسى والاسكيا محمد الكبير . فقد عرفت هاتان الدولتان النظام الإدارى المركزى حيث كانت عاصمة المملكة مقرا للحكومة المركزية التى يرأسها السلطان نفسه ، وهو الذى يفوض ولاية الأقاليم بسلطات معينة ومحددة تخولهم أن يتوبوا عنه فى إدارة شئون أقاليمهم وهذا النظام معروف فى الدول العربية الإسلامية المعاصرة وقتئذ، سواء فى المشرق العربى أو مغربه . ونسبة لتطور النظام الإدارى فى السودان الغربى فى عهد مملكتى مالى وسنغاي الإسلاميتين على النمط العربى الإسلامى ، فيتعين الوقوف على مدى ماحدث من تأثير عربى إسلامى فى هذه الفترة المعينة ، وذلك على النحو التالى :-

بالنسبة لمملكة مالي كان يقف على رأس الجهاز التنفيذي والإداري ، بعد الملك ونائبه ، الوزير ، الذي كان يلقب باسم (صندكي Sandigui) (1) وبالإضافة الى ذلك فهو يلقب باسم رئيس العبيد هذا وتشير بعض المراجع التاريخية الى أن سلاطين مملكة مالي الإسلامية قد اعتمدوا كثيرا على طبقة العبيد المحررين ، فاتخذوا منهم قادة للجيش وحكام للولايات وجباة للضرائب وكبار الموظفين ولقبوا بلقب (البولا) أى العبيد المحررين (2) .

وقد وصل أفراد من هذه الطبقة الى مناصب إدارية رفيعة ، حيث أشتهرت فى دولة مالي اثنا عشرة أسرة كبيرة من طبقة البولا ، أمتلك أفرادها الجاه والثروة ، ومن بين هذه الأسر : كارما (Kama) وسينيرو (Sineyoro) ، وتاليورو (Taliyoro) ، ودانيرو (Danyoro) ، ونويا (Noya) ، ودامبيوري (Daumbourya) ، وبيبانان (Bibanban) (3) .

ويبدو أن مملكة مالي الإسلامية كانت مقسمة اداريا الى عدد من الأقاليم فحسب رواية العمرى أنها قد شملت أربعة عشر اقليما أشار اليها بقوله : " ... والذي تشتمل عليه هذه المملكة من الأقاليم غانة وزافون وترنكا وتكرور وسنغانة وبابنغوا وزرنطابنا وبيترا ودومورا وزاغا وكابرا وبراعورى وكوكو وسكان

---

(1) القلقشندى 298/5 .

(2) أحمد فتوح عابدين . الحواضر الإسلامية فى غرب افريقيا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، تاريخها السياسى والحضارى والاقتصادى ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة فى التاريخ الحديث من معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، 1989م ، ص 154 ؛ ابراهيم طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، ص 128 .

(3) أحمد فتوح عابدين، المرجع السابق، ص 154 ؛ ابراهيم طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، ص 128 .

كوكو قبائل يرتان واقلیم مالی به قاعدة الإقليم مدينة یینی ... (1). ولكن ابن خلدون قد ذكر ان أقالیم هذه المملكة خمسة عشر اقلیما ، دون الإشارة الى اسمائها (2). وعن سعة هذه المملكة يقول القلقشندي : "... أن هذه المملكة مربعة، طولها أربعة أشهر أو أزيد، وعرضها مثل ذلك..." (3) أما فی مملكة سنغای فيبدو أن نظمها الإدارية كانت شبيهة الى حد كبير بما كان عليه نظام الحكم فی مملكة مالی الإسلامية غير أن الاسكيا محمد الكبير أدخل بعض الإصلاحات الحديثة التي جعلت مملكة سنغای تتفوق فی إدارتها على مملكة مالی (4). ومن أولى الإصلاحات الإدارية التي قام بها الاسكيا محمد الكبير هي إنشاء نيابة للملك فی تندرُم وأسندها الى أخيه عمر كمزاغ ، وذلك لوقوع العاصمة جاو فی طرف المملكة ، ولكي يتمكن من الإشراف الإداري الجيد على بقية اقالیم المملكة (5). كما قام الاسكيا محمد الكبير بتقسيم المملكة الى ولايات جعلها تتبع الى الإدارة المركزية فی العاصمة السياسية جاو وكلف واليا لكل ولاية، وأختار الولاة من بين أقربائه وعبيده المخلصين وقد بقي هذا التقسيم كما بقيت تلك السنة سائدة فی تعيين الولاة واختيارهم طيلة أيام خلفائه من الاساكی حتى الغزو المغربي لسنغای عام 1591م (6) ومن هذه الولايات :-

---

(1) العمرى ، المصدر السابق ، ص 34 .

(2) ابن خلدون 199/6 - 200 .

(3) القلقشندي 282/5 .

(4) أحمد فتوح عابدين ، المرجع السابق ، ص 165 .

(5) المرجع نفسه ، ص 166 .

(6) عبد القادر زبادية ، مملكة سنغای ، ص 34



- 1- ولاية كورما غربى نهر النيجر .
- 2- ولاية بالاما فى الجنوب الغربى من المملكة على حدود بلاد الموسى .
- 3- ولاية دندى ، الى الجنوب من العاصمة .
- 4- ولاية بانجو ، حول بحيرة ديو .
- 5- ولاية هارياندا ، وتقع على ضفة النيجر اليمنى المواجهة لجاو .
- 6- رئاسة نهر النيجر ، وكان يشرف عليها قائد الأسطول (1) .

كما أقام الاسكيا محمد وظائف ادارية لمراقبة الأحوال فى البلاد وهى : مفتشية الضرائب العامة ومشرف الشتون القبلية ومشرف الغابات ووظيفة أخرى تشبه ماكان يعرف فى المشرق العربى باسم شيخ البلد (2) ورغم أن السلطات الإدارية فى سنغاي كانت منفذة لما يقرره الملك ، وعلى ما يبدو أن الأمر يختلف فى حالة الحرب فهناك مجلس شورى يضم الحكام والقواد ورؤساء البلد ، وقد أشار السعدى الى انعقاد هذا المجلس حال ورود الانباء بقدوم المغاربة لاحتلال سنغاي (3) .

---

(1) المرجع نفسه ، ص 34-35 .

(2) عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي ، ص 35 ، أحمد فتوح عابدين ، المرجع السابق ص 169 .

(3) السعدى ، المصدر السابق ، ص 139 .

### 3- النظام القضائى :-

لقد كانت التأثيرات العربية الإسلامية واضحة المعالم فى مجال القضاء فملوك مملكتى مالى وسنغاي الإسلاميتين حرصوا على إشاعة العدل والأمن وعلى الالتزام بالكتاب والسنة وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية . وكانوا يختارون القضاة \* من الذين تتوفر فيهم غزارة العلم والنزاهة والتدين ، وهى صفات تحلى بها ، فى أغلب الأحيان الفقهاء والقضاة العرب الذين هاجروا وأستقروا بالمنطقة وكذلك السنودانيون الذين تتلمذوا على أيديهم (1) . وبالرغم من سيادة التأثير العربى الإسلامى الوافد من منطقة المغرب العربى ، فإن النظام القضائى فى مملكة مالى الإسلامية مقتبس فى معظمه من مصر (2) . ويرجع ذلك الى الآثار الهامة التى خلفتها رحلة منسا موسى التى زار خلالها الحجاز ومصر ، واصطحباه العديد من العلماء والفقهاء والقضاة ، كما سلفت الإشارة الى ذلك . وكان من المهام الرئيسية للقاضى الفصل فى المنازعات التى قد تقع بين أفراد الشعب ، وكذلك للمناوشات التى قد تثور بين ولاية الأقاليم كما لاحظ ذلك ابن بطوطة (3) . وبالرغم من أن الملك هو الذى يقوم بمهمة النظر فى المظالم الناتجة عن ظلم الولاة . غير أن القاضى كان فى بعض الأحيان يقوم بهذه المهمة بتكليف مباشر من قبل السلطان صاحب الكلمة العليا فى شئون المملكة . وفى هذا الصدد ذكر ابن بطوطة عند زيارته الى تكدا إحدى مقاطعات مملكة مالى الإسلامية : "... وفى أيام إقامتى بها توجه القاضى أبو ابراهيم ،

---

\* كان يطلق على القاضى "بانفارم" ، كعت ، المصدر السابق ، ص 35 .

(1) أحمد فتوح عابدين ، المرجع السابق ، ص 160 .

(2) ابراهيم طرخان ، دولة مالى الإسلامية ، ص 131: أحمد فتوح عابدين، المرجع السابق، ص 60

(3) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 454 .

والخطيب محمد ، والمدرس أبو حفص ، والشيخ سعد بن علي ، الى سلطان تكدا ، وهو بربري يسمى ازاز. كان على مسيرة يوم منها ووقعت بينه وبين التكركري ، وهو من سلاطين البربر أيضا منازعة ، فذهبوا للإصلاح بينهما . " (1) .

ويؤيد هذا النص ، المشار اليه ، مذهبنا اليه من سمو مكانة القاضي في السودان الغربي ، تلك المكانة التي أهلته الى فض المنازعات التي تقع بين حكام الأقاليم ، فضلا عن حل النزاعات التي تقع بين الأهالي . ومن الشواهد التاريخية التي تؤكد قيام القضاة بالفصل في النزاعات التي تقع ورد الحقوق الى اصحابها ماورد من أن أحد تجار ولاته جاء الى منسا سليمان شاكيا من ظلم لحق به من قبل مشرف الشئون التجارية بولاته ، الذي أخذ منه ستمائة مثقال ذهباً وأراد أن يرد له مائة فقط ، فما كان من السلطان إلا أن كلف القاضي بإحقاق الحق ، فقام القاضي بمحاكمة مشرف الشئون التجارية وأخذ منه حق ذلك التاجر وعزل من منصبه من قبل السلطان، وذلك حسب رواية ابن بطوطة الذي كان شاهداً على ذلك الموقف (2) وكان من مهام القاضي ، أيضا ، النظر في شئون طلاب العلم والمعرفة وكان ينفق عليهم من أملاك الاوقاف وصدقات المحسنين ، كما كان يتلقى من السلطان نصيباً من المال هو في الغالب من ريع الأملاك الخاصة بالسلطان (3) .

ويبدو أن القاضي كان يتولى الإشراف على الشئون الأخلاقية ، والإشراف على أموال اليتامى حتى يرشدوا وأموال الغرباء الذين يموتون بالمنطقة حتى يحضر

---

(1) ابن بطوطة ، المصدر السابق، صـ 454 .

(2) المصدر نفسه ، صـ 449 .

(3) السعدى ، المصدر السابق ، صـ 38 .

وكيلهم أو ورثتهم الشرعى (1). وقد سجل لنا محمود كعت حرص ملوك السودان الغربى على تعيين القضاة فى ارجاء المنطقة بقوله : "... جدد الدين وأقام القضاة والأئمة جازاه الله عن الإسلام خيرا ونصب فى تنبكت قاضيا وفى بلدة جنى قاضيا وفى كل بلد يستحق القاضى من بلاده قاضيا . " (2) . وقد أورد محمود كعت هذا النص فى أثناء حديثه عن الاسكيا محمد الكبير ، الذى عمل مستشارا له . ورغم الثقة الكبيرة التى منحها ملوك السودان الغربى للقضاة غير أن هؤلاء الملوك كانوا يعقدون جلسات للنظر فى المظالم الناشئة عن سوء تصرف الولاة وغيرهم من الأجهزة التنفيذية . والمعروف ان القضاة فى السودان الغربى كانوا يستمدون أحكامهم من المذهب المالكى ، والذى كان سائدا معظم الشمال الأفريقى . وقد كان معظم العلماء والفقهاء يتهربون من تولي منصب القضاء ، خشية تدخل الحكام فى بعض الأحيان فى إصدار الأحكام ، الأمر الذى يتجافى مع مايتحلون به من تقوى وتدين وأخلاق إسلامية سامية . غير ان بعضهم يتعرض لضغوط الحكام والحاحهم ، ويجدون أنفسهم مضطرين لتولى عبء هذا المنصب . وقد أشار المؤرخ أحمد بابا التمبكتى الى نماذج من هؤلاء القضاة ومنهم : محمد بن محمود بن ابى بكر البوكرى التمبكتى المعروف ببغيف حيث قال عنه : "... من خيار عباد الله الصالحين والعلماء العاملين مطبوعا على الخير وحسن النية وسلامة الطوية والإنطباع على الخير وإعتقاده فى الناس حتى كاد يتساوى عنده الناس فى حسن ظنه بهم وعدم معرفة الشر مع السعى فى قضاء حوائج الناس والإصلاح بينهم ... أفنى عمره مع تشبهه بحوائج العامة

---

(1) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 450 .

(2) كعت ، المصدر السابق ، ص 59 .

وأمر القضاة إذ لم يصيروا عنه بديلا ولا نالوا له مثيلا ... " (1) .

ومنهم أيضا : محمد بن عمر محمد أقيت ، حيث قال عنه : ( ... قاضي تنبكت ... كان من خيار عباد الله الصالحين العارفين به ذا تبت عظيم في الأمور وهدى تام وسكون ووقار وجلالة ، أشتهر علمه وصلاحه في البلاد وطار صيته في الأقطار شرقا وغربا وظهرت ديانتته وورعة وصلاحه وعدله في القضاء ونزاهته ، لا يخاف في الله لومة لائم يهابه السلاطين فمن دونهم ويزورونه في بيته فلا يقوم لهم ولا يلتفت اليهم ويتهادونه بالهدايا والتحف .. تولى القضاء عام أربعة وتسعمائة فشدد في الأمور وسدد وتوخي الحق في الأحكام ولذوى الباطل هدد فظهر عدله بحيث لا يعرف له نظير في وقته .. ) (2) .

كما أشار ابن خلدون الى أن القاضي أبا عبد الله بن محمد وانشول من سجلماسة . كان قد هاجر الى مدينة جاور وأستقر بها وأوكلت اليه مهمة القضاء (3) . وتحدث السعدى عن تقدير الاسكيا محمد الكبير للقضاة وأورد أنموذجا لذلك قصة استقباله للقاضي أبى البركات محمود بن عمر عند عودته من الحج عام 1508م (4) ، حيث قدم الاسكيا محمد من مقر سلطانه بجاور الى تمبكتو لاستقباله كما أن الاسكيا الحاج محمد الثانى (1582-1586م) ، وهو ابن الاسكيا داؤود ، قد تعرض لمؤامرة من قبل شقيقه محمد ينكن وقد أزره في هذه المؤامرة القاضي العاقب أقيت ، ولكن الاسكيا الحاج محمد الثانى عاقب

---

(1) التمبكتى . نيل الابتهاج بتطريز الدياج ، إشراف وتقديم عبد الحميد الهرامة .

( طرابلس : كلية الدعوة الإسلامية ، 1989م ) ، ص 600-601 .

(2) المصدر نفسه ، ص 607 .

(3) ابن خلدون 201/6 .

(4) السعدى ، المصدر السابق ، ص 74 .



شقيقه بالقتل وعفا عن القاضى العاقب ، بل وعندما وافته المنية عام 1583م جاء الاسكيا محمد الثانى لتقديم التعازى فيه (1) ، وتحدث السعدى عن المكانة الرفيعة التى كان يتمتع بها القاضى العاقب آقيت بقوله : "... كان رحمه الله مسددا فى أحكامه ثبنا فيها صلبا فى الحق لاتأخذه فى الله لومة لائم قوى القلب جدا مقداما فى الأمور العظام التى يتوقف جسورا على السلطان فمن دونه لايبالى بهم ووقع له معهم وقائع وكانوا يخضعون له ويهابونه ويطاوعونه فيما يريد إذا رأى مايكره عزل نفسه وسد بابه فيلاطفونه حتى يرجع ..." (2) . وبعد وفاة القاضى العاقب نصب القاضى أبا حفص بن عمر بن محمد آقيت ، الذى كان زاهدا فى تولى هذا المنصب (3) . ومن المعروف أن القاضى أبا حفص كانت تربطه علاقات مع السلطان أحمد المنصور السعدى ، وقد تراسلا فى إطار التمهيد للإحتلال المغربى للسودان الغربى (4) .

ونما يؤكد سمو مكانة القاضى فى دولة سنغاي أن قسم الولاء الذى يقسمه الاسكيا الجديد الذى ينصب فى الحكم يجرى أمام القاضى والعلماء، حيث يقوم الاسكيا بوضع يده على المصحف الشريف وتلاوة القسم (5) .

---

(1) محمد العزبى ، المرجع السابق ، صـ 61 .

(2) السعدى ، المصدر السابق ، صـ 40 .

(3) محمد العزبى ، المرجع السابق ، صـ 61-61 .

(4) المرجع نفسه ، صـ 185 ومابعدها .

(5) عبدالقادر زبادية ، مملكة سنغاي ، صـ 63 .

كما أن القاضي كان في مقدمة الذين يحضرون جلسات الملك (1) ، ومما يدل على احترام القاضي أيضا أن السلطان لم يكن يصافح أحدا بيده سوى القاضي (2) ، وذلك تقديرا لمكانته السامية في نفس الملك . ورغم المرتبة الرفيعة التي صار يتمتع بها القضاة وخاصة لدى الملوك ، فإن هؤلاء الملوك على ما يبدو لم يخولوا القضاة الفصل في القضايا التي تخص أمن الدولة والأمن العام ؛ إذ كان الملك يبت فيها شخصيا أو يوكل الأمر إلى أحد مستشاريه . وعادة ماتكون الأحكام التي تفصل في مثل هذه الجرائم صارمة وراعدة . وهذا الإجراء منطقي ، لأن سلطة القاضي لم تتعد الحكم بالجلد أو الإيداع في السجن (3) ومما يدل ، أيضا ، على المكانة السامية التي حظى بها القضاة وخاصة في أواخر دولة سنغاي ، ما أوضحه جون هنويك ، من أن جوذر باشا ، قائد جيوش مراكش التي احتلت تمبكتو عام 1000 هـ / 1591م ، عند بحثه عن مأوى لجنوده ، طرق باب القاضي عمر بن محمود بن محمد أقيت ، ولم يذهب إلى نائب السلطان ، وذلك للمكانة الرفيعة التي يحظى بها القاضي عمر بن أقيت . كما كان الباشا محمود بن زرقون ، قائد الجيوش المراكشية فيما بعد ، يلجأ للقضاة فيما يتعلق بشئون المدينة وسكانها (4) .

ووصف محمود كعت القضاء في تمبكتو قائلا : "... ليس فيها حكم إلا حكم متولى الشرع ولا سلطان فيها والقاضي هو السلطان ويده الحل والربط

---

(1) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 448 .

(2) كعت ، المصدر السابق ، ص 35 .

(3) عبدالقادر زبادية ، مملكة سنغاي ، ص 75 .

(4) J,o,Hunwick : "Ahmad Baba and the Moroccan invasion of the Sudan

(1591) " Journal of the Historical Society of nigeria 2:3 1962( ) . p.312.

وحده ... " (1). وقد اكتسب القضاة التقدير والإحترام فكان قضاة المدن الكبرى من كبار العلماء العرب المغاربة ، أما القرى فكان يعين لها قضاة من العلماء الوطنيين نظرا لمركز هذه القرى ويطلق عليهم ( الفع أى الفقيه ) (2) .

وخلاصة القول ، ان بصمات التأثير العربى الإسلامى كانت واضحة فى النظام القضائى فى السودان الغربى ، سواء أكان فى عهد مملكة مالى أم مملكة سنغاي .

وقد ساهم القضاة ، ومعظمهم من العرب المغاربة ، فى نشر العدالة والأمن والطمأنينة فى ربوع تلك البلاد ، لأنهم كانوا يصدرون احكامهم بتزاهة وحيادة وبدون إستجابة لأهواء الحكام الذين ربما تساور بعضهم رغبة فى الخروج على حكم من أحكام الشرع الإسلامى .

#### 4- النظام الحربى .

نتيجة للتأثير العربى الإسلامى ، اكتسب السودان الغربى القدرة على تكوين جيوش نظامية ساعدت على ضمان وحدة مملكى مالى وسنغاي الإسلاميتين والوقوف ضد أعدائها . ولقد أستطاعت مملكة مالى الإسلامية تعديل نظامها الحربى لتواكب ماهو سائد فى الممالك الإسلامية المعاصرة وأن تكسر شوكة القبلية وتقوى سلطتها المركزية .

وقد تطور النظام الحربى فى مملكة مالى على عهد الاسكيا محمد الكبير ، وأصبح يعرف نظام التعبئة والتجنيد والجيش النظامى (3) . وقامت جيوش الاسكيا محمد بممارسة عدد من أساليب الحرب التى كانت معروفة فى الوطن العربى والعالم

---

(1) كعت ، المصدر السابق ، ص 179 .

(2) أحمد فتحوح عابدين ، المرجع السابق ، ص 77.

(3) عبدالقادر زبادية ، مملكة سنغاي ، ص 65 .

الإسلامى ومنها : محاصرة المدن الحصينة والتضييق عليها وحملها على الإستسلام، وإرسال السرايا الخفيفة لتتقدم الجيوش بقصد الإستكشاف (1) ، كما تم فى أحيان عديدة إرسال الجواسيس لإستطلاع مدى قوة العدو والمسالك المؤدية الى أرضه ، وذلك كما فعل بعض ملوك سنغاي مع بلاد الموسى الوثنية (2) .

ومن أبرز هذه المظاهر أيضا تبنى سلاطين الممالك الإسلامية بالسودان الغربى لسياسة الجهاد تأكيدا للروح الإسلامية التى غلبت عليهم ، وكان ميدان الجهاد هو المناطق الوثنية المتاحة للمنطقة والتى تنزل فيها الشعوب الوثنية (3) .

ويلاحظ أن بعض المستشرقين وكثيرا من الكتاب ذوى النظرة الإستعمارية ، والذين تحركهم أحقاد دفينه ضد العناصر المسلمة ، قد حاولوا النيل من حركة الجهاد الإسلامى التى تبناها بعض السلاطين الأفارقة المسلمين ، وكان غرض هؤلاء المستشرقين التقليل والتشكيك فى العلائق الحضارية التى ربطت العرب والأفارقة منذ القدم ، والتى قويت فيما بعد باعتناقهم عقيدة واحدة هى العقيدة الإسلامية وقد برزت هذه الآراء على سبيل المثال لا الحصر فى كتابات بعض المستشرقين من أمثال : ترمنجهام ، الذى ألف ستة كتب عن الإسلام فى إفريقيا منها (الإسلام فى غرب إفريقيا) . والمؤرخ مونى ، صاحب كتاب (الجدول الجغرافى لإفريقيا الغربية فى العصور الوسطى). وبارث الذى زار المنطقة وكتب عنها دراسة بعنوان : (وصف وسط وشمال إفريقيا) وغيرهم . وقد ركز هؤلاء الكتاب وأمثالهم على وصف العرب والإفارقة المسلمين بأنهم نخاسون ، وأن حروبهم ضد المجتمعات الأفريقية الوثنية كانت تهدف الى الإستعباد والاسترقاق،

---

(1) المرجع نفسه ، ص 70 .

(2) الصفحة نفسها .

(3) حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية فى إفريقيا ، ص 219 .

ناسين أو متناسين أن النخاسة وتجارة الرقيق هي مهنة أوربية صرفة مارسها الاوربيون منذ أن حطت سفنهم في سواحل افريقيا وغيرها من بقاع العالم الاخرى (1). ولم يكتف هؤلاء المؤرخون الغربيون بذلك بل شنوا حربا شعواء ضد ممارسة السلاطين الأفارقة المسلمين للجهاد المسلح لرد كيد اعدائهم ، وأشاروا الى أن مسألة مقارعة السلاطين الأفارقة المسلمين لاعدائهم بقوة السلاح هي دليل على ان الإسلام قد انتشر بحد السيف . متجاهلين أن هذه الحروب الجهادية كانت في معظمها من منطلق الدفاع عن حياض الممالك الإسلامية في السودان الغربي ومما يؤكد ذلك ان العديد من الجماعات الوثنية عاشت في احضان المسلمين الافارقة في روح من التسامح الديني (2).

كما قصد هؤلاء المؤرخون الغربيون من خلال إدعاءاتهم هذه ، الإساءة الى العلاقات العربية الأفريقية ، تمهيدا لنشر المسيحية في القارة الافريقية (3) . وهكذا يمكن الاستنتاج أن التأثيرات العربية الإسلامية في مجال الحياة السياسية قد وضحت الى حد كبير ، وأحدثت تغييرات هامة بما يتفق وروح الإسلام الذي صار عقيدة لأهل تلك المنطقة . ورغم بقاء بعض المظاهر الوثنية مؤثرة في المجتمع مثل : تذلل المواطنين للوكونهم وتحييتهم له بثر التراب على رؤوسهم وظهورهم ، وضرورة خلع حذاء الزائر للسلطان قبل دخول مجلسه وعدم العطس بمجلس السلطان ، وظهور السلاطين في مواكب من الأبهة مما يتنافى مع التواضع والبساطة التي تدعو اليها العقيدة الإسلامية غير أن ذلك لا يقلل من أهمية الأثر الهام الذي أحدثه إنتشار مفاهيم العقيدة الإسلامية في تلك الربوع .

---

(1) محي الدين صابر. العرب وافريقيا ، العلاقات الثقافية. (بيروت : المكتبة العصرية ، 1987م ) ، ص 18.

(2) فخر الدين فضل الله ، المرجع السابق ، ص 220 .

(3) جميلة التكيثك ، المرجع السابق ، ص 70 .



## ثانيا : العلاقات السياسية مع بعض الممالك العربية الإسلامية المعاصرة فى مصر والشمال الافريقى.

لوحظ أن معظم ملوك السودان الغربى وحكامه فى عهد مملكتى مالى وسنغاي الإسلاميتين ، قد أهتموا بتوطيد علاقاتهم السياسية مع الدويلات العربية الإسلامية التى عاصرتهم ، لاسيما مع الممالك فى مصر وشريف مكة ، كما كانت علاقاتهم وثيقة ووطيدة مع المغرب الاقصى فى ظل المرينيين والسعديين أكثر من تلك التى تربطهم على سبيل المثال ، مع الحفصيين فى تونس ومع بنى عبدالواد الزيانيين بالمغرب الأوسط (الجزائر) . وربما يعزى السبب فى ذلك الى أن الأوضاع السياسية فى كل من تونس والجزائر ، وقتئذ ، كانت مضطربة. الأمر الذى جعل مجال التعاون السياسى مع السودان الغربى منحصرا فى نطاق ضيق .

ولم يأت تطلع ملوك السودان الغربى المسلمين الى توطيد علاقاتهم السياسية مع الوطن العربى من فراغ ، بل كانوا ينظرون اليه كإشعاع روحى يستمدون منه المعرفة وتعاليم العقيدة الإسلامية، فضلا عن تعزيز مكائدهم فى أعين مواطنيهم حينما يحصلون على تفويض شرعى بتقليدهم السلطة فى بلادهم (1) . وقد تجسدت قوة هذه العلاقات السياسية فى حرص ملوك السودان الغربى، على

---

(1) سعيد عبدالفتاح عاشور . العصر المماليكى فى مصر والشام . (القاهرة : دار النهضة العربية 1965م)

ربط أنسابهم بأنساب عربية شريفة\* واتخاذهم أسماء وألقاب عربية، ومحافظةهم على أداء فريضة الحج الى الأراضى المقدسة\*\*، وذلك للدلالة على ارتباطهم المصيرى بالجذور العربية الإسلامية الأصيلة . وبديهي أن يساعد كل ذلك على تدعيم وشائج العلاقات السياسية بين بلاد السودان الغربى وأقطار الوطن العربى المعنية خلال الفترة المؤرخ لها .

## 1- الممالك فى مصر .

تميزت فترة هذه الدراسة ، وهى الفترة الواقعة بين القرنين الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى والعاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، بأنها عصر ازدهار مملكتى مالى وسنغاي الإسلاميتين فى السودان الغربى، ويقابل هذه الفترة فى مصر ازدهار سلطنة المماليك، الذين حكموا مصر منذ منتصف القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى وحتى سقوط دولتهم على أيدي الأتراك العثمانيين فى أوائل القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى. ويبدو أن إحياء الخلافة العباسية من قبل سلاطين المماليك فى مصر (1) الذى تم سنة 659 هـ / 1261 م ، وذلك على أثر سقوطها فى بغداد على يد المغول سنة 656 هـ / 1258 م كان ذا أثر كبير فى توطيد عرى العلاقات السياسية بين مصر والسودان الغربى . ومن أهم العوامل التى ساهمت فى توطيد عرى العلاقات

---

\* حول حرص ملوك السودان الغربى على ربط انسابهم بانساب عربية شريفة ، راجع بداية هذا الفصل.

\*\* حول أداء ملوك السودان الغربى لفريضة الحج فى مواكب كبيرة ، راجع الفصل الرابع من هذه الدراسة (التأثير الثقافى والاجتماعى).

(1) سعيد عاشور ، المرجع السابق ، ص 342.

السياسية بين السودان الغربى ومصر ، هو وقوع مصر فى طريق الحج الى الاراضى المقدسة. وقد تحدثت المصادر التاريخية المختلفة \* عن مواكب الحجيج السودانيين عبر الاراضى المصرية ، ومن أشهرها موكب السلطان منسا موسى الذى وصل الى القاهرة فى رجب 724 هـ / 1324م ، وهو فى طريقه الى الاراضى المقدسة ، وقد أستقبل فى مصر بما يليق من تقدير واحترام ، فأوفد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بعض كبار أمرائه لإستقباله، وعين المهمندار\*\* الأمير أبا العباس أحمد بن الجاكي ليكون مرافقا له أثناء إقامته بمصر(1) . وتمثل العلاقات السياسية أيضا فى المراسلات المتبادلة بين سلاطين الممالك وحكام مملكتى مالى وسنغاي الإسلاميتين . ومن أمثلة ذلك رسالة منسا موسى الى السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، والتي مهد فيها لبعثته الى مصر فى طريقه الى الاراضى المقدسة . ويبدو أن المراسلات بين الطرفين تعددت الأمر الذى أدى الى وجود صيغ ثابتة فى دواوين سلطنة الممالك تستخدم أثناء مخاطبة ملوك السودان الغربى والأوسط ، وكانت تفتح بها المكاتبات الرسمية . ومن أمثلة هذه الصيغ : "أدام الله نصر المقر العالى السلطان الجليل الكبير ، عز الإسلام ، شرف ملوك الأنام ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين، جمال الملوك والسلاطين ، سيف الخلافة ، ظهير الإمامة ، عضد.

---

\* مثل : القلقشندي ج 5 و ج 8 ؛ المقرئى ، الذهب المسبوك وغيرهما .

\*\* كانت وظيفة المهمندار هى تلقي الرسائل والوفود الواردين الى السلطان ، وكان عليه انزالهم بدور الضيافة

وتفقد أحوالهم . انظر : القلقشندي 459/5 .

(1) المقرئى ، الذهب المسبوك ، ص 112 .

أمير المؤمنين ، الملك فلان . "(1) كما كانت هناك الهدايا المتبادلة بين حكام السودان الغربى وسلاطين الممالك مثال ذلك الهدية التى قدمها منسا موسى بعد عودته من الحج الى السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون هدية من الحجاز تبركا "(2) فأجابه السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالخلع له ولمن معه من أصحابه فضلا عن : " التحف والألطفاف من البز الاسكندرى والأمتعة الفاخرة "(3) . وباتساع نطاق العلاقات السياسية بين مصر وبلاد السودان الغربى وخاصة فى الفترة ما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين أقتضى الأمر إقامة أفراد من أهالى السودان الغربى فى مصر حتى يسهلوا فيما يبدو ، قضاء أمور مواطنيهم ، وكان الشيخ الحاج يونس المشهور بترجمان التكرور والمقيم بمصر أحد هؤلاء المذكورين (4) . ويعتقد انه كان سفيرا وراعيا لمصالح بلاده فى مصر . وعند الحديث عن العلاقات السياسية بين مصر وبين بلاد السودان الغربى لابد من الإشارة الى واقعة تقليد الاسكيا محمد الكبير بخلافة السودان الغربى \* ، وتمكن بفعل ذلك من رفع مكانته

---

(1) القلقشندى ، 8/ 10- .

(2) المصدر نفسه ، ص 296/8 .

(3) الصفحة نفسها ؛ ابراهيم طرخان ، دولة مالى الإسلامية ، ص 85 .

(4) ابن خلدون 6/ 201 ؛ زينب أحمد على هاشم . علاقة مصر بالدول الإسلامية فى حوض نهر النيجر

رسالة ماجستير غير منشورة (القاهرة : جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الافريقية) ، ص 84 .

\* ناقشت بعض المراجع التاريخية الحديثة مسألة تقليد الاسكيا محمد الكبير بالخلافة فى بلاد السودان الغربى

متسائلة ماهو المكان الذى تم فيه ذلك التقليد ؟ أهو مكة المكرمة ؟ أم القاهرة ؟ وهل تم ذلك على يد شريف

مكة ؟ أم على يد الخليفة العباسى ؟ . ولمن يريد الإطلاع على هذه الاستفسارات واجاباتها يمكنه ☞

وشخصيته وتعزيزها في منطقة السودان الغربى خاصة وغرب افريقيا عموما، وتحصل بفعل هذا التقليد على الشرعية الدينية التى أستند عليها فى توسيع رقعة الإسلام فى المنطقة وممارسة الجهاد الإسلامى ضد القبائل الوثنية فى الجنوب وقام بفتوحات جهادية كثيرة ، حتى أن دولته جاوزت حدود مملكة مالى التى سبقتها وضمت مناجم الملح فى تغازا وشملت شرقا بعض إمارات الهوسا ، حتى تاحمت بورنو ، وشمالا الى حدود المغرب الاقصى (1) ويبدو أن ممالك مصر قد فطنوا للدور البارز الذى يلعبه الاسكيا محمد الكبير فى مسار الأحداث فى السودان الغربى . ولذا ، حرصوا على توثيق الروابط والعلاقات بينهم وبين مملكة سنغاي الإسلامية ، الأمر الذى أثار حفيظة السعديين فى المغرب الاقصى ، الذين أرسلوا السفارات الى الاسكيا محمد الكبير عقب عودته من رحلة الحج مستهدفين توطيد عرى الصداقة والتحالف معه لاغراض أمنية واستراتيجية .

## 2- بنو مرين والسعديون فى المغرب الاقصى

يبدو انه رغم قدم العلاقات السياسية بين السودان الغربى والمغرب الاقصى فإن الدفعة القوية لهذه العلاقات السياسية بين الطرفين قد أبتدأت تقريبا مع بداية فترة هذه الدراسة ، وبالتحديد فى عهد السلطان المرىنى ابى الحسن بن

---

الرجوع ، على سبيل المثال ، الى : عمر عبدالرازق النقر . الحج فى غرب افريقيا، دراسة تاريخية بإشارة خاصة للقرن التاسع عشر، ترجمة : صفية صالح عيسى . جامعة الخرطوم ، كلية الاداب ، وحدة الترجمة والتعريب ، مرقونة على الالة الكاتبة ، من ص 40 الى ص 46 ؛ زينب أحمد هاشم ، المرجع السابق ، ص 78-79-80 ؛ جميلة التكتيك المرجع السابق ، ص 53-54 وغيرها .

(1) قمر الدين محمد فضل الله ، المرجع السابق ، ص 219 .



عثمان (732-752 هـ / 1331-1351م)، سلطان المغرب الأقصى ونظيره  
السلطان منسا موسى (712-738 هـ / 1312-1337م)، الذي يعد من أعظم  
سلاطين مملكة مالي الإسلامية. ويقال إنه من ضمن الأسباب التي دعت السلطان  
المريني أبي الحسن بن عثمان إلى الإهتمام بعلاقاته مع السودان الغربي، هي تربيته  
الدينية التي حدث به أن يكون متمسكا بأصول الدين الإسلامي منشأ للخلاوي  
والمدارس الدينية (1).

ومن الاشارات التي تمدنا بها المصادر التاريخية عن تطور العلاقات السياسية بين  
السلطان المريني والسلطان المالي منسا موسى هي : أن منسا موسى قد أرسل  
وفدا إلى السلطان المريني مهتئا إياه على هزيمته لبنى عبدالواد واستيلائه على  
تلمسان وجملة مناطق المغرب الاوسط، وكان على رأس الوفد المالي (فراقيس)،  
وارفقه بمترجم من الملتمين المجاورين لمملكة مالي الإسلامية. وقد أكرم السلطان  
المريني وفادة الوفد المالي وأحسن إقامتهم ويبدو أنه أثناء وجود الوفد المالي  
بالمغرب وصلت أخبار وفاة منسا موسى وتولى منسا سليمان مقاليد الأمور،  
فأنتهز السلطان أبي الحسن الفرصة وأرسل وفدا كبيرا على رأسه كاتب ديوانه  
أبو طالب بن محمد ابن أبي مرين ومولاه عنبر الحفصي، وكلف قبائل المعقل  
بجراسة الوفد ذهابا وإيابا، ووصل الوفد المغربي إلى مالي حيث قابلهم السلطان  
منسا سليمان، وتقبل منهم التعازي في وفاة سلفه منسا موسى والتهاني بتوليته  
زمام الأمور في مملكة مالي وتقبل هدايا السلطان أبي الحسن المريني وشملهم  
برعايته وكرمه (2). وفي عام 752 هـ / 1351م وصل ابن بطوطة إلى مملكة مالي

---

(1) ابراهيم حر كات. المغرب عبر التاريخ. (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 1984) ؛ ج2، ص36.

(2) ابن خلدون 266/7 ؛ محمد العزبي المرجع السابق، ص49-50.

مرسلا من قبل السلطان ابوعنان فارس المتوكل (749-759هـ/1348-1358م) سلطان بنو مرين، الذى كان قد اغتصب العرش من ابيه صاحب السفارة السابقة (1) ورغم الغموض الذى يكتنف الأهداف الاساسية التى كان يهدف اليها ابوعنان من إرساله سفارة ابن بطوطة الى مملكة مال ، فيبدو وانها كانت تهدف الى دراسة الطرق التجارية، والوقوف على مدى حجم تجارة الذهب وغيرها المتبادلة بين السودان الغربى ومصر ، ولك للعمل على تحويل مايسطيع تحويله الى بلاده (2). وبعد تولى منسا جاطة (1360-1374م) السلطنة فى مالى، أرسل سفارة الى بنى مرين وضم اليها الزرافة الحيوان الغريب الشكل ، العظيم الهيكل ، الذى كان مثيرا اعجاب واستغراب اهالى المغرب الاقصى. وقد استقبلت السفارة من قبل السلطان المرىنى ، آنذاك ، انبو سالم ابراهيم بن ابنى الحسين ، الذى أراد أن يتخذ من الهدية كسبا سياسيا ، فأقام لها احتفالا ضخما فتبارى الشعراء \* فى مدح السلطان ووصف الزرافة (3) .

---

(1) ابراهيم طرخان ، دولة مالى الإسلامية ، ص 96 .

(2) المرجع نفسه ، ص 96 .

\* وقد كان ابن خلدون من بين الحاضرين لذلك الحفل ، وأجادت قريحته بقصيدة كان مطلعها .

قدحت يد الاشواق من زند

وهتف بقلبي زفرة الوجد

وللمزيد انظر: 1- عبدالرحمن بن خلدون . التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، تحقيق : محمد بن

تاويت الطنجى . (القاهرة : نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1370هـ/1951م) ، ص 74 .

2- السلاوى الناصرى 35/4 .

(3) الشيخ الامين عوض الله ، المرجع السابق ، ص 82-83 .

وقد وصف ابن خلدون ذلك الحفل بقوله : "... وكان يوم وفادتهم يوما مشهودا جلس لهم السلطان بـرج الذهب مجلس العرض ونودي فى الناس بالبروز الى الصحراء فبرزوا ينسلون من كل حـدب حتى غص بهم الفضاء وركب بعضهم بعضا فى الازدحام على الزرافة اعجابا بخلقـتها وأنشد الشعراء فى معرض المدح والتهنئة ووصف الحال وحضر الوفد بين يـدى السلطان وأذوا رسالتهم بتأكيد الود والمخالصة ..."(1) .ومن هنا نستطيع ان نؤكد أن العلاقات السياسية بين مملكة مالى والمغرب الاقصى فى عهد بنى مرين كانت علاقات ودية ، حيث شهدت تبادل السفارات والوفود والهدايا بين الطرفين الشئ الذى يدل على متانة العلاقات السياسية بينهما. ومن بعد بنى مرين آل حكم المغرب الاقصى الى الدولة الوطاسية. ونظرا لضعف هذه الدولة وانحلالها تمكنت سنغاي، التى ورثت حكم السودان الغربى ، من مد حدودها الشمالية على حساب المغرب الاقصى ، واستولت على معادن الملح فى تغازا وتاوديني وغيرهما (2)، وبمـجىء السعديين الى الحكم فى المغرب الاقصى نشطت العلاقات السياسية بينهم وبين سنغاي .

ويبدو أن سلاطين الدولة السعدية وعوا مبكرا أهمية السودان الغربى ، وضرورة تنمية علاقاتهم معه والدليل على ذلك أن مولاى محمد القائم ، مؤسس الاسرة السعدية ، قد ارسل فى حوالى عام 1510-1511م سفارة الى الاسكيا محمد الكبير سلطان سنغاي الشهير ، وكان على رأس هذه السفارة عم الحسن الوزان.

---

(1) ابن خلدون 310/7 .

(2) محمد مزين . " المغرب وبلاد السودان خلال القرنين 16-17م الميلاديين " ، المؤرخ العربى بغداد : 31

(1987م) ، ص 216 .

وكان الحسن الوزان ذاته عضوا فيها (1). وغنى عن البيان الدور الهام الذى لعبه الوزان فى التعريف ببلاد السودان الغربى وغيرها من خلال كتابه الشهير: (وصف افريقيا) ، الذى اعتمدت عليه كثيرا فى هذا الكتاب . وبالإطلاع على الأحوال السياسية التى كان يمر بها المغرب من جراء تعرضها لضغوط برتغالية واسبانية بالإضافة الى ظهور الاتراك واكتساحهم المشرق العربى، أما سنغاي فقد عقدت فى هذه الأثناء تحالفا مع المماليك فى مصر خلال رحلة الاسكيا محمد الكبير الى الحج . ومن هنا يبدو أن سفارة السلطان السعدى محمد القائم الى سنغاي والتى كان على رأسها عم الحسن الوزان ، كان الهدف الحقيقى منها هو معرفة التوجه الحقيقى للاسكيا محمد الكبير من خلال علاقاته الناشئة مع مصر وامكانية التحالف معه للوقوف معا ضد التهديدات المسيحية فى الغرب من قبل اسبانيا والبرتغال والتهديدات التركية فى الشرق . ويقال إن السلطان السعدى أحمد الاعرج قد تدخل عام 1526م فى توات ، وطالب سنغاي بتسليم معدن تغازا (2) . ولم يكتف الاعرج بذلك بل أرسل رسالة شديدة اللهجة ، يدعو فيها الاسكيين الى الانصياع للامر الواقع وتسليم مناجم تغازا للمغاربة . وقد قابل الاسكيا اسحاق الاول (1539-1549م) هذا الإنذار بتصلب، ورد عليه بحملة عسكرية من المهرية \* الطوارق للإغارة على درعة غربى

---

(1) الوزان . وصف افريقيا ط 2 ، ترجمة : محمد حجي ومحمد الاخضر . (بيروت : دار الغرب الاسلامى .

منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ) ، ص 9.

(2) محمد مزين ، المرجع السابق ، ص 216 .

\* المهرية : نسبة للمهرى وهى نوع من الجمال السريعة العدو ، والمعدة للركوب خاصة ، ونقل البريد

لقدرتها على قطع المسافات الطويلة بسرعة قد تتجاوز 30 كم فى الساعة احيانا . أنظر : عبد القادر زبادية ،

مملكة سنغاي ، ص 88 .

سجل ماساة ، وأمرهم بنهب ما يصادفونه فى الاقليم على الا يقتلوا أحدا ، وأن يصلوا الى أسوار مراكش أن استطاعوا (1) . ويبدو أن العلاقات السياسية بين مملكة سنغاي والمغرب الاقصى كانت فاترة ويشوبها التربص والحذر فسقوط غرناطة عام 1492م وتصاعد الحروب القاسية والمستمرة بين المسلمين والمسيحيين الصليبيين من اسبان وبرتغال على شواطئ البحر الابيض المتوسط الجنوبية والمحيط الاطلسي ، قد صرفت الانتظار الى حد كبير عن إقامة علاقات سياسية مماثلة لتلك التى كانت سائدة بين مالى والمغرب الاقصى وغيرها من أقطار الشمال الافريقى . ومن الاسباب التى جعلت العلاقات السياسية بين سنغاي والمغرب الاقصى تمر بمرحلة فتور ، هو ان المغرب الاقصى فى مستهل القرن السادس عشر الميلادى كان يعانى من ضعف كبير فى السلطة المركزية للدولة الوطاسية التى خلفت بنى مرين فى الحكم ، حيث شهد المغرب الاقصى حالة من الانقسامات الى وحدات سياسية صغيرة مستقلة حفزت كل من البرتغال والاسبان على التوسع على حساب اراضيهم المطلية على البحر المتوسط والمحيط الاطلسي (2) . أما الانتقام من حملة الاسكيا اسحاق الأول فيبدو انه قد تأخر الى حين تولى الاسكيا داؤود (1549-1582م) مقاليد الامور فى مملكة سنغاي . وفى عهده قام الشريف محمد القائم بالانتقام لحادث نهب درعة ، فبعث بجماعة من فرسانه الاشداء لغزو تغازا وقتل حكامها ، وطائفة من الطوارق كانوا

---

(1) عبدالرحمن زكى . تاريخ الدول الاسلامية السودانية بافريقيا الغربية . (القاهرة : المؤسسة العربية الحديثة

للنشر والطبع والتوزيع ، 1961م) ، ص145؛ عبد القادر زبادية ، مملكة سنغاي ، ص88 .

(2) اخوان الزهراء . "الوجود الاجنبى البرتغالى وبعض عواقبه فى القرن 16م المورخ العربى ، بغداد :

31 (1987م) ، ص84 .



يعملون فى نقل الملح على الابل (1). ونتيجة لهذه العملية قام اسكيا داؤود بتحويل مناجم التعدين الى تاودينى وجنوب تغازا، حسب نصيحة الطوارق (2). وبتولى السلطان أحمد المنصور السعدى السلطنة فى المغرب عام 986هـ / 1578م، دخلت العلاقات السياسية بين المغرب الاقصى وسنغاي مرحلة جديدة تميزت بالرغبة الاكيدة لأحمد المنصور فى الاستيلاء على سنغاي ، خاصة وهو مزهو بالانتصار السياسى والعسكرى اللذين حققهما فى معركة القصر الكبير عام 986هـ / 1578م. وقد ابتدأ أحمد المنصور علاقاته السياسية مع سنغاي باستخدام الاساليب السياسية والدبلوماسية ، فأرسل الى اسكيا داؤود يقترح عليه أن يؤجر له مناجم تغازا لمدة عام (3) . وقد أرسل السلطان أحمد المنصور السعدى الى الاسكيا داؤود وهى عبارة عن عشرة الاف اوقية من الذهب ، وقد قبل الاسكيا داؤود هدية المنصور وقبل اقتراحه بأن يؤجر له ممالح تغازا لمدة عام واحد وتصادق الملكان بعد هذا الاتفاق طيلة فترة حكم الاسكيا داؤود (4) . وبتولى الاسكيا محمد الثالث 990-995 هـ / 1582-1586م مقاليد السلطنة فى مملكة سنغاي ، أرسل اليه أحمد المنصور رسولا محملا بهدايا نفيسه ، مبلغا اياه تهانى المنصور بتولى السلطنة وقد رحب الاسكيا محمد بالرسول المغربى ترحيبا لائقا ، ورد الهدية بأضعاف ماقدمه اليه الوفد المغربى (5) . ويبدو أن الغرض

---

(1) المرجع نفسه ، ص 284 .

(2) عبدالقادر زبادية ، مملكة سنغاي ، ص 46.

(3) الشيخ الامين عوض الله ، المرجع السابق ، ص 88 .

(4) عبدالقادر زبادية ، مملكة سنغاي ، ص 48 .

(5) عبدالرحمن زكى ، تاريخ الدول الاسلامية السودانية ، ص 146 .

الحقيقى لهذا الوفد ليس تقديم التهمة ، ولكن دراسة واستقصاء أحوال مملكة سنغاي تمهيدا لغزوها. ومعروف ان السلطان أحمد المنصور السعدى ومنذ توليه الحكم ، كان يبيت النية لاحتلال منطقة السودان الغربى وذلك كما سبق الايضاح. وقد تحقق هذا فعلا ، حيث أرسل حملته الشهيرة الى السودان الغربى \* عام 1000هـ / 1591م وتمكن من احتلال المنطقة واسقاط مملكة سنغاي الاسلامية ، وهذا هو التاريخ الذى حدد لنهاية هذه الدراسة .

أما عن العلاقات مع الحفصيين فى المغرب الادنى (تونس) فانه رغم قيام علاقات مختلفة بين المنطقة التى كانت تعرف باسم المغرب الادنى وهى تونس الحالية وخاصة فى عهد الحفصيين وبين المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى ، الا انه يبدو ان اهم هذه العلاقات كانت مع منطقة السودان الاوسط \*\* وذلك بحكم مصابقتها وقربها جغرافيا من منطقة المغرب الادنى . ولم يتمكن الباحث من الحصول على مادة تاريخية تؤكد انتظام علاقات سياسية بين هاتين المنطقتين وخاصة فى فترة هذه الدراسة .

---

\* للمزيد من التفاصيل حول حملة أحمد المنصور على بلاد السودان الغربى راجع :-

الفشتالى . مناهل الصفا فى مآثر موالينا الشرفاء ، دراسة وتحقيق : عبدالكريم كريم . (الرباط : مطبوعات

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية والثقافية ، 1972م) ؛ السلاوى الناصرى 95/5 وما بعدها

Joseph Cuoq , Histoire de l'Islamsation de l'Afrique de

l'ouest, (Paris, 1984), P.223

وعن الاثار التى خلقتها هذه الحملة . راجع : محمد احمد العزبى ، المرجع السابق .

\*\* حول علاقات السودان الاوسط مع مناطق الشمال الافريقى . انظر : صالح الصادق السباني المرجع

السابق ، ص 117 ومايلها .

أما عن العلاقات مع دولة بني عبدالوادر الزيانفة فقد قامت هذه الدولة فى المنطقة التى كانت تعرف بالمغرب الاوسط . وأستمرت تحكم المنطقة لأكثر من ثلاثة قرون خلال الفترة فىما بين 1236-1554م، وكانت عاصمتها مءىنة تلمسان \* . ونظرا للإضطرابات السىاسفة التى عانت منها هذه الدولة فقد حصرت اهتماماتها ، فىما فبدو ، فى مشاكلها الداخلفة وصراعاته المتصلة فى الشمال الافرقى مع كل من المرىنيين فى المغرب الاقصى والدولة الحفصفة بتونس . وقد عمل كل من المرىنيين والحفصیین على التدخل فى شئون الدولة الزيانفة الداخلفة فى محاولة منهما للسيطرة عليها وازالتها من الوجود ، ثم تعرضت دولة بنى عبد الوادر الزيانفین فىما بعد للصراع مع الاسبان الذین هددوها من الشمال واخيرا مع العثمانیین الذین وضعوا نهاية لهذه الدولة (1) . ولذا ، فبدو انه لم فتنس لهذه الدولة إقامة اتصالات وعلاقات سىاسفة وغيرها عبر الصحراء الكبرى مع ممالك السودان الغربى وصفوة القول ، ان مظاهر التأثير السىاسى العربى الاسلامى فى السودان الغربى خلال القرنین الرابع عشر والسادس عشر المىلادیین قد كان واضح المعالم فى شتى المجالات . وقد استمدت النظم السىاسفة والادارفة والقضائفة والحرففة مقوماتها من مرتكزات عربفة اسلامفة متأثرة فى مسارها بما كان سائدا فى الشمال الافرقى ومصر فنتجة للعلاقات المتينة والازلفة التى استمرت بین هاتین المنطقتین العربیتین وبلاد السودان الغربى .

.

\* للمزید حول نشأة هذه الدولة وازدهارها ، أنظر : ابن خلدون 7/78-150 ؛ فحى بوعزیز المراحل

والادوار التاريخية لدولة بنى عبدالوادر الزيانفة . مجلة الاصاله ، الجزائر: 4:26

( 1395هـ-1975م ) ، ص3 ومافلیها .

(1) المرجع نفسه ، ص12 .

وبديهي ، ان يكون التأثير السياسى العربى الاسلامى منطلقا لإعطاء دفعة قوية للعلاقات الاقتصادية مع السودان الغربى ، وهى علاقات سابقة لهذا التأثير نفسه. فيرجع الفضل للعلاقات الاقتصادية بين شمال القارة الافريقية وغربها فى تدفق الهجرات البشرية وتأسيس المراكز التجارية ، وبالتالي فى نقل المؤثرات السياسية والثقافية والاجتماعية .والفصل الذى يلى سيكشف عن مدى دور التأثير الاقتصادى فى إقامة السودان الغربى لعلاقات طيبة مع المنطقة العربية الاسلامية التى أثرت تراثه الحضارى .

## الفصل الثالث

### التأثير الإقتصادى

أولا : - أهم طرق القوافل التجارية.

ثانيا : - أهم المراكز التجارية.

1- المراكز التجارية على الطرف الشمالى للصحراء الكبرى .

2- المراكز التجارية على الطرف الجنوبى للصحراء الكبرى .

ثالثا : - أهم السلع التجارية :-

1- سلع واردة الى السودان الغربى .

2- سلع صادرة من السودان الغربى .

رابعا :- نظم التعامل : -

1- المقايضة .

2- العملات .

أ- النقود الذهبية .

ب- النقود الفضية والنحاسية .

ج- الودع .

د- المنسوجات القطنية .

3- المقاييس والمكاييل والموازين .

4- الوكالات التجارية .

خامسا : - التأثير فى مجال الزراعة والثروة الحيوانية .

سادسا : - التأثير فى مجال الصناعة والحرف والثروة

المعدنية.





لقد دخلت المؤثرات العربية الإسلامية الى السودان الغربى بصورة رئيسية من الشمال الإفريقى عبر الصحراء الكبرى ، وسهل تقدمها وتوسيع رقعتها فى تلك البقاع تصاعد النشاط التجارى وإزدهار طرق القوافل التجارية بين شمال القارة وغربها . وأصبح دور العرب المسلمين واضحا فى فتح المراكز التجارية فى الأماكن التى أرتادوها ، فضلا عن توثيق علاقتهم الإقتصادية مع الوطنيين الأفارقة الذين وجدوا منهم ترحيبا وإحتراما كبيرين لما تحلوا به من صدق وأمانة فى تعاملهم وفى تصرفاتهم . ويمكن أن يقال إن الحركة الإقتصادية فى السودان الغربى ما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين أرتبطت ارتباطا قويا بنشاط العرب المغاربة التجارى . وإليهم يرجع الفضل فى وضع أسس مفاهيم إقتصادية لم تكن معروفة لدى أهالى السودان الغربى ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ، نظام العملات والمقايضة ونظام المقاييس والمكاييل والموازين ونظام الوكالات التجارية الخ ... ومن ناحية أخرى ، لا يخفى دور التأثير الإقتصادى فى تطوير الموارد الإقتصادية المختلفة . فانتعشت السلع السودانية وتم تصديرها للخارج . كما أستغلت الموارد الزراعية والثروة الحيوانية والثروة المعدنية بطرق مرشدة . وبالإضافة الى ذلك شهدت المنطقة أساليب جديدة فى رفع مستوى الصناعات والحرف السائدة هنالك ، ولإرتباط نشر الإسلام والثقافة العربية فى السودان الغربى بعامل التأثير الإقتصادى ، فإن هذا الفصل سيعالج موضوعاته كما يلي :-

## أولاً: أهم طرق القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى .

الناظر الى الخرائط التاريخية لمنطقة السودان الغربى عبر التاريخ والى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى يتبين له أن شبكة من طرق القوافل كانت تشق الصحراء الكبرى منطلقة من الحواضر العربية على الساحل مثل : الإسكندرية وطرابلس وتونس والجزائر وغيرها أو من المراكز الصحراوية مثل : القيروان وفاس وتوات وتلمسان وغرداية ومراكش وسجلماسة والجغبوب وجبل نفوسة وأوجلة وغدامس وغات وفزان ومرزق وودان وزويلة وزلة وغيرها بإتجاه السودان الغربى والأوسط ، وحتى حزام الغابات الإستوائية فى الجنوب . وتتأكد أهمية هذه الطرق التجارية ، إذا ما عرفنا أن موانئ وسواحل الوطن العربى ، وخاصة الواقعة فى الشمال الإفريقى ، كانت تلعب دور الوساطة التجارية بين مناطق الإنتاج المدارى والإستوائى فى الجنوب وبين شعوب البحر الأبيض المتوسط فى الشمال (1) . وقد تم عن طريق هذه الموانئ توريد كل ماتحتاجه مناطق السودان الغربى من أوروبا وآسيا والمشرق العربى والشمال الإفريقى وتصدير الصادرات الإفريقية وبالذات الذهب والرقيق الى تلك المناطق . ومن المعروف أن التجار العرب المسلمين قد أحتركروا الإتصال ببلاد السودان لأسباب دينية وتجارية وإستراتيجية وكانوا صلة الوصل بينها وبين جنوب أوروبا (2) . ولم تكن القوافل التجارية تحمل السلع التجارية فقط، بل حملت معها الدين الإسلامى والثقافة العربية وكل مااحتكت به من روافد المعرفة والحضارة الإنسانية . ومع أن نطاقا صحراويا مقفرا يفصل بين منطقة الشمال الإفريقى وبين السودان الغربى،

---

(1) أبراهيم طرخان ، امبراطورية غانة الإسلامية . ص 24 .

(2) ابراهيم طرخان،امبراطورية غانة الإسلامية، ص42 ؛ بازل دافدن،المرجع السابق ،ص124.

إلا أن هذا الحاجز لم يقف جسرا يستحيل عبوره ، إذ لعبت حركة التبادل التجاري والإتصال السكاني دورا كبيرا فى تواصل وتنمية العلاقات الحضارية والتبادل الإقتصادى ، الأمر الذى أعطى الصحراء الكبرى أهمية قصوى فى مسار تاريخ المناطق الواقعة شمالها وجنوبها (1) . ولم تحجب الصحراء الكبرى ، رغم وعورة مسالكها ودروبها هذا التواصل الحضارى ، بل ظلت بمثابة البحر المحيط الذى يربط بين ساحلين . وكانت سفن الصحراء ( الإبل ) وسيلة الإتصال الهامة منذ القرون الميلادية الاولى وحتى القرن العشرين (2) . ورغم قسوة بعض العوامل الطبيعية فإن طرق القوافل عبر الصحراء الكبرى لعبت دورا هاما فى نقل المؤثرات الحضارية الى قلب القارة الإفريقية وإلى أقسامها الغربية ، كما كانت ، أيضا طرقا سلكتها الهجرات المتابعة والمتبادلة بين شمال الصحراء وجنوبها نتيجة لعوامل متنوعة سبق ذكرها \* وبتأثير نطاق الهجرة والإستيطان قوى أثر العرب فى حياة أهالى السودان الغربى ، كما ترسخت المؤثرات العربية الإسلامية نتيجة لإعتناق نسبة كبيرة منهم للدين الإسلامى ، كما أتخذت مجموعات كبيرة منهم اللغة العربية وسيلة للتخاطب والتفاهم فضلا عن أنها أصبحت لغة الثقافة والعلم .

وقد شهدت منطقة السودان الغربى قيام بعض الممالك الوطنية وثنية كانت أم إسلامية (3) . وقد حرصت هذه الممالك على تقوية صلاتها وروابطها بمناطق

---

(1) بوفيل ، المرجع السابق ، ص 28 .

(2) يوسف فضل حسن ، إنتشار الإسلام فى إفريقيا ، ص 5 .

\* أنظر : الفصل الأول من هذه الدراسة .

(3) جمال زكريا قاسم . الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية . (القاهرة : معهد البحوث والدراسات

العربية ، 1975م) ، ص 160 .

شمال الصحراء ، وهي مناطق ذات جذور حضارية عريقة . وقد لعبت طرق القوافل التجارية دورا بارزا في دعم أواصر هذه العلائق خاصة بين الوطن العربي وبين بلاد السودان الغربي والأوسط ، ومن أبرز هذه الطرق :-

- 1- الطريق الغربي ويمتد من سجلماسة الى ولاته ثم الى تمبكتو وجنى وجاو (1) .
- 2- الطريق الذي يمتد في المنطقة التي أصطلح الباحثون على تسميتها (المغرب الأوسط ) ، وهي الجزائر الحالية ، ويمتد من تلمسان الى توات الى تمبكتو (2) .
- 3- الطريق الذي يبدأ من ورقلة الى جاو ، ويتصل هذا الطريق ببعض الموانئ الجزائرية على ساحل البحر المتوسط ومنها بجاية وسكيكدة وغيرها (3) .
- 4- هناك ، أيضا ، الطريق الذي ينطلق من واحة الجريد بتونس وغالبا ما تمر قوافله بورقلة أو سوف أو غدامس (4) .
- 5- كذلك الطريق الذي يبدأ من طرابلس الغرب على الساحل الليبي ويمر بغدامس ويمر فرع منه بفزان وينتهي الى بورنو وجاو (5) .
- 6- وهناك ، أيضا ، طريق يبدأ من مصر مارا بواحة سيوة وزويلة فتادمكة فجاء الى تمبكتو (6) .

---

(1) عبدالقادر زبادية ، مملكة سنغاي ، ص214 .

(2) الشيخ الأمين عوض الله ، المرجع السابق ، ص125 .

(3) عبدالقادر زبادية ، مملكة سنغاي ، ص214 .

(4) المرجع نفسه ، ص214 .

(5) الصفحة نفسها .

(6) Fage : OP.Cit .P 22 .



وقد أعطى الرحالة والجغرافيون العرب أهمية كبرى لمعالجة موضوع طرق القوافل ، فمنهم من قدر المسافات بالمراحل والأيام كالبيكرى (1) ، ومنهم من قدرها بالأميال مثل ابن خردادبة (2) .

وكانت أهمية طرق القوافل العابرة للصحراء تتغير طبقا لقيام الدول وإنهيارها ، وانتقال مراكز الثقل السياسى والإقتصادى ، ففى عهد مملكة غانة كانت الطرق الغربية أكثر أهمية ، وبانهيارها وقيام مملكة مالي انحرفت هذه الطرق شرقا ، وبقيام مملكة سنغاي زاد إنحراف هذه الطرق ناحية الشرق وأصبحت نهاية الطرق تمبكتو وجاو ، وعقب سقوط مملكة سنغاي عام 1000 هـ / 1591م ، قلت أهمية الطرق الغربية ونشطت الطرق الشرقية عند قيام ممالك الهوسا (3) . ومن هنا يتضح أن بلاد السودان الغربى قد ربطت مع الشمال الإفريقى بشبكة من الطرق المختلفة والتي عبرت دروبها القوافل التجارية والهجرات البشرية المختلفة مما كان سببا فى تدفق المؤثرات العربية الإسلامية المختلفة صوب تلك البقاع.

---

(1) صالح عبدالقادر نورالدين ، المرجع السابق ، ص115 .

(2) المرجع نفسه ، ص115 .

(3) الشيخ الأمين عوض الله ، المرجع السابق ، ص224 ؛ قمر الدين محمد فضل الله ، المرجع السابق ،

ص212 ومايليهها .

## ثانيا: أهم المراكز التجارية :

نظرا للحركة التجارية المزدهرة التى أنتظمت بين بلاد السودان الغربى وبين مناطق الوطن العربى ، أقيمت العديد من المدن التجارية على جانبي الصحراء الكبرى ، وبالذات فى المناطق التى كانت تمر بها طرق القوافل التجارية الرئيسية العابرة للصحراء . وقد كانت هذه المدن بمثابة مراكز استقرار للتجار الذين يقومون بنقل وتوزيع المنتجات المتداولة بين الشمال الافريقى وجنوب أوربا والمشرق العربى وبين السودان الغربى . وقد شكلت هذه المراكز والمحطات التجارية شريانا للمعاملات الإقتصادية بين المنطقتين وأماكن لإمتزاج الأفكار تأثرا وتأثيرا ، وذلك بفضل ماتقدمه للمسافرين من مأوى وسبل للراحة والاستجمام .

وتهتم هذه الدراسة بإلقاء الضوء على نماذج من هذه المراكز لأهميتها فى دفع المؤثرات العربية الإسلامية الى السودان الغربى وهذه المراكز هى : مراكز تقع على الجانب الشمالى للصحراء ومراكز على الجانب الجنوبى ، وذلك على النحو التالي :-

## 1 - المراكز التجارية على الجانب الشمالى للصحراء الكبرى .

### غدامس :-

تقع غدامس عند إلتقاء الحدود الليبية مع كل من تونس والجزائر . ولغدامس تاريخ قديم يرجع الى العصر الفينيقي والرومانى فقد كانت مركزا تجاريا وحصنا حريا لروما على طريق جرمه (1) وقد دخلت ضمن حدود الدولة الإسلامية فى أثناء حملات عقبة بن نافع المشهورة على الشمال الافريقى وأشتهرت غدامس كمركز تجارى هام ، حيث أصبحت ملتقى لطرق القوافل التجارية القادمة من بعض المدن ، بسواحل الشمال الافريقى ، ثم تتفرع منها عدة إتجاهات نحو بلاد السودان الأوسط والغربى . وقد تحدث عنها صاحب كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار بقوله : " مدينة لطيفة قديمة أزلية واليها ينسب الجلد الغدامسى ... فيها غرائب من البناء والآزاج المعقودة تحت الارض ما يحار فيه الناظر اليها إذ تأملها ، تنبىء أنها آثار ملوك سالفه وأمم دارسة ، وأن تلك الأرض لم تكن صحراء وإنما كانت خصيبة عامرة . وأكثر طعامهم التمر ... ومن غدامس يدخل الى تادقلة وغيرها من بلاد السودان " (2) والى جانب خدمة القوافل التى أشتهرت بها غدامس فقد اشتهرت أيضا بصناعة الجلود ، وقد وصفها بذلك أبو الفداء حيث قال : " وبغدامس الجلود المفضلة وهى على

---

(1) محمد سليمان أيوب . "جرمة فى عصر ازدهارها من 100 م الى 450م" . ليبيا فى التاريخ . بنغازى :

كلية الآداب جامعة بنغازى 1968م ، ص 192 .

(2) الاستبصار فى عجائب الأمصار ، ص 145 ومايلها .

طريقة بلاد السودان المعروفين بالكاتم" (1) . كما تحدث عنها الحسن الوزان بقوله : "... غدامس منطقة كبيرة مسكونة ، حيث القصور العديدة ، والقرى المأهولة ، على بعد نحو ثلاثمائة ميل من البحر المتوسط . سكانها أغنياء ، لهم بساتين نخل وأموال، لأنهم يتجرون مع بلاد السودان. يدبرون شئونهم بأنفسهم، ويؤدون خراجا الى الأعراب " (2) وقد اشتهرت غدامس بأتصالاتها المتعددة مع بلاد السودان الغربى ، وقد كانت قوافلها التجارية تجوب بلاد السودان ، وقد سافر ابن بطوطة صحبة أحد هذه القوافل (3) .

وعند الحديث عن غدامس وصلاتها مع بلاد السودان الغربى لابد من الإشارة الى الجالية الغدامسية بمبكتو التى احتلت أهمية كبيرة ، ويرجع ذلك للأثر المهم والعريق الذى لعبه أفراد تلك الجالية الذين كانوا من الكثرة بحيث أنهم شيدوا حيا خاصا بهم فى تمبكتو وهو من أرقى الأحياء فى هذه المدينة ، ويقع فى جنوبها الشرقى ، ويبلغ طوله حوالى نصف كيلومتر ، وكان على درجة من الأناقة وحسن البناء والتناسق فى شوارعه (4) . ونتيجة لذلك فقد إختاره قائد الحملة المراكشية على سنغاي عندما احتل تمبكتو كمقر لإقامة قسبة حكمه . وقد حكى ذلك السعدى بقوله : "... ثم أنهم دخلوا فى داخل المدينة يوم الخميس السادس من شعبان المنير وكانوا فى المدينة وطالعوها ووجدوا أكبرها عمارة حومة الغدامسيين فأختاروها للقسبة وشرعوا فى بنائها . " (5) . وقد نال

---

(1) أبو الفداء ، المصدر السابق ، صـ 147 .

(2) الوزان 146/2 .

(3) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، صـ 452 .

(4) السعدى ، المصدر السابق ، صـ 142 .

(5) المصدر نفسه ، صـ 142 .

أفراد الجالية الغدامسية حظوة كبيرة حيث كانوا ذوى مراكز إجتماعية وسياسية مرموقة ، فقد ورد عن هذه الجالية أنها كانت أول مجموعة تعطى البيعة للعساكر المراكشية وللسلطان أحمد المنصور السعدى عندما أحتلت عساكره تمبكتو عام 1000هـ/1591م (1) ، وعندما توفى فياض الغدامسى خرج للصلاة عليه أشهر فقهاء تمبكتو (2) . والذى جعل حى الغدامسية بهذه الدرجة من الأهمية هو ذلك الثراء الكبير الذى كان يتمتع به تجار غدامس بالنسبة لسكان السودان الغربى ، وهذا أمر طبيعى نظرا لإهتمامهم الواسع بالتجارة . ولم تقتصر معاملات الغدامسيين على مدينة تمبكتو فقط بل تجاوزوها الى غيرها فتعاملوا مع تادمكة (السوق) وجاو وجنى وغيرها من الأماكن الاخرى (3) ومن هنا يتضح الدور الهام الذى لعبته غدامس فى دفع المؤثرات العربية الإسلامية صوب السودان الغربى ، سواء بتسهيلها التواصل المستمر أو من خلال ماقامت به الجاليات الغدامسية الأصل والتي هاجرت وعاشت بالمنطقة .

---

(1) أحمد سعيد الفيتورى. "الحاليات العربية المبكرة فى بلاد السودان، دراسة أولية وبعض الملاحظات" مجلة البحوث التاريخية ، طرابلس : 3 : 2 (1981م)، ص 249.

(2) السعدى ، المصدر السابق ، ص 59 .

(3) الاروانى ، مخطوطة ، "الترجمان فى تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وشنجيط واروان ونبذة من تاريخ الزمان فى جميع البلدان . رقم (760) تمبكتو - مالى : مركز أحمد بابا ، ورقة 4 .



## توات :-

تعتبر توات من أبرز المراكز التجارية التي تقوم بتنظيم القوافل التجارية وتوفير مواردها . وقد أشار اليها ابن خلدون (1) ، مما يؤكد أنها كانت مزدهرة في عهد مملكة مالي الإسلامية ، وأكد على دورها الهام في تنشيط التجارة الى بلاد السودان . ويبدو أن توات ظلت ذات أهمية قصوى في تنشيط التجارة الصحراوية حتى في أيام مملكة سنغاي الإسلامية ، إذ أنها تعتبر مركزا لإنعاش التجارة الصحراوية لأنها تقع في واحة غنية يتزود فيها التجار بالغذاء والماء العذب ، كما يتم فيها تغيير الادلاء والجمال ، وأنها كانت مركزا يقصده تجار الشمال الافريقي وجنوب اوربا لعرض وترويج بضاعتهم (2) . ويعتقد انه من الأمور التي أعطت لتوات أهمية كبرى هو وقوعها في الطريق التجارى الهام الذى يربط تلمسان مع بلاد السودان الغربى . \* ونظرا لكونها مركزا تجاريا هاما وملتقى للقوافل التجارية ، فقد أمتعن أهلها التجارة وجنوا منها أرباحا طائلة ، وهاجروا من أجلها وأستقروا في بعض مناطق السودان الغربى . وتوجد بعض الإشارات التاريخية تؤكد أن عددا من التواتيين هاجروا الى مدن السودان الغربى الرئيسية واستطاع هؤلاء المهاجرون أن يكونوا جاليات كبيرة فى كل من تمبكتو وجاو وغيرهما ، وقد التقى الفقيه محمد بن عبدالكريم المغيلى بأفراد هذه

---

(1) ابن خلدون 6/117-118 .

(2) الشيخ الامين عوض الله ، المرجع السابق ، ص133 .

\* للمزيد من المعلومات حول الطريق التجارى بين تلمسان وبلاد السودان الغربى . أنظر :

1-Mauny :Op.Cit.

2- Fage .OP.Cit .

الجالية عندما زار مملكة سنغاي في عهد الاسكيا محمد الكبير حوالى عام 1502م،  
ووجدهم يشكلون نسبة كبيرة من التجار والفقهاء العرب هناك (1) . وقد زار  
الرحالة الجنوى مالفانت (Malfante) توات حوالى عام 1447 م ويبدو أنه كان  
أول أوروبى يصل فى العصور الوسطى الى تلك المناطق ، وكان هدفه الوصول الى  
بلاد السودان الغربى ليتعرف، على حد قوله، على بلاد الذهب التى يجنى منها  
التجار المغاربة ارباحا كثيرة . وربما يكون قد وصل اليها عن طريق تلمسان ،  
فقد كان بمرفأ حين فى ذلك الوقت نشاط كبير للتبادل التجارى بين اوربا وبين  
مملكة تلمسان ، والذي تمر به البضائع المختلفة لتأخذ طريقها الى بلاد السودان  
عبر توات (2) . وقد وصف الحسن الوزان توات قائلا : " ... تحتوى على أربعة  
الاف عائلة ولها تربة خصبة لزراعة الحبوب وخاصة الشعير ... ويزرعون قصب  
السكر بكميات كبيرة تكفى حاجاتهم ويصدرون الباقي لتجار المغرب والسودان  
وعندهم كمية كبيرة من التمر . " (3) وقد لعب التواتيون دورا هاما كوسيط  
تجارى مع بلاد السودان الغربى ، كما قامت العناصر التى عاشت منهم فى بلاد  
السودان الغربى بدورا هاما فى دفع المؤثرات العربية الإسلامية الى تلك المناطق .

---

(1) عبدالقادر زبادية ، مملكة سنغاي ، ص216 ؛ جميلة التكيثك ، المرجع السابق ، ص116.

(2) عبدالقادر زبادية . " التلمساني محمد بن عبدالكريم المعيلي ، بعض آثاره وأعماله فى الجنوب الجزائرى

وبلاد السودان " ، مجلة الأصالة ، الجزائر 4:26 (1975) ، ص209 .

(3) الشيخ الامين عوض الله ، المرجع السابق ، ص133 .

## تغازا\* :-

حدّد الفشتالى موقع تغازا بقوله : "... تغازى هى بلد تتوسط القفر بين المغرب وبلد السودان ."(1). وازدادت أهميتها لوقوعها على طريق القوافل التجارية الوافدة من الشمال الافريقى حتى تمبكتو ، وهو الطريق المعروف باسم (طريق الذهب ) (2) . وشهرة تغازا ، كما هو معروف فى المصادر التاريخية ، هى أنها مصدر أساسى للملح السلعة ذات الأهمية التجارية الكبيرة عبر العصور المختلفة. وقد زار ابن بطوطة تغازا ، فى منتصف القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، وهو فى طريقه الى بلاد السودان ووصفها بقوله : "... هى قرية لاخير فيها ، ومن عجائبها أن بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح ، وسقفها من جلود الجمال . ولاشجر بها ، وإنما هى رمل فيه معدن الملح ، يحفر عليه فى الارض ، فيوجد منه الواح ضخام متراكبة ، كأنها قد نحتت ووضعت تحت الأرض ، يحمل الجمل منها لوحين ."(3) . تشير هذه الشواهد التاريخية الى طريقة استخراج الملح بتغازا والى وفرته بها الى درجة استخدامه فى بناء البيوت والمساجد وغيرها . أما عن أهمية الملح وتوفره بقرية تغازا يقول ابن بطوطة : "... وبالملاح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة ، يقطعونه قطعاً ويتابعون به ."(4) .

---

\* تغازا : تكتب أحيانا تغازى وتغازة Thagaza .

(1) الفشتالى ، المصدر السابق ، ص55 .

(2) جملة التكتيك ، المرجع السابق ، ص128 .

(3) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص441 .

(4) المصدر نفسه ، ص441 .

وقد ظلت تغازا المصدر الهام للملح لعدة قرون ، ولم تدخل تحت سيطرة أحد ، بل كانت السيطرة فيها لقبيلة مسوفة الصنهاجية ، حيث يقوم الرقيق التابعون لها بتعدين الملح بها (1) . كما كانت تغازا ، أيضا مركزا هاما لتجارة الذهب ، حيث تتم فيها مبادلته بالملح ، وقد أوضح ذلك ابن بطوطة حيث قال : "... وقرية تغازا على حقارتها يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من الذهب . " (2) . وفى بداية القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى أبرز الحسن الوزان الأهمية التجارية التى كانت تلعبها تغازا فى التجارة مع بلاد السودان ، حيث ذكر أن ملحها كان ينقله التجار الى تمبكتو ، ولولا ذلك لحصلت ندرة شديدة فى الملح (3) . ومن المعروف أن تغازا لم تقع تحت سيطرة سلطة مركزية قبيل استيلاء الاسكيين عليها زمن الاسكيا محمد الكبير ثم محاولة السعدين ، فيما بعد ، الاستيلاء عليها . أما قبل ذلك فإنها كانت تدار من قبل قبيلة مسوفة الصنهاجية ، كما سبقت الإشارة الى ذلك . ونظرا لأهمية تغازا كمركز تجارى وتعدينى فقد كانت مسرحا للصراع الاسكى-السعدى وذلك طيلة القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى تقريبا . والمعروف أن الاسكيين قد سيطروا على ممالخ تغازا . وفى هذا الصدد يقول المؤرخ عبدالعزيز الفشتالى ، الذى كان يشغل وزير القلم الأعلى فى بلاط المنصور السعدى : "... كانت فى القديم من ممالك سكية وأعماله وبها معدن الملح الذى يمتار منه سائر السودان . " (4)

---

(1) الشيخ الامين عوض الله ، المرجع السابق ، ص 130.

(2) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 441.

(3) بوفيل ، المرجع السابق ، ص 270 .

(4) الفشتالى ، المصدر السابق ، ص 55 .

وكانت أطماع السعديين فى الاستيلاء على تغازا مبكرة ، أى ترجع الى عهد القائم بأمر الله السعدى وأحمد الأعرج الذى تدخل عام 1526م فى توات مطالباً سنغاي بتسليم معدن تغازا (1) . وقد تضاعفت أطماع السعديين فى الإستيلاء على تغازا منذ عهد الاسكيا اسحاق الأول 1539 - 1549م ، وبلغت ذروة هذه الأطماع فى عهد أحمد المنصور السعدى الذى أقدم على الإستيلاء على سنغاي عموماً عام 1591 م . ومن خلال ماتقدم تبرز الأهمية القصوى التى كانت تتمتع بها تغازا كمركز تجارى هام يؤمه التجار من الشمال الافريقى ليرفدوا منها الملح باتجاه المراكز التجارية السودانية فى الجنوب ، ويؤمها التجار السودانيون لترويج مادة الذهب وغيرها من المنتجات السودانية والتزود ما أمكنهم من واردات الشمال الافريقى وغيرها من السلع والبضائع التجارية التى كان ينقلها التجار العرب المغاربة الى هناك وعن طريق هذه المبادلات انتقلت المؤثرات العربية الإسلامية وخاصة فى مجال الحياة الإقتصادية الى تلك المناطق .

---

(1) محمد مزين ، المرجع السابق ، ص 216 .



## 2- المراكز التجارية على الجانب الجنوبي للصحراء الكبرى .

### ولاته :-

تقع مدينة ولاته الى الشمال الغربى من تمبكتو ومعناها الأرض المرتفعة (1). ويقال إن مدينة ولاته أقيمت على أنقاض مدينة قديمة تسمى (بيرو) (2)، ولذلك أحيانا يشير اليها بعض المؤرخين باسم بير أو بيرو (3) . وقد أشتهرت مدينة ولاته بتنظيم العلاقات التجارية واستقبال القوافل التجارية القادمة من الشمال الافريقى وهى فى طريقها الى السودان الغربى. وتحدث عنها السعدى بقوله: "... وكان التسوق قبل بلد بير واليه يرد الرفاق من الافاق وسكن فيها الأخيار من العلماء والصالحين وذوى الأموال من كل قبيلة ومن كل بلاد من أهل مصر ووجل وفزان وغدامس وتوات ودرعه وتفلاله وفاس وسوس وبيط الى غير ذلك . " (4) وتعرف ولاته باسم (ايوالاتن) . وقد ذكرها بهذا الاسم ابن بطوطة الذى زارها وقال عنها: "... ثم وصلنا الى مدينة ايوالاتن فى غرة شهر ربيع الأول ، بعد سفر شهرين كاملين من سجلماسة وهى أول عمالة السودان ... ولما وصلنا جعل التجار أمتعتهم فى رحبة ، وتكفل السودان بحفظها . " (5).

---

(1) أحمد شلبى. موسوعة التاريخ الاسلامى. (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1978م) ج 6، ص 198

(2) بول مارتى . كنته الشرقيون ، ترجمة وتعليق : محمد محمود ودادى . (دمشق : مطبعة زيد بن ثابت

1985م ) ، ص 15 .

(3) السعدى ، المصدر السابق ، ص 21 .

(4) المصدر نفسه ، ص 21 .

(5) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 442 .

وتبدو ولاته من خلال وصف ابن بطوطة لها بمثابة مركز للتجار من سودانيين ومغاربة على حد سواء. وبحكم موقعها كانت تعد مركز استقبال للقوافل التي في طريقها الى السودان الغربى(1) . وابن بطوطة نفسه وصل اليها في صحبة إحدى هذه القوافل التجارية. وتوضح الإشارة السابقة التي أوردها ابن بطوطة أن سكان ولاته يهرعون لاستقبال القوافل التجارية بالماء والزاد ويقومون بحفظ وحراسة أمتعة التجار، ويقوم كبار التجار في ولاته باستقبال أصدقائهم القادمين ضمن القوافل التجارية ويزودونهم بوسائل التوصية للولاة ، كما يحيطونهم علما بمستوى أسعار البضائع ويسجل ابن بطوطة قيام بعض رجال قبيلة مسوفة الضنهاجية بمهمة (التكشيف) أى دور الادلاء للتجار فى الصحراء ، ونظرا لأهمية هذه العملية فى تأمين وصول القوافل الى ولاته ، فقد كانت أجرة الذين يقومون بها عالية وفى ذلك يقول ابن بطوطة : "... واكثرنا التكشيف فى هذه السفرة بمائة مثقال من الذهب ، وهو من مسوفة . " (2) . وكان من بين التجار العرب المغاربة الذين استوطنوا ولاته حوالى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، أثنان من أسرة آل المقرى ، وهما : عبدالواحد وعلى وكلاهما بنى لنفسه منزلا فخما من الحجر فى المدينة وتزوج بسيدة من أعيانها وكان يملك

---

(1) جمال زكريا قاسم . " الروابط العربية الافريقية قبل حركة الكشف الجغرافية " العلاقات العربية

الافريقية، دراسة للآثار السلبية للاستعمار ، (القاهرة : المنظمة العربية للثقافة والعلوم والفنون ، 1977م )

ص37 ومايلها .

(2) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص442 .

العديد من العبيد(1). والدليل على هذه الأهمية التجارية التي كانت تتمتع بها مدينة ولاته أنه كان بها وظيفة عرفت باسم (منشاجو) أى المشرف على الشئون التجارية وقد قابله ابن بطوطة وتحدث عنه كما انه قابل أيضا نائب سلطان مالى بالمدينة (فريا حسين) الذى كان له حراس يحرسون القوافل التجارية بالمدينة (2)، ويبدو أن ولاته بدأت تفقد أهميتها بمرور تمبكتو كحاضرة تجارية وثقافية . وقد هاجر كثير من سكان ولاته الى تمبكتو ، والدليل على ذلك أن حسن الوزان ، الذى زارها فى بداية القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى وصفها بأنها مملكة صغيرة خاملة لا نشاط لها وليس لها من الاماكن المسكونة سوى ثلاث قرى وأكواخ متفرقة بين حدائق النخيل ، وإن التجار قد تركوها شيئا فشيئا وذهبوا الى المراكز الاكثر ازدهارا مثل : تمبكتو وجاو ، وبذا أصبح أمير ولاته فقيرا لا سلطة له ، بل إن هذا الأمير صار يدفع الخراج للملك تمبكتو (3) .

### تيمبكتو:-

من المعروف أن تمبكتو قد أسستها احدى قبائل الطوارق حوالى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، وذلك كما سلف . هى تقع عند الأطراف الجنوبية للصحراء الكبرى ، فى شمال جمهورية مالى الحالية . وقد حدد الحسن الوزان موقعها بقوله : "... على بعد اثنى عشر ميلا من أحد فروع

---

(1) اسماعيل العربى . الصحراء الكبرى وشواطئها . (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1983م) ص 294 .

وسوف نشير الى دور هذه الأسرة فى تأسيس مانسميه حاليا بالوكالات التجارية فى فقرة (نظم التعامل )

ضمن هذا الفصل من هذه الدراسة.

(2) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 442 .

(3) الوزان 2/161 ومايليها .

النيجر . " (1) مما أكسبها موقعا ممتازا فى منحنى نهر النيجر كونها أقرب محطة للقوافل التجارية القادمة من الشمال الافريقى كما أن موقعها جعلها حلقة اتصال بين تجارة بلاد السودان وبين تجارة الشمال الافريقى (2) وقد وصف السعدى أهمية مركز تمبكتو الاقتصادى والتجارى بقوله : "... ويأتيه الناس من كل جهة ومكان حتى صار سوقا للتجارة ، وأكثر الناس ورودا للتسوق أهل وغد ثم أهل تلك الجهة كلها . (3) وجاء ازدهار تمبكتو الاقتصادى والتجارى أساسا من تجارة المرور ، لاسيما تجارة الذهب والملح . وساعد موقعها على طرق الصحراء أن غدت ميناء داخليا لأراضى السافانا والغابات الداخلية (4) . وقد زارها الحسن الوزان فى بداية القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، ووصف ازدهار الحياة فيها وخاصة من الناحية التجارية ، حيث يوجد بها دكاكين كثيرة للصناع والتجار والحياكين ، وتصل إليها الأقمشة الاوربية عن طريق التجار العرب المغاربة (5) . وكانت تمبكتو ، آنذاك ، مقسمة الى أحياء يسكن كل حى من هذه الأحياء تجار بلد من البلدان التى كانت قوافلها تقصد السودان الغربى . فهناك حى خاص بتجار غدامس وحى خاص بتجار توات ،

---

(1) المصدر السابق 165/2

(2) الشيخ الامين عوض الله ، المرجع السابق ، ص 136-137 .

(3) السعدى ، المصدر السابق ، ص 21 وقد فصل السعدى فى كتابه (تاريخ السودان ) الكلام عن تأسيس

تيمبكتو والتطورات التى عرفتها عمرانيا وبشرىا وسياسيا الى عصره (منتصف القرن الحادى عشر الهجرى /

السابع عشر الميلادى ) أنظر : السعدى ، المصدر السابق ، ص 20 وما بعدها .

(4) الشيخ الامين عوض الله ، المرجع السابق ، ص 137 .

(5) الوزان ، 165/2 ومايلها .

وهناك حتى يسكنه خليط من التجار الآخرين (1) . هذا الى جانب كونها سوقا لبيع الخيول العربية الأصيلة التي تصل اليها مع القوافل التجارية ، وتعرض على الملك لينتقى منها حاجته ، ويعرض الباقي فى الاسواق للبيع (2) . وبصفة عامة يمكن القول بأن تمبكتو كانت على درجة كبيرة من الإزدهار التجارى ، ولقد ساعد موقعها على طرف الصحراء أن تصبح متحكمة فى تجارة الذهب والملح ، كما كانت سوقا تجارية هامة تقوم بعرض منتجات السودان للتجار العرب، وتستقبل منتجات المغرب لتصديرها الى مناطق السودان الداخلية (3) وعلى الرغم من تنوع وتعدد المواد التجارية ، المعروضة بتمبكتو ، فقد كان أهمها الملح والذهب : " ... وتدين تنبكت بانتعاشها الإقتصادى لتجارة الذهب والملح ، فضلا عن موقعها الممتاز على طريق تغازة حيث يجلب الملح ، وطريق جنى حيث يرد الرقيق والذهب بالقوارب ، أما بلدة كبرا ، الميناء الرئيسى لتنبكت ، فكانت تستقبل الملح من تنبكت لتصدره الى المناطق الداخلية بالسودان الغربى، كما يجلب عن طريقها الذهب والدقيق من مناطقها الى تنبكت " (4) وقد تميزت أسواق تمبكتو بطابعها العربى الإسلامى ، حيث كان يغلب على نظام الأسواق فى المدن العربية الإسلامية الكبرى تقسيمها الى أقسام حيث يختص كل قسم بنوعية معينة من البضائع . وقد كانت تتوافد على أسواق تمبكتو العديد من القوافل التجارية المحملة بشتى أصناف البضائع وقد وصف ابن خلدون هذه

---

(1) عبدالقادر زبادية ، مملكة سنغاي ، ص 102 .

(2) المرجع نفسه ، ص 167 .

(3) الشيخ الامين عوض الله ، المرجع السابق ، ص 137 .

(4) الشيخ الامين عوض الله ، المرجع السابق ، ص 138 .



الحركة التجارية بقوله : " وهابتهم أمم السودان وارتحل الى بلادهم التجار من بلاد المغرب وافريقيا " . (1) . وقد أقيمت في مدن السودان الغربى التجارية ، ومنها تمبكتو ، أسواق تجارية فى أيام معلومة من كل أسبوع ، وذلك تقليدا لأسواق المغرب العربى (2) .

### جـاـو\* :-

تعد جاو من المراكز التجارية الهامة بالسودان الغربى ، وتقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر حيث يتصل به وادى تلمسى (Tilmsi) الذى ينحدر اليها من قلب الصحراء (3) . ويتحدث اسماعيل العربى عن نشأة جاو بقوله : " ونحن لانعرف متى بنيت مدينة جاو على وجه التحديد ، ولكننا نعلم أن والد أبى يزيد الخارجى ، صاحب الحمار ، قد عاش فى هذه المدينة فى شبابه ومارس التجارة فيها ، حسبما يروى ابن حماد فى تاريخ العبيدين . وبما أننا نعرف أن أبى يزيد ولد حوالى 272هـ - 883م ، فإن من السهل الاستنتاج ، أن مدينة جاو التى يسميها العرب كوكو كانت قائمة فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى . " (4) . ولاشك أن هذا الاستنتاج صائب بالإضافة الى أن هذا النص يؤكد إستيطان العديد من الهجرات العربية الإسلامية بجاو منذ زمن مبكر وما أبويزيد الخارجى الذى هو تاجر عربى من زناته الا مثال على ذلك .

---

(1) ابن خلدون 200/6 .

(2) نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص 140 .

\* تكتب جاو وحاغ وكاغ وكوكو ، أنظر : السعدى ركعت صفحات متفرقة .

(3) اسماعيل العربى ، المرجع السابق ، ص 317 .

(4) المرجع نفسه ، ص 317- ومايلها .

وقد تحدث البكري عن جاو قائلا : "... وأهلها مسلمون وحواليها المشركون وأكثر ما يتجهر اليها بالملح والودع والنحاس المسبوك والتاكوت وهو أنفق شئ عندهم الدبغ وحواليها معادن التبر وهي أكثر بلاد السودان ذهباً. " (1) . وكانت الحركة التجارية في جاو مزدهرة حيث تصلها السلع من الشمال الافريقي ومناطق الشرق العربي (2) ومن اوربا والهند ومناطق أخرى (3) وقد ازدهرت بالمدينة تجارة النحاس المسبوك ، كما سبق أن أشار البكري الى ذلك . وكان النحاس يصل اليها من مناجم تكدا. ونظرا لشهرة جاو بأنها العاصمة السياسية والإقتصادية لمملكة سنغاي الإسلامية ، فقد كان رجال الدولة والتجار يشكلون الأغلبية قياسا بطلاب العلم والفقهاء والعلمين (4) . واشتهرت جاو ايضا بكثرة عدد سكانها ، فقد قدر عددهم ، وقتئذ ، بخمسة وسبعين الفا ؛ في حين لم يزد عدد سكان تمبكتو على الثلاثين الفا ، لأنها عاصمة مملكة سنغاي الإسلامية ، مما جعلها تصبح المدينة الأولى في عدد السكان (5) .

وتوضح هذه الشواهد التاريخية أهمية جاو وارتفاع عدد سكانها وفي كونها العاصمة السياسية والإقتصادية لسنغاي ، أكثر من كونها دار ثقافة وعلم . ونتيجة لموقع هذه المدينة في ملتقى طرق القوافل التجارية الوافدة من الشمال الافريقي والشرق العربي ، فقد أصبحت تعج بالتجار العرب المسلمين ، لاسيما

---

(1) الاستبصار في عجائب الامصار ، ص 222

(2) عبدالقادر زبادية ، مملكة سنغاي ، ص 109 .

(3) الشيخ الامين عوض الله ، المرجع السابق ، ص 139 .

(4) عبدالقادر زبادية ، مملكة سنغاي ، ص 108 .

(5) المرجع نفسه ، ص 109 .

من صنهاجة الصحراء ، الذين لعبوا دورا هاما فى دفع المؤثرات الحضارية العربية  
الاسلامية نحو السودان الغربى .

وتدل إشارات الحسن الوزان على ارتفاع حجم المعروضات التجارية فى أسواق  
جاو ، حيث تعرض فيها منتجات السودان الغربى وخاصة الذهب والرقيق ،  
والمنتجات الواردة من الشمال الافريقى واوروبا (1) .

وخلال فترة ازدهار الطرق التجارية بين الشمال الافريقى والسودان الغربى ،  
كانت القوافل التجارية تصل الى تمبكتو ومنها تتجه الى جاو ، غير أن تلك  
الطرق تغيرت فى أواخر مملكة سنغاي الإسلامية ، وأصبحت القوافل التجارية  
تصل الى جاو ومنها الى تمبكتو ، والدليل على ذلك ماتشير اليه أبيات احمد بابا  
التمبكتى التى قالها أثناء وجوده بمراكش فى أعقاب الغزوة المراكشية للسودان  
الغربى ، حيث قال :

أيا قاصدا كاغوفعج نحو بلدتى      وزمزم لهم باسمى وبلغ أحتى  
سلاما عطيرا من غريب وشائقى      الى وطن الأحباب رهطى وجيرتى (2) .

### تادمكة\* :-

تحدث البكرى واصفا تادمكة بقوله : "... وتادمكة أشبه بلاد الدنيا بمكة ومعنى  
تادمكة هبة مكة وهى مدينة كبيرة بين جبال وشعاب وهى أحسن بناء من مدينة  
غانة ومدينة كوكوا ، وأهل تادمكة بربر مسلمون وهم يتنقبون كما يتنقب بربر

---

(1) الوزان ، 169/2 .

(2) عبدالقادر زبادية، مملكة سنغاي، ص158؛ الشيخ الامين عوض الله ، المرجع السابق ص140.

\* تقع آثار مدينة تادمكة (السوق) ، كما كانت تسمى ، على بعد (25) خمسة وعشرين كيلومتر تقريبا من  
مدينة كيدال الحديثة ، التى تقع ضمن الحدود السياسية لجمهورية مالى الحالية ، وتشكل إحدى الولايات  
الثلاث لشمال مالى وهى : تمبكتو وجاو وكيدال .

الصحراء " (1) . يتضح من هذه الإشارات التاريخية الأهمية الكبرى التي تتمتع بها تادمكة ، وأن بناءها حسن وتفوق في ذلك كل من غانه وكوكو . وأن امتداد الهجرات العربية الإسلامية قد وصل الى تادمكة منذ ما قبل القرن الحادى عشر الميلادى ، وهو التاريخ الذى كتب فيه البكرى مصنفه الكبير (المسالك والممالك ) . وأنها ضمت خليطا من العناصر الافريقية والعرب المغاربة ، فقد ذكر ابن حوقل ان ملوكها : " سودان ابيضت ابشارهم والوانهم " (2) . ويدل هذا على اختلاط العناصر السكانية والإقبال على الإستقرار فى تادمكة ، وتحسن الوضع الإقتصادى والأمنى فيها حتى صارت فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، أحسن بناءً من مدينة غانه وكوكو . ورغم أن ابن بطوطه لم يتعرض لتادمكة بعد خروجه الى تكدا من كوكو ثم شمالا نحو الصحراء الكبرى ، ويبدو ان ذلك لم يكن لضعف أهمية تادمكة ، وانما لأن ابن بطوطه تلقى رسالة السلطان بفاس ، فسارع لتلبية أوامره وقفل راجعا ، ولم يكمل زيارته للمنطقة واستقصاء اخبارها ووصف أحوالها (3) . ولا يعنى عدم تعرضه لتادمكة أنها فقدت مركزها التجارى نهائيا ، حيث أنها ظلت سوقا تجاريا هاما حتى أواخر القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى (4) .

---

(1) البكرى ، المصدر السابق، ص181؛ الاستبصار فى عجائب الامصار، المصدر السابق، ص223 .

(2) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص105 .

(3) ابن بطوطه ، المصدر السابق ، ص454 .

(4) أحمد الياس حسين ، الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن السادس عشر كما عرفها

الجغرافيون العرب ، رسالة لنيل درجة الماجستير فى التاريخ الإسلامى ، غير منشورة (جامعة القاهرة ، كلية

الاداب ، 1977م) ، ص137 .

## ثالثا : أهم السلع التجارية

أدى النشاط الاقتصادي الى ازدهار المراكز التجارية والى توسع حركة تبادل السلع التجارية بين المنطقتين . كما تنوعت مصادر هذه السلع وأنواعها ، وهى : سلع واردة من مناطق الشمال و سلع صادرة من مناطق السودان الغربى ، وهى كما يلى :-

### 1) السلع الواردة الى السودان الغربى .

وصلت الى السودان الغربى أنواع متعددة من السلع بعضها من البحر الابيض المتوسط وبعضها الآخر من الصحراء ومن أهم هذه السلع :

#### الملح :-

كان الملح يشكل مادة تجارية وذلك للحاجة الماسة اليه وقد أشار الى ذلك الكثير من الجغرافيين والرحالة والمؤرخين ومنهم ابن بطوطة الذى أشار الى أهمية الملح بقوله : "... وبالملاح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة ، يقطعونه قطعاً ويتبايعون به . " (1) . وكان الملح يستخرج من منجمى اوليل وتغازا اللذين تحدث عنهما البكرى بقوله : "... ومن غرائب تلك الصحراء معدن ملح على يومين من المجاية الكبرى وبينه وبين سجلماسة مسيرة عشرين يوما تحفر عنه الارض كما تحفر عن سائر المعادن والجواهر ويوجد تحت قامتين أو دونهما من وجه الارض ويقطع كما يقطع الحجارة ويسمى هذا المعدن تانتال وعليه حصن مبنى بحجارة الملح وكذلك بيوته ومشارفه وغرفه كل ذلك ملح ومن هذا المعدن يتجهز بالملاح الى سجلماسة وغانه وسائر بلاد السودان والعمل فيه متصل والتجار اليه متسايرون وله غلة عظيمة ومعدن للملاح اخر عند بنى

---

(1) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 441 .



جدالة بموضع يسمى اوليل على شاطئ البحر . " (1) . ويبدو أن الملح كان مادة ذات أهمية كبيرة لدى السودانيين ، ولاتقل أهميته عن اهتمام العالم بالذهب فى ذلك الوقت . ويؤكد بارث هذه الحقيقة بقوله : " ... والصنف الثانى الذى يشكل أهمية قصوى فى تجارة تمبكتو وفى بعض الأحيان أهم من الذهب نفسه هو الملح ، والذى أصبح يشكل مع الذهب أصناف المبادلة على طول النيجر ، منذ زمن موغل فى القدم . " (2) . وبالإضافة الى أوليل وتغازا كانت هناك بعض المصادر الاخرى للملح ، ولكن يبدو أنها كانت أقل أهمية . وقد كان الملح يحمل من الصحراء الى مراكز التجارة الكبرى على طرق الصحراء الجنوبية حيث يوضع فى الداخل . وبسبب المسافة التى يقطعها عبر الصحراء على ظهور الجمال وازدياد الطلب عليه من داخل السودان ارتفعت قيمته الشرائية بصورة كبيرة (3) . وقد اتفق الجغرافيون العرب على أن الملح كان السلعة الأولى التى يدفع السودانيون الكثير فى سبيل الحصول عليها . وكانت الممالك والمراكز التجارية على طرق الصحراء الجنوبية توليه اهتماما كبيرا ، وتيسر كل السبل للحصول عليه ولقد لعبت تجارة الملح دورا بارزا فى العلاقات بين الممالك ، فكانت غانه وجاوتداومان على ضرورة تحسين علاقاتهما باوداغست لضمان

---

(1) البكرى ، المصدر السابق ، ص 171 . أما لفظ تانتال الوارد فى النص فيبدو أن المقصود منه هو معدن تغازا ، حيث حدد البكرى موقعه على بعد يومين من المحاية الكبرى ، وبينه وبين سحلماسة مسيرة عشرين يوما . راجع البكرى ، النص المشار اليه .

(2) نقلا عن : الشيخ الامين عوض الله ، المرجع السابق ، ص 148 .

(3) أحمد الياس حسين . "سلع التجارة الصحراوية" ، الصحراء الكبرى ، ترجمة : عماد غانم ( طرابلس : منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، سلسلة الدراسات المترجمة ، 1979م ) ، ص 208 .

وصول الملح غيرها (1) وعلى العموم يتضح أن الملح كان مادة مهمة وتستهلك في السودان الغربي على نطاق واسع ولاغراض متعددة ، وبالتالي شكل اهم سلعة تجارية تصدر من الشمال لتستهلك في الجنوب وتليها في الاهمية النحاس.

### النحاس :-

حرص اهالى السودان الغربي على الحصول على النحاس ، الذى استخدموه فى اغراض مختلفة . وقد حصلوا عليه من خلال مبادلاتهم مع لتجار العرب المغاربة ، وقد توفر معدن النحاس فى كل من السوس وتادلى وتكدنا . وتحدث عنه ابن بطوطة قائلا : " ومعدن النحاس بخارج تكدنا يحفرون عنه الأرض ويأتون به الى البلد ، فيسكبونه فى دورهم " (2) . وقد تحدث ابن بطوطة عن إستخدام النحاس كعملة تستخدم فى البيع والشراء فقال : "... فإذا سبكوه نحاسا أحمر ، صنعوا منه قضباناً فى طول شبر ونصف بعضها رقاق وبعضها غلاظ ، فتباع الغلاظ منها بحساب اربعمائة قضيب بمثلقال ذهب ، وتباع الرقاق بحساب ستمائة بمثلقال ، وهى صرفهم ، يشترون برقاقها اللحم والخطب ، ويشترون بغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح " (3) . واستخدم النحاس أيضا فى الزينة كحلى وصنعوا منه الأقنعة والتمائيل .

وكان النحاس يحول الى الواح وخيوط وخواتم ، وتصدر كميات كبيرة منه الى بلاد السودان ويضيف قائلا : ويحملون النحاس منها الى مدينة كوبر ، من بلاد الكفار ، والى زغاي ، والى بلاد برنو ، وهى على مسيرة اربعين يوما من

---

(1) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 101 .

(2) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 453 .

(3) المصدر نفسه ، ص 453- 454 .

تكدا" (1) . وبهذا يتضح الدور الهام الذى لعبه النحاس فى المبادلات التجارية بين السودان الغربى والشمال الافريقى ، الى جانب مواد أخرى مثل الأقمشة .

## الأقمشة والأصباغ :-

شغف أهالى السودان الغربى بإقتناء الأنواع المختلفة من الأقمشة والمنسوجات البديعة الصنع الواردة من الشمال الأفريقى والمشرق العربى وحوض البحر الابيض المتوسط . رغم أنهم قد تعلموا صناعة النسيج ، وذلك بسبب توفر القطن الذى أستوردوا بذرته من الشمال الأفريقى ، لكن يبدو أن الكميات التى أنتجوها لم تكن فى مستوى من الكثرة والجودة حتى تكفيهم . مما دعاهم الى إستيراد هذه المنتجات عبر القوافل التجارية الوافدة على بلادهم من الشمال الافريقى . وقد وصف البكرى أهالى تادمكة وملكهم بقوله : " ... ويلبسون الثياب المصبغة بالحمرة من القطن والفولى وغير ذلك وملكهم يلبس عمامة حمراء وقميصا أصفر وسراويل زرقاء . " (2) كما وصف ابن بطوطة ملابس أهل ولاته بأنها : "ثياب مصرية حسان" (3) ، ولاحظ ابن بطوطة أيضا أن أهل تكدا يتاجرون مع مصر ويجلبون منها الثياب الحسان (4) . وقد أشتهرت مدينة سوسة بصناعة المنسوجات القطنية الرفيعة (5) وكانت هذه الملابس تعرف بالسوسية وقد وصلت الى السودان الغربى . كما كانت القوافل

---

(1) الصفحة نفسها .

(2) البكرى ، المصدر السابق ، ص 181 .

(3) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 442 .

(4) المصدر نفسه ، ص 453 .

(5) الإستبصار فى عجائب الأمصار ، المصدر السابق ، ص 119 .

التجارية تتزود بالمنسوجات الصوفية من أجدابية فتصل الى بلاد السودان الغربى عبر الطرق الصحراوية (1). وكانت مصنوعات المغرب الأقصى من المنسوجات الصوفية تصل الى السودان الغربى ومنها : "الأكسية و ثياب الصوف والعمائم والمآذر " (2) كما كانت تصل الى أوداغست الثياب الملونة (3) .

## الكتب :-

كانت الكتب من أبرز السلع المتداولة ويجنى منها التجار أرباحا طائلة بسبب الإقبال الشديد لأهالى المنطقة على اقتنائها وقد كانت أسعارها مرتفعة وسوقها رائجة . وكانت الكتب ترد من المغرب ومصر والمشرق العربى . وقد عرف السودان الغربى معظم المؤلفات المعروفة آنذاك فى الوطن العربى والعالم الإسلامى ، وذلك كما سيتضح \* . ورغم إنتشار حرفة الوراقين كتقليد لواقع الحال فى المغرب ومصر وقيام السودانين بوضع العديد من المؤلفات وفى شتى صنوف المعرفة ؛ غير أن عملية استيراد الكتب والمتاجرة فيها لم تتوقف. (4) وقد أرتفعت أسعار الكتب وذلك بسبب إقدام عدد كبير من أهالى المنطقة وأثريائها على إقتناء أعداد كبيرة منها (5). وقد أكد الحسن الوزان على

---

(1) أحمد الياس حسين ، سلع التجارة الصحراوية ، ص 210 .

(2) الادريشى ، المصدر السابق ، ص 3 .

(3) البكرى ، المصدر السابق ، ص 159 .

\* أنظر : الفصل الرابع من هذه الدراسة "التأثير الثقافى".

(4) جمال زكريا قاسم ، الروابط العربية الافريقية قبل حركة الكشف الجغرافية، ص 44-45 .

(5) بازل دافدسن ، المرجع السابق ، ص 148 .

أن هناك مخطوطات كثيرة تأتي الى المنطقة من الشمال الأفريقي وتدرأرباحا تفوق أرباح سائر البضائع (1).

## سلع أخرى :-

وصلت الى السودان الغربى عبر الصحراء الكبرى بعض السلع الأخرى مثل : القمح الذى كان يزرع فى بعض مناطق السودان الغربى ولكنه لا يكفى حاجة الإستهلاك ، ومع انه لم يكن الغذاء الرئيسى للسكان ، آنذاك ، إلا انه كان لابد من سد النقص الذى عانى منه السكان . فلجأ التجار الى استيراده من بعض أقاليم الوطن العربى . وقد أشار البكرى الى أن القوافل التجارية كانت تحمل القمح والزبيب والتمور الى اوداغست (2) . وقد وصلت الى المنطقة التمور وبعض أدوات الزينة مثل العطور والأصداف (3) والخرز والاسورة والختم (4) والودع (5) ، والفخار والادوات الخزفية الراقية الملونة والتحف المعدنية (6) والخيول (7) .

---

(1) الوران 167/2 .

(2) البكرى ، المصدر السابق ، ص 158 .

(3) الادريسي ، المصدر السابق ، ص 66 .

(4) القزوينى ، المصدر السابق ، ص 19 .

(5) البكرى ، المصدر السابق ، ص 179 .

(6) السيد عبدالعزيز سالم . المغرب الكبير فى العصر الاسلامى . (القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ،

1966م ) ، ص 573 .

(7) القلقشندي 5 / 287 .



## (2) السلع الصادرة من السودان الغربى

### الذهب :-

لعب الذهب دورا إقتصاديا هاما فى حياة بلاد السودان الغربى ، وكان وراء تنشيط حركة التبادل التجارى عبر الصحراء الكبرى منذ أيام مملكة غانة ، التى أشتهرت باسم بلاد الذهب (1) .

وكان ذهب السودان الغربى يتتج من مناجم ونجاره ، ويبدو أن أهمية الذهب فى السودان الغربى قد ازدادت فى عهد مملكة مالى ، وذلك نتيجة للشهرة التى اكتسبتها هذه المملكة على أثر حجة عاقلها منسا موسى المشهورة الى الاراضى المقدسة ، وقد أدى ذلك الترف الذى ظهر به العاقل المالى منسا موسى الى توافد التجار والعلماء والصناع الى السودان الغربى ، مما أدى الى بروز الأهمية العالمية لمملكة مالى وظهرت فى الخريطة القطالونية ، التى رسمها ابراهيم كريسك الميورقى حوالى عام 1375 (2) . وأصبحت المنطقة معروفة فى اوربا بأنها مصدر الذهب ، وقد لفتت هذه الأهمية أنظار القوى الإستعمارية الأوربية التى وضعت خططها لإستعمار المنطقة واستنزاف ثرواتها. ويزعم العالم الاثرى مونى أن حجم ماتصدره تلك المناطق من الذهب كان مايقارب تسعة أطنان من الذهب سنويا (3) .

وقد شد الذهب إنتباه الكثيرين من الرحالة والجغرافيين والمؤرخين العرب ، الذين توافدوا على المنطقة منذ حوالى القرن الثالث الهجرى /التاسع الميلادى ،

---

(1) بازل دافدسن ، المرجع السابق صـ 137 .

(2) أمين الطيى ، المرجع السابق صـ 312 .

(3) بازل دافدسن ، المرجع السابق ، صـ 136 .

وتحدثوا عن وفرة وأماكن تواجده . يقول ابن بطوطة واصفا وفرة الذهب بالسودان الغربى ، وبالذات فى تغازا : "... وقرية تغازا على حقارتها يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر . " (1) . وتحدث الحسن الوزان عن وفرة الذهب والثراء الكبير الذى ظهر به ملوك السودان الغربى بقوله : "... ويملك الملك خزانة كبيرة من النقود والسبائك الذهبية " (2) . ورغم أن مناجم الذهب كانت تقع فى الاجزاء الجنوبية من بلاد السودان الغربى ، والتى كانت فى أحيان كثيرة خارج سيطرة الممالك الإسلامية فى السودان الغربى ؛ غير أن هذه الممالك كانت تسيطر على الطرق المؤدية الى مناطق الذهب . فقد سيطرت مملكة مالى ثم مملكة سنغاي على هذه الطرق وأقامت علاقات تجارية مع الشمال الإفريقى . وفى أواخر القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى رأى الأشراف السعديون فى المغرب الأقصى أن الظروف مواتية للسيطرة على مناطق الذهب والطرق المؤدية اليه ، وذلك بسبب التفكك والإضطرابات التى كانت تعيشها مملكة سنغاي ، وبالرغم من النجاح العسكرى الذى أحرزه المنصور السعدى فإن عائده من الذهب كان ضئيلا ، وبإنتهاء سنغاي عام 1000 هـ / 1591م (3) ، انتهى عصر الذهب عبر الصحراء . والخلاصة ، أن الذهب والتجارة فيه قد لعبت دورا كبيرا فى نمو العلاقات بين الشمال الإفريقى والشرق العربى وبين السودان الغربى لعدة قرون، وساعدت على ازدياد الاتصال بين شعوبها وانتشار الاسلام والحضارة العربية فى السودان الغربى .

---

(1) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 441 .

(2) الوزان 2 / 166 .

(3) عبدالقادر ربادية ، مملكة سنغاي ، ص 53 .

## الرقيق :-

كان الرقيق يمثل أحد السلع التجارية الهامة في العالم منذ أقدم العصور . وكانت بلاد السودان الغربى أحد مصادر الرقيق الوارد الى شمال افريقيا ومناطق حوض البحر الابيض المتوسط . ويقال أن الرومان خلال حكمهم لمنطقة الشمال الافريقى قد استخدموا الرقيق على نطاق واسع فى دولتهم (1) .

ويلاحظ أن منطقة السودان الغربى كانت أكثر المناطق الافريقية تعرضا لاستنزاف أسواق النخاسة العالمية على أثر تطور حركة الكشف الجغرافية واكتشاف الأمريكتين . وقد شارك التجار الاوربيون ووكالاتهم التجارية فى نقل اعداد كبيرة من الوطنيين الافارقة الى خارج بلادهم (2) . وكان هؤلاء الرقيق الذين يعرضون فى الاسواق السودانية يجلبون فى غالب الاحيان من مناطق الغابات الجنوبية الوثنية (3) . وبالإضافة الى تصدير السودان الغربى للرقيق الاسود فإنه يبدو أنه قد كان يورد الى المنطقة الرقيق الابيض ، ولكن فى أعداد محدودة ، ولم تكن هناك أسواق محددة وذلك راجع فيما يبدو الى ارتفاع أسعارهم ، حيث كان هذا النوع من الرقيق يؤتى به من الخارج ، وذلك بناء على رغبات الملوك ، وقد شاهد ابن بطوطة لدى أحد حكام مالى جارية دمشقية (4) . ويبدو انه يانتشار وتعمق المؤثرات العربية الإسلامية بالمنطقة تعرضت مسألة الرق والمتاجرة فيه الى استهجان ، وذلك من قبل بعض العلماء والفقهاء الذين وصل بهم الأمر

---

(1) الشيخ الأمين عوض الله ، المرجع لاسبق ، ص 158 .

(2) عبدالقادر زبادية ، الحضارة العربية والتأثير الاوربي ، ص 39 .

(3) المرجع نفسه ، ص 39 .

(4) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 452 .

الى إصدار الفتاوى الدينية بعدم جواز تلك التجارة. (1)

## سلع أخرى :-

والى جانب تصدير مادتي الذهب والرقيق ، ساهم السودان الغربى أيضا بتصدير عدد من السلع الاخرى ، التى اعتمدت عليها تجارة الصحراء مثل : الدخن وريش وبيض النعام والشب والقطن والكمولا والعاج والجلود والفول السودانى والزبد والعنبر وغيرها.

## رابعا : نظم التعامل .

### (1) المقايضة

كانت وسيلة التعامل الواسعة الانتشار بين التجار العرب الوافدين ومواطنى السودان الغربى هى المقايضة التى تعتمد على الاتفاق بين الطرفين فيما يعرضانه من سلع . وكان المواطن السودانى يعرض الذهب كسلعة رئيسية الى جانب السلع الاخرى مثل سن الفيل والريش ، ويقوم التاجر الوافد بعرض الملح كسلعة أولى الى جانب بعض السلع الاخرى مثل المنسوجات وأدوات الزينة . وكان الاتفاق فى المناطق الداخلية بين التاجر الوافد والمواطن السودانى لا يتم موجهة بل يعرض كل منهما بضاعته وينسحب ، ولذلك أطلق على هذا النوع من المقايضة اسم التجارة الصامتة. وقد عرف هذا النمط من التعامل التجارى منذ أزمنة

---

(1) مثل : التمكنى . "مخطوطة معراج الصعود لنيل مجلب السود" . المعهد الموريتانى للبحث العلمى -

قسم المخطوطات ، نواكشوط - موريتانيا

سحيقة جدا . وقد ذكر هيردوتس أن الفينيقيين أدخلوا نظام التجارة الصامتة حينما تاجروا فى الذهب مع أهالى السودان الغربى ، وذلك منذ حوالى عام 450 ق.م، ومنذ ذلك التاريخ تقريبا أصبح الذهب محور تجارة السودان الغربى العابرة للصحراء (1) وكان هذا النوع من التعامل منتشرًا فى دواخل بلاد السودان الغربى حيث كانت تتوفر مناجم الذهب كما سلفت الإشارة . أما فى المراكز التجارية على أطراف الصحراء فقد كان الأمر مختلفًا قليلًا . فذلك النوع من المقايضة كان يتم بحضور الطرفين ، أهالى المنطقة الذين كانوا يمتلكون الملح والتجار . وكان هؤلاء التجار يصلون بأحمال الملح الى نهر السنغال ليبادلونها بالذهب . وبالطبع لم تقتصر هذه المبادلة أو المقايضة على سلعتى الملح والذهب إذ ذكر ابن بطوطة أثناء رحلته الى المنطقة أنه كان يحمل قطع الملح وحلى الزجاج وبعض السلع العطرية ليستبدل بها اللبن والدجاج والدقيق. (2) ويظهر أن تغلغل المؤثرات العربية الاسلامية بالمنطقة أدى الى تلاشى هذا النمط من التعامل التجارى ، وأستمر العمل بالمبادلة أو المقايضة العينية أى استبدال سلعة بأخرى . ومن المعروف أن سلعتى الذهب والملح كانتا تتم مبادلتهم بالتساوى فى عهد مملكتى غانة ومالى ، وفى حالة نقص تجار الشمال الافريقى الذين يحضرون مادة الملح فإن النسبة تعادل وزنا من الملح بوزنين من الذهب . ويصف الغرناطى هذه العملية بقوله : " فإذا وصلوا الى غانة باعوا الملح وزنا بوزن الذهب، وربما باعوه وزنا بوزنين أو أكثر على قدر كثرة التجار وقلتهم . " (3). ويبدو أن عملية المبادلة لم تقتصر على الملح . ففي المناطق التى يقل فيها الملح أو

---

(1) أحمد الياس حسين ، سلع التجارة الصحراوية ، ص 204 .

(2) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 443 .

(3) الغرناطى . تحفة الالباب . (نشر الجمعية الاسيوية ، 1950 م) ، ص 41 ومايلها .



ينعدم يتم التبادل بالسلع المحلية . فأهل سلى تعاملوا بالذرة والقمح والنحاس(1).  
وبتعرض المنطقة للتأثيرات العربية الاسلامية وتطور الحياة الاقتصادية ، أختفت  
ظاهرة المقايضة والتبادل وظهرت الحاجة الى العمل بنظام العملات .

## (2) العملات

وبإزدياد نشاط الحركة التجارية وتضاعف احجامها وتعرض المنطقة لموجة  
التأثيرات الحضارية العربية الاسلامية بدأ يظهر فى الأفق مجال التعامل النقدي  
لثبات قيمته ، ومن هنا ظهر نظام العملات مثل : النقود الذهبية والنقود الفضية  
والنحاسية الى جانب بعض السلع الاخرى التى صار لها قوة النقد وقيمت به  
المعاملات البسيطة مثل : الودع والمنسوجات القطنية .

### أ) النقود الذهبية

عرفت النقود الذهبية بالسودان الغربى منذ زمن مبكر . وقد أشار البكرى  
فى القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى الى استعمال الدينار فى تادمكة  
إذ ذكر "... ودنانيرهم تسمى الصلح لأنها ذهب محض غير مختومة " (2) .  
ورغم عدم وقوفنا على ما يوضح وزن الدينار بالسودان الغربى فإنه يبدو انه كان  
على نفس الوزن المعمول به فى الوطن العربى والعالم الاسلامى آنذاك وهو  
مثقال واحد . فقد ذكر المقرئى أن المثقال من الذهب يسمى دينار (3) . وقد  
أشار ابن بطوطة كثيرا الى ذلك أثناء تعرضه لولاته وتكداه ومالى . وقد ذكر أن

---

(1) البكرى ، المصدر السابق ، ص 173 ؛ الاستبصار فى عجائب الامصار ، 217 .

(2) البكرى ، المصدر السابق ، ص 181 .

(3) نقلا عن : أحمد الياس حسين ، طرق التجارة عبر الصحراء الكبرى ، ص 177

سعر الخيل والملح كان يقدر بالثقال بالإضافة الى ذلك فإنه قدر عطايا منسا موسى التي كان يقدحها على الشخصيات الهامة فى دولته بالثقال (1). وكانت العملات العربية متداولة بالسودان الغربى فقد وجدت دنائير مصرية مغربية فى مالى وجاوو كانت تستعمل لشراء متطلبات الأسر الحاكمة (2) ، ومن الطبيعى أن تصل أنواع كثيرة من العملات المتداولة فى الوطن العربى الى بلاد السودان الغربى وذلك بحكم الارتباط والتواصل التجارى بينهما . وقد أشار الحسن الوزان الى أن أهالى السودان الغربى كانوا يتعاملون بالعملات الذهبية بقوله : "والعملة الرائجة عند هؤلاء السودانيين هى الذهب غير المسكوك " (3). ويصف الوزان الكميات الهائلة من النقود والسبائك الذهبية المتوفرة بالمنطقة الى درجة أن أهالى المنطقة ، أحيانا يتداولون الذهب الخالص عوضا عن العملات المسكوكة بقوله : "... ويملك الملك خزينة كبيرة من النقود والسبائك الذهبية ... وتستعمل قطع الذهب الخالص بدلا من العملة المسكوكة " (4) .

## ب) النقود الفضية والنحاسية

لم يشر الجغرافيون والرحالة العرب ، بصفة عامة ، الى انتشار النقود الفضية فى السودان الغربى ، باستثناء إشارة واحدة حسب علمنا ، أوردها ابن بطوطة

---

(1) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 449 .

(2) شوقى عطا الله الجمل . " دور العرب الحضارى فى افريقيا " ، رزوف عباس أحمد (المحرر) العرب فى

افريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر ، (القاهرة : دار الثقافة العربية ، 1407 هـ / 1987 م ) ، ص 164 .

(3) الوزان 163/2 .

(4) المصدر نفسه ، ص 166 ومايلها .

بقوله، " أن أهل السودان يتصارفون بالذهب والفضة " (1) ، مع عدم تفصيله وشرحه لكيفية التصرف بالفضة . أما التعامل بالنقود النحاسية في السودان الغربي فقد كان واضحا حسب رواية ابن بطوطة الذي ذكر ان النحاس الذي يستخرج من تكدا "... صنعوا منه قضباناً في طول شبر ونصف ، بعضها رقاق وبعضها غلاظ ، فتباع الغلاظ منها بحساب اربعمئة قضيب بمئقال ذهب ، وتباع الرقاق بحساب ستمئة مئقال ، وهي صرفهم يشترون برقاقها اللحم والخطب ، ويشترون بغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح " (2) .

ويبدو أن التعامل بالنحاس لم يكن واسع الانتشار في السودان الغربي ، إذ لم تهتم بذكره المصادر العربية كثيراً كنوع من أنواع التعامل التي أشاروا إليها ، والمنطقة التي ذكر فيها التعامل بالنحاس ، بالإضافة الى تكدا المشار إليها ، هي مناطق انتاج الذهب وكان سعر الذهب فيها مرتفعاً بالقياس الى تكدا ؛ إذ يباع كل مئقال من النحاس بستة وستين مثقالاً وثلاث مئقال ذهب (3) . أما النقود الحديدية فيبدو أنها كانت منتشرة ومتداولة بالمنطقة حيث أشار الحسن الوزان في معرض حديثه عن جنى أن من العملات الرائجة عندهم "قطع الحديد لشراء أشياء تافهة كاللبن والخبز والعسل وتزن هذه القطع رطلاً أو نصف رطل أو ربعة" (4) ولم يحدد الحسن الوزان قيمة هذه العملة الحديدية مقابل غيرها من العملات كالعملة الذهبية أو النحاسية .

---

(1) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 441.

(2) المصدر نفسه ، ص 453 ومايلها .

(3) القلقشندي 291/5 .

(4) الوزان 163/2 .

## (ج) الودع \*

وصل الودع الى بلاد السودان الغربى عن طريق قوافل التجارة وخصوصا قوافل العرب المغاربة وقد حمل بعض التجار عددا من هذه الأصدا ف الى جزر المالديف . وباعوا انتاجها بإفريقيا الغربية . كما كان الودع معروفا ضمن التعامل التجارى فى شرق إفريقيا . وأصبح الودع عملة معترفا بها فى بلاد السودان الغربى . وقد أشار الى ذلك العمرى بقوله "... أخبرنى ابن أمير حاجب أن المعاملة فى بلاد التكرور بالودع وان التجار أكثر ما يجلب اليهم الودع وتستفيد به فائدة جليلة " (1) . ويتضح من خلال هذا النص أن الودع كان يستعمل وسيلة للتعامل التجارى فى مملكة مالى ويذكر محمود كعت أن الودع كان عملة شائعة فى السودان الغربى أواخر القرن السادس عشر الميلادى . وأن المثقال من الذهب فى تمبكتو كان يصرف بثلاثة آلاف ودعة . وأن العشر تمرات تباع بخمس ودعات (2) .

وعندما جاء بعض الاوربيين الى سواحل غرب إفريقيا جلبوا معهم الودع بسفنهم من الهند فنافسوا بهذا العمل تجار العرب المغاربة . (3) .

---

\* الودع هو عبارة عن فصيلة من أصدا ف بحار المناطق الحارة يعيش بداخلها بعض القواقع المائية ويتكون جسم الصدفة من كربونات الجير ، حسبما جاء بموسوعة الثقافة العلمية مادة (صدفة) ويسمى الودع أو الكورى أو (Couris) وعلميا (Cypriamonta) .

(1) العمرى ، المصدر السابق ، ص 44 .

(2) كعت ، المصدر السابق ، ص 183 .

(3) محمد العزبى ، المرجع السابق ، ص 435 ؛ 430 : OP.Cit . Mauny ؛ الشيخ الامين عوض الله ،

المرجع السابق ، ص 149 .

## (د) المنسوجات القطنية

ومن السلع التي استعملت كنقد ، أى صارت لها قوة النقد هي منسوجات قطنية عرفت في السودان الغربى وهى تسمى الشكيات ويقول عنها صاحب كتاب الإستبصار : "وبتبايع اهلى سلى ... بأزر لطاف من قطن يسمونها الشكيات " (1) .

ويتحدث ابن بطوطة عن استعمال هذه المنسوجات أو الاثواب كنقد لشراء بعض الحاجيات حيث يقول : "... وقصدت السفر الى توات ، ورفعت زاد سبعين ليلة ، إذ لا يوجد الطعام فيما بين تكدا وتوات ، وانما يوجد اللحم واللبن والسمن ، يشتري بالاثواب . " (2) .

## ( 3 ) المقاييس والمكايل والاوزان

نتيجة للإختلاط والتبادل التجارى بين العربى وأهالى السودان الغربى فقد أستعمل أهالى السودان الغربى العديد من المقاييس والمكايل والموازين التى عرفتها الحضارة العربية الإسلامية، وذلك على النحو التالى :

### أ) المقاييس :-

وردت المقاييس التى استعملها السودانيون فى كتابات كل من : السعدى وكعت احمد بابا التمبكتى ولكن دون تحديد لمقاديرها ، وقد قام مونى ببحثها وأشار الى مقاديرها . ومن هذه المقاييس .

---

(1) الاستبصار فى عجائب الامصار ص 217 ؛ البكرى ، المصدر السابق ، ص 172 .

(2) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 454 .



الشبر :-

وهو يساوى الامتداد بين الخنصر والابهام حين تكون الكف مفتوحة ، وقد قدره مونى بـ 21،5 سم تقريبا (1) .

الذراع :-

وهو الامتداد بين عقدة المرفق ونهاية الوسطى ، ويساوى حوالى 50 سم تقريبا (2) .

الميل :-

وهو يستعمل فى قياس المسافات بصورة خاصة ، وقد قدره مونى ايضا بـ 1920 مترا (3) .

الفرسخ :-

لقياس المسافات الطويلة وكان يساوى ثلاثة أميال أى  $1920 \times 3 = 5760$  مترا تقريبا (4)

ب) المكاييل

ومن المكاييل التى كانت تستخدم هى :

المد :-

ويساوى سعة اربعة الواح يجمع اليدين ، وقد قدره مونى أيضا بما يعادل 0،75 سم . لتر بالتقريب .

---

(1) Mauny :OP.Cit.P412

(2) Loc , cit .

(3) عبد القادر زبادية ، الحضارة العربية والتأثير الاوروبى ، ص53 .

(4) المرجع نفسه ، ص53 .

الصاع :-

وهو يساوى اربعة أضعاف المد أى يعادل ثلاثة لترات تقريبا .

القنطار :-

ويقدر بمائة رطل تقريبا .

المودى :-

وهو يساوى ما يحمله العبد أو الرجل من حبوب أو غيرها فى كيس كان

يتخذ من جلد. (1)

ج) الاوزان

أما الاوزان ، فكان أهمها .

المشقال :-

وكان يساوى اربعين درهما .

الدرهم :-

وكان يساوى أربعة أعشار الدينار .

الوقية :-

وقد ذهب موني الى انها تساوى حوالى 28،5 غرام تقريبا (2). وتجلى مظهر

التأثير العربى الاسلامى فى أن أضحت اللغة العربية لغة التجارة والتعامل فى

أسواق السودان الغربى بدرجة أن المصطلحات العربية المتعلقة بالمقاييس والمكاييل

والاوزان أنتقلت بأسمائها العربية الى اللغات الافريقية المحلية (3) .

---

(1) عبدالقادر زبادية ، الحضارة العربية والتأثير الاوروبى ، صـ54 .

(2) المرجع نفسه ، صـ54 .

(3) الشيخ الامين عوض الله ، المرجع السابق ، صـ181 .

## 4 ( الوكالات التجارية

نتيجة إزدهار النشاط التجارى فى أسواق السودان الغربى فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين ، شهدت المنطقة نظام الوكالات التجارية التى يرجع الفضل فى ترسيخ أسسه الى العناصر العربية التى تاجرت مع تلك المناطق وكان من أشهر الأسر هى أسرة (آل المقرى) وهم أجداد أحمد المقرى التلمسانى مؤلف كتاب : ( نفح الطيب فى أغضان الاندلس الرطيب ) ، وقد شكلوا حوالى القرن الثامن الهجرى /الرابع عشر الميلادى مايمكن تسميته بالوكالة التجارية ، حيث انشأوا لها ثلاثة مراكز رئيسية فى كل من تلمسان وولاته وسجلماسة . وكانت مهمة المقيم بسجلماسة من أعضاء هذه الشركة هو عقد الصفقات التجارية واستقبال البضائع الواردة من الشمال الافريقى واوروبا والمرسلة له من شركائه بتلمسان ، ويقوم بتحويلها الى وولاته لتزويجها ببلاد السودان الغربى ، فى حين يقوم شركاؤه بولاته بتجميع المنتجات السودانية من ذهب ورقيق وجلود وعاج وماليها وارسالها الى سجلماسة لتسوق الى اوروبا من الشمال الافريقى (1) .وقد تحدث أحمد المقرى عن مزاولة أجداده لهذه العملية التجارية بقوله : "... فمهدوا طريق الصحراء بحفر الابار وتأمين التجار ، واتخذوا طبلا للرحيل ، وراية تقدم عند المسير وكان ولد يحى الذين أحدهم ابوبكر خمسة رجال ، فعقدوا الشركة بينهم فى جميع ماملكوه أو يملكونه على السواء بينهم والاعتدال ، فكان ابوبكر ومحمد وهما ارومتا نسبي من جميع جهات أبى وأمى بتلمسان، وعبدالرحمن وهو شقيقهما الاكبر بتلمسان ، وعبدالواحد وعلى

---

(1) عبدالعزيز بن عبدالله .الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية ، معلمة الصحراء .

(الرباط : مطبعة فضالة ، 1976م)، ص 19 ؛ الخليل النحوى ، المرجع السابق ، ص 95 .

وهما شقيقاهما الصغيران بايولاتن فاتخذوا بهذه الاقطار والحوايط والديار، وتزوجوا النساء، واستولدوا الإماء، وكان التلمساني يبعث الى الصحراوى بما يرسم له من السلع، ويبعث اليه الصحراوى بالجلود والعاج والجوز والتبر، والسجلماسى كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان، ويكاتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان، حتى اتسعت أحوالهم... (1). ورغم عدم الحصول على مادة تاريخية تؤكد انتظام هذا النوع من التعامل التجارى مابعد القرن الثامن الهجرى /الرابع عشر الميلادى، فإنه من المرجح أن يكون نظام الوكالات التجارية أستمّر بالنمط نفسه طيلة فترة هذه الدراسة.

#### خامسا :- التأثير فى مجال الزراعة والثروة الحيوانية .

لقد كان للعقيدة الإسلامية والتي صارت عقيدة لأهالى السودان الغربى الأثر البالغ فى تشجيع العمل الزراعى وتربية الماشية بعد أن كانوا يعيشون على الصيد والقطاف . وبتحريم الإسلام لتربية الخنازير وأكلها والحث على الإكثار من تربية المواشى والانعام وهى حيوانات لها أهميتها الاقتصادية . وقد كانت تربية المواشى خير معين لأهالى المنطقة على الاقلاع عن عادة أكل لحوم البشر التى كانت منتشرة بتلك المناطق (2) . وتعرض المنطقة للتأثيرات الحضارية العربية الإسلامية ومافى الاسلام من روح تسامح وتعاون وإخاء، وقيام الدول المركزية

---

(1) التلمساني . نفع الطيب فى أغصان الاتنلس الرطيب ، تحقيق : احسان عباس (بهرت ، دار صادر ،

1968م)، ج 5 ، ص 205 .

(2) نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص 141 .

المنظمة ، أدى ذلك الى التخلص من المنازعات القبلية والصراعات العشائرية ، فشعر الأهالى بالأمان والاطمئنان والاستقرار مما دفعهم الى الإنصراف الى ممارسة الزراعة وتربية الحيوانات ، وتركوا حياة الغابات والكهوف ليستقروا فى الاراضى الزراعية بصورة دائمة .(1) .

### فى مجال الزراعة :-

من بين المزروعات التى حرص أهالى السودان الغربى على الإهتمام بزراعتها هى القطن ، التى توفرت الظروف المناسبة لزراعته فى المناطق الوفيرة المياه حول الأنهار وفروعها وفى المناطق التى بها معدل أمطار سنوى يكفى لزراعة تلك المحاصيل . ومن المرجح أن بذرة القطن قد جلبت من الشمال الافريقى (2) . وقد كانت حاجة أهالى السودان الغربى ماسة للقطن الذى راجت فيما بعد زراعته بالمنطقة ، واستخدم فى صناعة النسيج والملابس ، خاصة وأن العقيدة الاسلامية ، التى صارت عقيدة أغلب الاهالى كانت تشجع على الاكتساء وستر العورة (3) . كما عرفت بالمنطقة زراعة القمح ، الذى كان يستهلك من الطبقة المترفة والمغاربة، وكان أغلبه يستورد من الشمال الافريقى (4) . كما زرع الكروم والتين وهى من أشجار البحر المتوسط وكانت

---

(1) المرجع نفسه ، صـ141 .

(2) الوزان 163/2 ؛ الشيخ الامين عوض الله ، المرجع السابق ، صـ177 ؛ عبدالقادر زبادية ، الحضارة العربية والتأثير الاوربى ، صـ17 .

(3) أحمد فتوح عابدين ، المرجع السابق ، صـ366 .



أثمانها مرتفعة كما زرعت بالمنطقة أيضا محاصيل الذرة والدخن والبقول السوداني. ويعتقد أنه من الأسباب الهامة التي ساهمت في ازدهار الزراعة في تلك المنطقة هي توفر البذور الجيدة والطارئة ، بالإضافة الى توفر الخبرة الوافدة من الشمال الأفريقي (1) . ويعتقد ان الزراعة بالسودان الغربى قد شهدت تطورا ملحوظا واتساعا أفقيا وذلك عقب شق القنوات وايصال المياه الى الجهات المنخفضة ، واقامة السدود على البحيرات للاحتفاظ بمياه الفيضان . ويبدو أن مسألة تحكم أهالى السودان الغربى فى ضبط مياه الفيضان واحتجازها وراء السدود لم يذكر عنها شيء فيما نعلم إلا فى عهد الملك سنى على ، الذى أختمرت فى ذهنه فكرة شق قناة لنقل المياه من الطرف الشمالى لبحيرة فاكين (Faqqbine) الى منطقة ولايته الصحراوية ، ولاشك فى أن الملك كان يأخذ بآراء عدد من الخبراء فى شئون المياه الجوفية والتجاويف الصحراوية . ولعله قد سمع بخبر المجرى القديم الذى أوصل عبره الماء من بحيرة فاكين الى ولايته ، وعلم بسر تغذية آبار المنطقة من البحيرة وأدرك سر الاتحاديد التى تدل على أن الدلتا الداخلية لنهر النيجر كانت تنتشر فى ذلك المكان فقرر تنفيذ هذا المشروع (2) . وتحدث السعدى على أن سنى على شرع فى تنفيذ هذا المشروع بكل جد واجتهاد ولكنه عدل عنه بسبب حروب خارجية تعرضت لها دولة سنغاي مما دفع به الى إلغاء العمل فى ذلك المشروع الهام (3) . ويعتقد بوفيل أن سنى على كان يهدف من هذا المشروع الى نقل المياه الى مدينة ولايته التى تبعد حوالى

---

(1) محمد العزبى ، المرجع السابق ، ص 51 .

(2) أحمد فتوح عابدين ، المرجع السابق ، ص 361 ومايلها .

(3) السعدى ، المصدر السابق ، ص 70 .

ماتى ميل عن الطرف الشمالى لبحيرة فاكين (1).

كما تعلم مزارعو السودان الغربى أساليب زراعية متقنة مثل سحب المياه للرى الواسع ، واستعمال الاسمدة من بضعة فلاحين وفدوا الى المنطقة من توات للعمل فى مجال الزراعة ، ويبدو أن هؤلاء الفلاحين أدخلوا الى المنطقة المحارث التى أستخدمت فيما بعد على نطاق واسع (2) . كما أن مجموعات من الفلاحين الذين توافدوا على المنطقة من الاندلس لعبوا ادوارا هامة فى مجال الفلاحة وأثمرت هذه الخبرة بان عم الزرع عموم المنطقة (3) . ويبدو أن نتائج هذه الخبرات الوافدة على السودان الغربى ظهرت فى نظام الاستغلال الجيد للأرض واستغلال كل مايمكن استغلاله منها حيث أتجهوا الى استغلال سفوح الجبال وشق المصاطب والقنوات . وكما أكد بازل دافدسن بأنهم نقلوا من أهالى الشمال الافريقى الخبرة الفنية وأضافوا اليها ما برعوا فيه فى الماضى وطوعوا كل هذا لتجربتهم الذاتية، ثم اخترعوا ما احتاجوا اليه من أدوات وشئون على هدى ماأقتبسوه من الشمال. (4)

---

(1) بوفيل ، المرجع السابق ، ص 234 .

(2) أحمد فتوح عابدين ، المرجع السابق ، ص 359 ومايلها .

(3) أحمد فتوح عابدين ، المرجع السابق ، ، ص 360 .

(4) بازل دافدسن ، المرجع السابق ، ص 65 .

## فى مجال الثروة الحيوانية :-

من الحيوانات التى لعبت دورا بارزا فى حياة بلاد السودان الغربى هى الأبل التى وصلت إليها من مناطق الوطن العربى ويقال أن الجمل دخل مصر لأول مرة على أيدي الفرس فى القرن السادس قبل الميلاد ، وذلك عندما دخل قمبيز الى مصر غازيا حوالى عام 525 ق.م . ثم أستخدمه البطلمة الذين حكموا مصر فيما بين 321-30 ق.م ، والرومان إبان إحتلالهم لمناطق الشمال الافريقى حتى أن القائد الرومانى فلاكوس الذى قاد حملته الشهيرة عبر الصحراء الكبرى (حوالى عام 19 ق.م ) ووصل بها الى حدود بلاد السودان ، كان يستخدم الجمل فى نقل المؤن والعتاد والجنود (1) .

ويبدو أن الجمل عرف بصورة واضحة بمنطقة الشمال الافريقى مع بدايات القرن الأول الميلادى . ويقال إنه فى منتصف القرن الرابع الميلادى طلب الامبراطور الرومانى رومانوس من سكان مدينة لبدة الحالية تأمين أربعة الاف جمل لنقل المؤن لجيشه (2) . ومن هنا يبدو : أن الجمل الذى جاء من البيئة العربية (الشام وشبه جزيرة العرب ) وتم إستخدامه بصورة واضحة فى شمال افريقيا منذ بدايات القرون الميلادىة الاولى وأزدادت اعداده وأهميته بمرور الزمن قد وجد طريقة جنوبا ليصل الى بلاد السودان الغربى فيما بعد . وقد كان هذا الحيوان مرتبطا بحياة البدو الذين تمكنوا من إستئناسه وترويضه . وقد أهتم العرب كثيرا بالجمل وادخلون الى شمال افريقيا وجنوبا الى بلاد السودان الغربى وكان خير معين لهم فى نشر العقيدة الاسلامية .

---

(1) أحمد فتوح عابدين ، المرجع السابق ، ص55 .

(2) أ ، ف . غوتيه . ماضى شمال افريقيا ، تعريب هاشم الحسنى ، (طرابلس : مكتبة الفرغانى) ، ص133 .

وقد أحدث دخول الجمل الى المنطقة ثورة فى وسائل النقل عبر الصحراء الكبرى ، فلم تعد القفار والرمال الزاحفة حواجز عازلة . فقد حطم استخدام الجمل كل الحواجز وتحولت دروب الصحراء الى معابر للقوافل التجارية وقامت فى مناطق مختلفة محطات تجارية مزدهرة (1) . وبالإضافة الى استخدامه كوسيلة نقل أستفيد منه كمصدر غذاء هام وخاصة لسكان الصحراء والواحات . وأستفيد من جلودها فى صناعة الصنادل والاكياس والقرب والفرش . وصنعوا من وبرها الخيام واللباس (2) ولم يستعمل الجمل فى نقل السلع التجارية فقط بل بنقل الثقافة والافكار والعقائد الى مناطق ماوراء الصحراء لأنه وسيلة لنقل الكتب وركوب العلماء والمثقفين مما ساعد فى القضاء على الوثنية وأثار درب الحياة الجديدة ، وبشر سكان بلاد السودان الغربى بحضارة جديدة مالبثوا أن أصبحوا من أهم معتنقيها ودعاتها . وكذلك من الحيوانات التى لعبت دورا هاما فى حياة المنطقة الخيول التى كانت أبرزها الخيول العربية الوافدة من الشمال الافريقى عن طريق التجار العرب المغاربة . وذلك على حسب ما أشارت الى ذلك بعض المصادر التاريخية (3) . ويعتقد الشيخ الامين عوض الله أن الخيول العربية الوافدة كانت من السلع الهامة ذات الاسعار المرتفعة ويرجع سبب ارتفاع أسعارها الى أن الصفقات التى توردها الى السودان الغربى تتعرض للتناقص بسبب هلاك الكثير منها نتيجة للعطش ، وهذا مما يدفع بالتجار الى بيع ما يصل منها بأثمان عالية لكى يعرضوا ما خسروه منها أثناء الطريق . ومن هنا صارت

---

(1) الخليل النحوى ، المرجع السابق ، ص 94 .

(2) عبدالقادر زبادية ، مملكة سنغاي ، ص 186 .

(3) مثل : القلقشندي 287/5 ؛ الوزان 166/2 .

الخيل سلعة تقتنى من قبل الملوك والفتيات المسورة الحال فقط (1) . كما عرفت أنواع أخرى من الخيل وهي صغيرة الحجم وتسمى (بونى) (2) ، وهي تستعمل فى التنقل والتجارة داخل مناطق السودان الغربى ، ويستعملها الملوك والحاشية فى تجواهرهم من داخل المدن .

### سادسا :- التأثير فى مجال الصناعات والحرف والثروة المعدنية

لقد شهدت الصناعات والحرف فى السودان الغربى إزدهارا ملحوظا ، وقد أوكلت مهمة القيام بالصناعات المتعلقة بالإحتياجات المادية التى يحتاج إليها النبلاء والعلماء الى فئة من عامة الشعب ؛ من صناع وفلاحين (3) . ولاشك أن تعمق مفاهيم العقيدة الإسلامية كان سببا فى إزدهار الصناعة ، ومن أمثلة ذلك محاربة العقيدة الإسلامية لعادة العرى التى كانت معروفة بالمنطقة ، ولذلك حرص الأهالى على ارتداء الملابس : "... فأزدهرت نتيجة لذلك صناعة النسيج وحياسة الملابس . " (4) . كما عرف حرفيو السودان الغربى استعمال الأصباغ عن طريق التجار العرب المغاربة الذين اختلطوا بهم ، وكان هؤلاء الصباغون يستعملون فى تحميمها أوراق النباتات لإعطاء ألوان مختلفة ويضيفون إليها فى الغالب الشب والملح لتثبيت الألوان (5) . كما انتشرت بالسودان الغربى حرفة

---

(1) الشيخ الأمين عوض الله ، المرجع السابق ، ص 152 .

(2) عبدالقادر زبادية ، مملكة سنغاي ، ص 185 .

(3) Joseph cuoq, OP, Cit.P: 148.

(4) نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص 143 .

(5) عبدالقادر زبادية ، مملكة سنغاي ، ص 192 .



الوراقين وذلك تقليدا لواقع الحال فى مصر والحجاز والمغرب (1) ، ومعناها القيام بنسخ الكتب والمخطوطات وتجليدها والمتاجرة فيها على نطاق واسع . وكان يقوم بهذا العمل نساخون محليون لحساب بعض العلماء والسلاطين مثل الاسكيا داوود الذى كان فى خدمته عدد كبير من الكتبة والنساخين وكان يحفظ هذه المخطوطات فى خزائنه (2) . وغنى عن البيان أن حرفة نسخ وتجليد الكتب هى تقليد لما كان سائدا فى الوطن العربى والعالم الاسلامى ، آنذاك حيث عرفت حرفة تجليد الكتب ونقشها وزخرفتها وتطريزها . كذلك من الصناعات والحرف التى ازدهرت بالمنطقة هى الصناعات ذات الاستعمال المنزلى مثل صناعة الحلوى من الذهب والفضة ونتيجة لتعرض السودان الغربى للتأثيرات العربية الاسلامية فقد وصل الأهالى الى درجة كبيرة من الثراء ويؤكد ذلك المثل الشائع فى شمال افريقيا والذى يقول :

إن يجرب جملك فعليك بالقطران

وإن تفتقر فسافر الى السودان .

وقد تطورت الاساليب التجارية التى مارسها أهالى السودان الغربى ووصلوا الى مستوى جيد من المهارة فى ممارسة العمليات التجارية ، وقضوا على ماسبقهم من تقاليد تجارية مثل : التجارة الصامتة والمبادلة والمقايضة ، وطبقوا النظم الحضارية فى التعامل التجارى مثل : التعامل بالنقود الذهبية والفضية والنحاسية كما أستخدموا بعض السلع التى لها قوة النقد مثل : الودع والمنسوجات القطنية ، ونظام الوكالات التجارية . كما أن مهنة التجارة التى مارسوها كانت بناء

---

(1) جمال زكريا قاسم ، الروابط العربية الافريقية قبل حركة الكشف الجغرافية ، ص 44-45 .

(2) كعت ، المصدر السابق ، ص 94 . Joseph Cuoq .OP.Cit.P.210.

على دراسة تامة ومعرفة بالعمليات الحسائية ، وكانوا يحددون مواعيد انطلاق القوافل ، ويختارون البضائع الأكثر رواجاً وبالتالي الأكثر ربحاً إلى غير ذلك ويدل كل ماتقدم على تأثيرهم بالانماط الاقتصادية العربية الإسلامية التي أنتقلت إليهم عبر الصحراء الكبرى . وكان للتأثير الاقتصادي دور فعال في توطيد دعائم التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي في مجال الحياة الثقافية والاجتماعية ، وهذا ماسيتناوله الفصل الذي يلي .



## الفصل الرابع

### التأثير الثقافي والاجتماعى

#### أولا : وسائل إنتشار الثقافة العربية الإسلامية

- 1- البدو والهجرات العربية .
  - 2- التجار .
  - 3- الفقهاء والمعلمون والأئمة .
  - 4- الطرق الصوفية
- ثانيا : أهم مراكز إنتشار الثقافة العربية الإسلامية .

- 1- تمبكتو 2- جنى 3- نيانى .

#### ثالثا : مظاهر الثقافة العربية الإسلامية .

- 1- إنتشار الإسلام واللغة العربية .
  - 2- التعليم ومراحلته .
  - 3- فن العمارة : البناء ، النحت ، النقش .
- رابعا : مظاهر التأثير فى الأنماط الإجتماعية .
- 1- العادات والتقاليد والفنون الشعبية .
  - 2- المرأة ونظام الأسرة .
  - 3- الزى وتقاليده .
  - 4- الشعائر والطقوس الدينية .
  - 5- أداء فريضة الحج الى الاراضى المقدسة .





كانت لبلاد السودان الغربى صلة بالشمال الافريقى ومصر منذ فترة ما قبل الإسلام حيث كان تجار تلك المناطق يترددون عليها ويجدون فيها متجرا حسنا . كما كان البدو يجوبون الصحراء ويتوغلون فى أرجاء المنطقة بحثا عن الكلا والمرعى والاستقرار . وقد أتضحت معالم التأثيرات الثقافية العربية الإسلامية فى المنطقة منذ القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، وضربت اللغة العربية بجذور عميقة بعد تدفق هجرات قبائل بنى هلال وبنى سليم الى شمال افريقيا.

ومنذ ذلك الوقت أصبح الشمال الافريقى مصدر إشعاع رئيسى لمؤثرات الثقافة العربية الإسلامية الوافدة على السودان الغربى . وقد عزز اتسياب مظاهر الثقافة العربية الإسلامية الى السودان الغربى بطريقة سلمية عن طريق الهجرات المتعاقبة ونشاطات العناصر العربية من البدو والتجار والفقهاء ورجال الطرق الصوفية وغيرهم . وياتنشر الإسلام بين أهالى السودان الغربى وتوطيد دعائمه فى ظل مملكتى مالى وسنغاي الإسلاميتين غلبت مظاهر الثقافة العربية الإسلامية على تلك البقاع . وكانت لرحلات الحجيج السودانين للأراضى المقدسة وللعلاقات التجارية الكبيرة التى ربطت المنطقة مع الشمال الافريقى ومصر أثر كبير فى دعم العلائق الثقافية بين هاتين المنطقتين العربية والإفريقية . وبكثرة أفواج العرب الى المنطقة ، وازدهار الحركة التجارية أدى الى قيام العديد من المراكز والخواضر التى صارت مراكز ثقافية زاهرة بالنشاط الثقافى والعلمى وصارت هذه المراكز مستودعا كبيرا للعلماء وإنتاجهم العلمى ورأس جسر للثقافة العربية الإسلامية فى أطراف القارة الإفريقية . وأنتشرت بفعل ذلك المظاهر الثقافية العربية الإسلامية من إنتشار للإسلام واللغة العربية وصار التعليم على النمط العربى

الإسلامى المعروف آنذاك ، وأصبحت الفنون المعمارية على النمط العربى الإسلامى . ولم تقتصر التأثيرات العربية الإسلامية على الثقافة والعلوم بل وقعت تأثيرات هامة فى أنماط الحياة الاجتماعية من عادات وتقاليد وفى أوضاع للمرأة والنظام الأسرى وفى الزى وتقاليده وفى الشعائر والطقوس الدينية وفى مواكب الحج وهذا ماستم دراسته ضمن هذا الفصل .

## أولاً: - وسائل إنتشار الثقافة العربية الإسلامية فى السودان الغربى

1- دور البدو والهجرات العربية : كانت قبائل صنهاجة الثلاث مسوفة وملتونة وجدالة\* فى طليعة القبائل العربية التى هاجرت الى السودان الغربى منذ وقت مبكر ، وساهمت فى تمهيد الأرضية لتدفق المؤثرات العربية الإسلامية الى ربوع المنطقة لاسيما منذ القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى . ولم تقف الصحراء الكبرى عائقا دون تواصل الروابط والصلات المتعددة بين شمال افريقيا وجنوبها ، بل كانت طرقها ومنافذها والمراكز التجارية التى أقيمت على جانبيها ، من العوامل الهامة التى ساعدت على تدفق المؤثرات العربية الى تلك المنطقة . وصارت رقعة الإسلام فى أمتداد متواصل لاسيما عقب سقوط مملكة غانة الوثنية على أيدي المرابطين عام 1076م . ونجم عن هذا المد القادم من الشمال قيام ممالك افريقية اسلامية بلغت تقدما حضاريا ملحوظا بفعل إعتناقها الإسلام (1) . وكانت هذه الهجرات المختلفة نتيجة لأسباب سياسية أو إقتصادية أو دينية . وإذا كان تاريخ كثير من هذه الهجرات غير معروف ، فقد عرف تاريخ بعضها الآخر . فقد ذكر البكرى : "... ان بيلاد غانة قوما يسمون بالهنييين من ذرية الجيش الذى كان بنو أمية أنفذوه الى غانة فى صدر الإسلام ... وبسلى أيضا قوم منهم يعرفون بالغامان . " (2) . كما هاجر الى ولاته بطون من قبيلة مسوفة الصنهاجية وباتوا يكونون غالبية سكانها ، فى الوقت الذى هاجرت بطون أخرى من ذات

---

\*حول الإمتداد المبكر للهجرات الصنهاجية الى السودان الغربى، راجع الفصل الاول من هذه الدراسة.

(1) جمال زكريا قاسم ، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ، ص156 .

(2) البكرى ، المصدر السابق ، ص179 .

القبيلة وأسست تمبكتو حوالى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى (1) كما سلف. وهاجر بعض العرب المسلمين الى قرية زاغرى\* وسكنوا بها (2) كما هاجر آخرون الى مملكة مالى وسكنوا بها (3) وكان لهم حى خاص بهم يقول ابن بطوطة: "...وصلت الى مدينة مالى حضرة ملك السودان، فنزلت عند مقبرتها، ووصلت الى محلة البيض." كما ذكر ايضا "... أن منسى موسى كان كريما فاضلا يحب البيض ويحسن اليهم." (4) ، وهاجر كثير من العرب الى كوكو (جاو) وأستقروا فيها ، إذ أشار ابن بطوطة الى أحدهم الذى استضافه قائلا: "...ثم سرت الى مدينة كوكو... واضافنى بها محمد بن عمر من أهل مكناسة." (5) كما هاجر الكثيرون منهم الى جنى وسكنوا بها وكانوا يتحاكمون عند القضاة بالشرع (6) . ورغم أن ملاحظات ابن بطوطة تؤكد أن

---

(1) السعدى ، المصدر السابق ، ص 20 .

\* زاغرى : أحد قرى السودان الغربى ، وقد تحدث عنها ابن بطوطة بقوله : "... وبعد مسيرة عشرة أيام من ابوالاتن وصلنا قرية زاغرى ، وهى قرية كبيرة يسكنها تجار السودان ، ويسكن معهم جماعة من البيض." راجع : ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 444، وقد حققها ديلافوس وقال انها ديورا وسماها بارث (تورى سنفا) ، راجع : حسين مؤنس . ابن بطوطة ورحلاته ، تحقيق ودراسة وتحليل . (القاهرة : دار المعارف ، د- ت) ، ص 231 .

(2) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 444 .

(3) المصدر نفسه ، ص 445 .

(4) المصدر نفسه ، ص 452 .

(5) المصدر نفسه ، ص 452 .

(6) السعدى ، المصدر السابق ، ص 18 .

هؤلاء المهاجرين كانوا يسكنون أحياء خاصة بهم وفيها مساجد يصلون فيها(1)، فإنه ذكر من ناحية أخرى أنهم كثيرا ما يخالطون أهالي السودان الغربي، ويتصاهرون معهم (2) وبالتالي ينشرون بينهم الإسلام واللغة العربية. ومن الهجرات العربية التي لعبت دورا هاما في تاريخ هذه المنطقة من خلال دفعها للمؤثرات العربية الإسلامية هي قبائل بني هلال وبني سليم الشهيرة في التاريخ العربي الإسلامي، والتي أنطلقت صوب الشمال الأفريقي حوالي القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي وأستقرت في المنطقة المصاغبة للسودان الغربي وهي جنوب المغرب الأقصى. وحوالي القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي أنطلقت صوب بلاد السودان الغربي ووصلت طلائعها حدود السنغال وتمبكتو (3). وبفعل ظروف الاضطهاد التي تعرض لها المسلمون بالاندلس من جراء ضغط الممالك المسيحية عليهم وخاصة بعد سقوط آخر معاقلهم (غرناطة)، في القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي، أندفع كثير منهم صوب السودان الغربي وعاشوا فيه، وذلك بعد أن تعاطف بعض سلاطين السودان الغربي مع المطرودين وآوهم بالمنطقة (4). كما شهدت المنطقة سيلا من هجرات البدو المنطلقين من الشمال الأفريقي والباحثين عن المرعى والماء لحيواناتهم التي هي أساس ثروتهم.

---

(1) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 452.

(2) المصدر نفسه، ص 444.

(3) بول مارتى، البرابيش " بنو حسان، تعريب محمد محمود ولد ودادي. (دمشق: مطبعة زيد بن ثابت، 1985م)، ص 9.

(4) محمد عبد الله عنان. نهاية الاندلس. (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1964) ص 127.



## 2- دور التجار

عمل التجار ، منذ توطد الاسلام فى الشمال الافريقى ، على نشر الإسلام والثقافة العربية فى السودان الغربى . وقد تعاظم هذا الدور خلال الفترة التى تغطيها هذه الدراسة ، حينما شهدت المنطقة قيام سلطة مركزية قوية توفر الأمن، وذلك فى أيام ازدهار مملكتى مالى وسنغاي الإسلاميتين اللتين بسطتا نفوذهما على معظم الطرق التجارية الواقعة من أقصى الشمال الافريقى والمتجهة صوب مناطق إنتاج الذهب بالسودان الغربى. ودخلت العقيدة الإسلامية الى تلك المناطق فى ركاب التجار ، الذين تعاظم دورهم التبشيرى من خلال ازدياد نفوذهم السياسى فى الأوساط الحاكمة و اتصالهم بمختلف طبقات الشعب، وقد أصبح الإسلام ، كما يقال ، بمثابة تصريح مرور لمن يريد الاتجار بنجاح مع الممالك الإسلامية فى غرب افريقيا (1) . وقد ساهم التجار العرب فى توطيد العلاقات الطيبة مع أهالى السودان الغربى ، فكان التاجر المسلم يجمع بين مزاولة التجارة والدعوة الى الإسلام ، إذ كان يتحلى بالأخلاق الحميدة والمعاملة الحسنة والصدق فى القول . هذا الى جانب علمه وتفرغه ليلاً لإقامة حلقات الدرس التى ساعدت على نشر الإسلام والثقافة العربية فى تلك البقاع.(2) وكانت مهنة التجارة تخلق صلات وطيدة بين التاجر العربى المسلم وبين الأهالى الذين يتعامل معهم ، وهى صلات تنفى عنه كل مايحتمل أن يتهم به من دوافع غير ودية . فإذا مادخل هذا التاجر الى قرية وثنية فسرعان مايلفت اليه الانظار بكثرة وضوئه ونظافة ملابسه ، وأداء صلاته فى خشوع لله. وهذه الصفات الحميدة

---

(1) شوقى الجمل ، المرجع السابق ، ص 162 .

(2) أحمد شلبى ، المرجع السابق ، ص265 ؛ حسن ابراهيم حسن ، انتشار الاسلام فى القارة الافريقية ،

ط 3 . (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1984م ) ، ص214 .

تؤهله لكسب ثقة الأهالي الوثنيين الذين يبدى لهم استعدادهم ورغبته فى مدّهم بمزاياه الاخلاقية ومعارفه السامية (1) .

ولعبت القوافل التجارية التى كانت تخرج صحبة قوافل الحج دورا هاما فى هذا الصدد . والجدير ذكره أن دور التجار العرب لم يقتصر على التجارة والمناشط الاقتصادية فحسب ، بل قاموا بنشر اللغة العربية وبناء المساجد لتعليم القرآن الكريم . وهكذا أضحي التجار العرب المسلمون يقومون بمهمة الدعاة المسلمين الى جانب نشاطهم التجارى . فحملوا معهم العقيدة الاسلامية والحضارة العربية . وكان من نتائج احتكاكهم واختلاطهم بأهالى تلك البلاد أن حدث التزاوج والمصاهرة وانتشار الاسلام تدريجيا وسلميا فى تلك المناطق (2) . ومن الأدلة على حدوث التصاهر ما بين التجار العرب المسلمين وحكام وأهالى السودان الغربى ما أورده الحسن الوزان من أن "... الملك زوج اثنتين من بناته من أخوين تاجرين لغناهم . " (3) وبالإضافة الى دور التجار فإن طرق القوافل والمراكز التجارية كانت شريانا أساسيا للحياة الاقتصادية فى بلاد السودان الغربى ، وقد ظلت فى الوقت نفسه إشعاعا للمؤثرات الثقافية ، حيث أصبحت المحطات التجارية المنتشرة على طول طرق القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى أماكن لاحتكاك الافكار تأثرا وتأثيرا (4) . وبهذا يمكن أن نقول : إن التجار العرب المسلمين كانوا يرتادون بلاد السودان الغربى بغرض التجارة ، وقد لعبوا دورا رئيسيا فى نشر الإسلام والثقافة العربية ، وإن كان ذلك يتم بصورة

---

(1) توماس ارنولد ، المرجع السابق ، ص 391 .

(2) يوسف فضل حسن . الجذور التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ، ص 39 .

(3) الوزان 166/2 .

(4) حملة التكتيك ، المرجع السابق ، ص 225 .

غير مباشرة فى كثير من الأحيان .

### 3- دور الفقهاء والعلمين والأئمة .

قام الفقهاء والعلمون والأئمة بدور هام فى تدفق المؤثرات العربية الإسلامية وازدهار الحضارة العربية الإسلامية بالسودان الغربى . حيث كان هؤلاء يدعون الناس الى الاسلام ويحفظونهم القرآن الكريم ويفقهونهم فى أمور دينهم ، وذلك لمامهم بأصول الدين والشرعية الإسلامية ومبادئها . ولذا حظى هؤلاء الفقهاء والعلمون بتقدير عال من الاهالى والحكام ، وأصبحت قرى السودان الغربى تضم دورا لاستقبال هؤلاء المعلمين والفقهاء ، الذين صاروا يعاملون بأعظم مظاهر التقدير والإحترام (1) . ونظرا للتشجيع الكبير الذى حظى به هؤلاء المعلمون من قبل الملوك المسلمين السودانيين ، تعاون هؤلاء المعلمون مع المحسنين فى تأسيس المدارس والخلاوى والتى صارت قبلة لأبناء المسلمين والوثنيين على حد سواء ودون تمييز ، الأمر الذى أدى الى انتشار الاسلام والثقافة العربية على نطاق واسع (2) . وأصبحت هذه المدارس والخلاوى تتكاثر وتزدهر حتى أن بعضها أضحت مركز إشعاع حضارى يستقطب أبناء السودان الغربى عموما والمناطق المجاورة بصفة خاصة ودون أى اعتبار لفارق اللون أو الدين . ووجدت الحياة الثقافية والفكرية تشجعا كبيرا من الملوك السودانيين المسلمين الذين شجعوا تلك المراكز العلمية التى نبغ فيها لفيف من العلماء الوطنيين الذين ذاع صيتهم فى المجالين العربى والافريقى (3) . وأشاد

---

(1) توماس ارنولد ، المرجع السابق ، ص392 .

(2) قمر الدين فضل الله ، المرجع السابق ، ص223 .

(3) جميلة التكتيك ، المرجع السابق ، ص174 .

المؤرخون باهتمام ملوك السودان الغربى بالعلماء والفقهاء فأشاروا الى ذلك فى كتبهم : "... وكان ملوك مالى ورعاياهم متمسكين بالاسلام ... واستقدموا الفقهاء والعلماء من البلاد الاسلامية ، وتفقهوا فى الدين . " (1) وقام الأئمة والمعلمون والفقهاء بدور كبير فى حياة مجتمعات السودان الغربى ، فهم يؤمّون الناس فى الصلاة ويخطبون الجمعة ويكلفون بجمع الزكاة ويقبلون الصدقات ويوزعونها على الفئات المشار اليها فى كتاب الله ، ويتفقدون منها على الصالح العام ، ويعقدون القران ويديرون حفلة الزواج ، ويسمون المولود ، وينحرون الضحية الاولى فى الاعياد والمناسبات الدينية ويغسلون الميت ، ويتولون الامامة فى صلاة الجنازة ، ويفقهون الناس فى الاسلام ، ويحفظون الصغار القرآن ، ويعلمونهم مبادئ الاسلام . ولا يتم عمل فى حياة القرية الا بوجودهم ، وتعيينهم ولى أمر المسلمين فى المناطق الاسلامية . ويشترك المسلمون فى اختيارهم فى المناطق التى يكون فيها المسلمون أقلية . وبالرغم من أنه ليس للإسلام كهنوت ؛ فإن له رجال دين أو فقهاء ومعلمين حفظوا القرآن ، وتفقهوا فى الدين . كما أنه لم يخصص فئة للدين وفئة للدنيا ، لأنه دين الدنيا والاخرة . وليس فيه واسطة بين العبد وربّه . وهو يقرر أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة حتى لا تكون المعرفة احتكارا لأحد . والمسئولية فردية فلا تزر وازرة وزر أخرى . ولقد كان للفقهاء والعلماء والأئمة مكانة رفيعة بين أهالى السودان الغربى المسلمين والوثنيين معا ، فكانوا يجلبونهم ويعاملونهم بالترحاب فى كل مكان ، بل كان الوثنيون يلتصقون خيرا على أيديهم ، ويوكلون اليهم تعليم أبنائهم . (2). وقد أشار الرحالة ابن بطوطة الى المنزلة السامية التى كان

---

(1) الفلقشندي 297/5 .

(2) توماس ارنولد المرجع السابق ، ص 392-393 .

يتمتع بها العلماء والفقهاء والأئمة في بلاط ملوك مالى وقال انه كانت لهم منزلة رفيعة وحظوة ، وأنهم كانوا خاصتهم وأهل مشورتهم ، بل إن ملوك مالى كانوا لا يلبسون الطيلسان الا فى أيام العيدين . أما العلماء والفقهاء فكانوا يلبسونه ، دون سائر الاهالى ، طيلة أيام السنة(1). وأشار كل من كعت (2) والسعدى (3) الى أن ملوك سنغاي وجنى المسلمين كانوا يجلسون الفقهاء والعلماء ياتمرون بأمرهم ، وان مكاتبتهم لدى السلاطين فاقت كل وصف ، حتى أن بعض العلماء كانوا ينهون السلاطين عن المنكر ويعنفونهم اذا ارتكبوه . ومن أمثلة ماتمت الاشارة اليه ماقاله السعدى عن مكانة الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر : "... وافر الحرمة عند الملوك وكافة الناهى نقاعا بجاهه لايرد له شفاعة يغلظ على الملوك فمن دونهم وينقادون له أعظم الانقياد ويزورونه فى داره ... " (4) .

وأستقدم منسا موسى الى مملكته الكثير من العلماء والفقهاء من سائر أقطار الوطن العربى والعالم الاسلامى مثل: ابواسحاق ابراهيم الساحلى المشهور بالطونجى (5) وعبد الرحمن التميمى (6) . واستقدم من المغرب الفقيه عبدا لله البلبالى الذى تولى إمامة الجامع الكبير فى تمبكتو ثم خلفه فى إمامة ذات الجامع أبو القاسم التواتى (7) . وقد وفد على المنطقة كثير من العلماء ونزلوا بالمدن التى

---

(1) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، صـ 447 .

(2) كعت ، المصدر السابق ، صـ 11-12-59 .

(3) السعدى ، المصدر السابق ، صـ 18 .

(4) المصدر نفسه ، صـ 42 .

(5) ابن خلدون 200/6 .

(6) السعدى ، المصدر السابق ، صـ 51 .

(7) المصدر نفسه ، صـ 57 .



بها معاهد العلم . وتشير المصادر الى أن الفقيه أحمد بابا التمبكتي الذى جلس للتدريس فى مسجد سنكري الشهير ، الذى كان معظم أساتذته من قبيلة جدالة الصنهاجية (1) و لعب دورا مرموقا فى إثراء الحياة الثقافية والعلمية . وقد وفد العديد من العلماء والفقهاء من الشمال الافريقى الى المراكز العلمية بالسودان الغربى ، البعض منهم بعاصمة مملكة مالي ومنهم : على الزواوى المراكشى وأبو حفص المسوفى وابن شيخ اللبن التلمسانى (2) . وكان المعلمون والفقهاء يعقدون جلسات علمية فى المدارس والمساجد وفى بيوتهم التى يقصدها الطلاب وعامة الناس ليحفظوا القرآن الكريم ويتفقهوا فى الدين ويتعلموا اللغة العربية. وقد نبغ الكثيرون منهم وألفوا باللغة العربية الفصحى العديد من الكتب الدينية واللغوية والأدبية (3). ويبدو أن سقوط الاندلس عام 1492 م وماتعرض له الشمال الافريقى من فتن سياسية ومذهبية قد دفع بالعديد من العلماء والفقهاء للهجرة الى مناطق متعددة من بينها السودان الغربى (4) . وأنشأ بعض هؤلاء العلماء والفقهاء والمعلمين والدعاة مدارس وكتاتيب فى القرى والمدن التى أستقروا بها . وكانت مهنة التعليم فى أول الأمر مقصورة على الفقهاء والمعلمين والدعاة القادمين من مناطق الوطن العربى وتكونت بعد مدة طبقة مثقفة من الأهالى الوطنيين تولوا مهمة التعليم وكانت غالبية هؤلاء من الفقهاء والذين اتقنوا اللغة العربية ، لغة الدين والثقافة والتجارة . (5)

---

(1) المصدر نفسه ، ص 35 .

(2) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 448-450 .

(3) أحمد بابا ، نيل الابتهاج والسعدى ، المصدر السابق صفحات متفرقة .

(4) F, Dubois: Tombouctou, l'amysterieuse. (paris, 1890), P.353.

(5) عصمت دندش، المرجع السابق، ص 168 ؛ قمر الدين محمد فضل الله، المرجع السابق، ص 223.

#### 4- دور الطرق الصوفية .

لقد قامت الطرق الصوفية بدور هام فى نشر الإسلام ونقل المؤثرات الثقافية العربية الإسلامية الى السودان الغربى . ورغم فقر المعلومات عن تاريخ الطرق الصوفية بالسودان الغربى ، فإن بعض المؤرخين ومن بينهم السعدى ، قد أشار الى وجود بعض الأشخاص المشهورين بالتقوى والورع ممن عاشوا بالمنطقة، وقد وصف تمبكتو بأنها كانت : "... مآلف الأولياء والزاهدين " (1) . كما قال عن مدينة جنى : "... وقد ساق الله تعالى لهذه المدينة المباركة سكانا من العلماء والصالحين من غير أهله من قبائل شتى وبلاد شتى . " (2) . وقال ايضا : "... وكفى فى ذلك مارواه الشيوخ التقات عن الشيخ الغالم الفاضل الصالح الولي ذى الكرامات والعجائب الفقيه القاضى محمد الكابرى رحمه الله تعالى أنه قال أدركت من صالحى سكندى من لا يقدم عليهم فى الصلاح الا أصحاب رسول الله (صلعم) ورضى عنهم أجمعين ، منهم الفقيه الحاج جد القاضى عبدالرحمان ابن ابى بكر بن الحاج تولى القضاء بتبكت فى أواخر دولة أهل ملو وهو أول من أمر الناس بقراءة نصف حزب من القرآن للتعاليم فى جامع سنكرى بعد صلاة العصر وبعد صلاة العشاء جاء هو واخوه السيد الفقيه ابراهيم من بير فسكن فى نيك وقبره معروف هنالك . " (3) . ومن هؤلاء الصوفية محمد ساقوا ، وقد كان فقيها عالما عابدا صالحا وليا مكاشفا ذا كرامات شاهدها الناس ، وذلك على حسب رواية السعدى (4) . ومنهم الفقيه العابد القطب ولي الله

---

(1) السعدى ، المصدر السابق ، ص 21.

(2) المصدر نفسه ، ص 16 .

(3) المصدر نفسه ، ص 27 .

(4) المصدر نفسه ، ص 16.

سیدی یحیٰ التادلسی (1) . ومنهم الشیخ الزاهد العارف بالله الولی الامام  
ابوالقاسم التواتی الذی سکن بجوار المسجد وکان یعلم الاطفال (2) .

ومما یمیز رجال الطرق الصوفیة أنهم یمیلون الی سکن القرى والنجوع بینما  
یمیل التجار الی الاستقرار بالمدن . واذا کان التجار یسعون للربح فرجال الطرق  
الصوفیة لا یکترثون بالمال ولا یسعون الا لما یسد رمقهم ویکفیهم ذل السؤال من  
هنا لقب المریدون بالفقراء . واذا کان نشاط المهاجر أو التاجر طیب أن یکون  
بالنهار فإن نشاط الطرق الصوفیة یکون باللیل (3) . وقد ساعد علی إنتشار  
الطرق الصوفیة تکیفها مع بیئة المجتمعات الافریقیة وعاداتها وتقالیدها . وکانت  
الطقوس واستعمال الدفوف والطبول فی حلقات الذکر قد وجد قبولاً لدى  
الافریقیین لأنها تخلط بین العبادة والحركات الراقصة .

والجدیر بالذكر أنه کان لكل شیخ أتباع ومریدون یطیعونه طاعة عمیاء  
ویمثلون لأوامره ویقدرونه حق تقدیر ویدعمونه مادیا حتی أصبح شیوخ الطرق  
الصوفیة لهم القدرة الکافیة لتوسیع دائرة نفوذهم ولتأسیس المدارس والمساجد  
واستقطاب مزید من العناصر الموالیة لهم . ولقد لعب رجال الطرق الصوفیة دوراً  
بارزاً فی توجیه الأهالی وارشادهم الی أمور دینهم (4) . وعملت الطرق الصوفیة  
علی غرس القیم الفاضلة وتجنیدها مثل حب الجار وحسن التعامل . وبالإضافة  
الی ذلك ساهموا مساهمة فعالة فی توسیع رقعة الاسلام وانتشاره عن طریق

---

(1) المصدر نفسه ، ص 23 .

(2) المصدر نفسه ، ص 52 .

(3) أحمد شلبی ، المرجع السابق ، ج 6 ، ص 210 .

(4) حسن ابراهیم حسن . انتشار الاسلام فی القارة الافریقیة ، ص 42 .

الإكثار من بناء المساجد والمدارس ومصاهرة الوطنيين الأفارقة وشراء العبيد وعتقهم بعد تلقيهم أصول العقيدة الإسلامية وثقافتها حتى يتمكنوا من استيعابها ونشرها عند رجوعهم إلى أوطانهم . وتعد الطريقة القادرية التي تأسست في القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي في العراق على يد عبدالقادر الجيلاني هي الطريقة التي وجدت رواجاً وانتشاراً ملحوظاً في السودان الغربي وقد كان اتباع هذه الطريقة يرسلون لإتمام دراستهم بمدارس القيروان وطرابلس وغيرها (1) . وكان هؤلاء المريدون والأتباع اللذين تربوا في سلك نظام الطرق الصوفية يؤسسون المدارس الصوفية ويشرفون عليها ، وكان معلمو الطريقة القادرية يدعون القبائل الوثنية إلى الإسلام ويعملون على نشر الثقافة العربية الإسلامية بين الأفارقة بمختلف السبل والوسائل . وكان نشاط هذه الجماعات في الدعوة ذا طابع سلمي يعتمد على الإرشاد وعلى مبدأ القدوة، بمعنى أن يكون الداعية قدوة لغيره. كما كان يعتمد على مدى تأثير المعلم منهم في تلاميذه ، كما كان يعتمد على إنتشار التعليم والثقافة العربية والحضارة الإسلامية (2) . وبهذه الخطة برهن دعاة الطريقة القادرية في السودان على أنهم أوفياء لمبادئ مؤسس الطريقة وتقاليدها العامة ، ذلك لأن التسامح وحب الجار من أهم مبادئ هذه الطريقة ، وهي ذات المبادئ التي دعا إليها الإسلام (3) . وقد أنتشرت الطريقة القادرية في السودان الغربي حوالي القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي على يد مهاجرين من قبيلة كنته ، ويقال

---

(1) المرجع نفسه ، ص43 ؛ توماس ارنولد ، المرجع السابق ، ص366 .

(2) عبدالقادر صالح نورالدين ، المرجع السابق ، ص156 .

(3) المرجع نفسه ، ص156 .

إن هذه القبائل قد جاءت من توات بالمغرب الأوسط ، واتخذوا من ولاته أول مركز لطريقتهم . والمعروف أن جد قبيلة كتته الذى هاجر الى السودان الغربى هو محمد الكنتى ، غير أن الطريقة حملت اسم ابنه أحمد البكاى (ت 1504م) ، أما الفضل فى نشر الطريقة ومبادئها فيرجع الى عمر الشيخ بن أحمد (1460-1553م) ، الذى تلقى مبادئ العلم والاسلام على يد الفقيه محمد عبدالكريم المغيلى . ويحدثنا بول مارتى عن العلاقة التى ربطت عمر الشيخ بالمغيلى قائلا : "وفى الواقع لقد أخذ سيدى عمر الشيخ بدعوة المغيلى وبفضائله ولازمه وتبعه فى كل جولاته لنشر الدين والاصلاح . ويظهر انه كان رسوله لنشر الاسلام والطريقة القادرية فى الساحل السودانى ، ومما لا ريب فيه أن هذا هو الذى جعل اسم سيدى عمر الشيخ واسم كتته أكثر شهرة فى المنطقة من اسم المغيلى كما أن الفرع الناشئ عنه هو الذى سيصبح مع استقلاله الذاتى أكبر الطوائف القادرية، وهو الفرع البكاى من سيدى عمر الشيخ ولد الشيخ أحمد البكاى . " (1) وبوفاة المغيلى حوالى عام 1532م تولى عمر الشيخ مهام معلمه وأصبح الرئيس الاعلى للطريقة القادرية (2) . ومن هنا نستنتج الدور الهام الذى لعبته الطرق الصوفية فى نشر العقيدة الاسلامية ونقل المؤثرات الثقافية العربية الاسلامية الى السودان الغربى .

---

(1) بول مارتى ، كتته الشرقيون ، ص33 .

(2) المصدر نفسه ، ص33



## ثانيا : أهم مراكز انتشار الثقافة العربية الاسلامية بالسودان الغربى .

أدى التواصل الحضارى والسكانى بين الوطن العربى وبين مناطق السودان الغربى ، لاسيما بعد القرن الخامس الهجرى /الحادى عشر الميلادى ، الى قيام مراكز ثقافية لعبت أدوارا هامة فيما وراء الصحراء الكبرى . وأصبحت منارات علمية زاهرة يؤمها العلماء والطلاب من كل حذب وصبوب . وقد شهدت هذه المراكز الثقافية ، خاصة فى فترة ما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين نهضة ثقافية وفكرية ، متأثرة فى ذلك بالنهضة الثقافية التى كانت سائدة فى مناطق الوطن العربى مثل : فاس ومراكش وجبل نفوسة وطرابلس والقاهرة وتونس والحجاز وسجلماسة وتوات وشنقيط وغيرها . وكان من أبرز المراكز الثقافية بالسودان الغربى وفى طليعتها تمبكتو وجنى ونيانى . ورغم أن هذه المراكز قد أنشئت فى بادىء الأمر كمراكز تجارية ، فإنها لعبت أيضا أدوارا ثقافية وفكرية هامة . ومن هذه المراكز :-

### 1- تمبكتو .

مدينة تمبكتو هى مدينة عربية اسلامية منذ نشأتها ، فبالإضافة الى أن مؤسسيها هم الطوارق ، إحدى قبائل صنهاجة الملتزمين ، التى ترجع الى أصول عربية وهى من القبائل العربية التى هاجرت الى مناطق السودان الغربى منذ ما قبل الاسلام وكما سبق التوضيح . بالإضافة الى ذلك يقول عنها السعدى ، : "... مادنتها عبادة الأوثان ولاسجد على اديمها قط لغير الرحمان مأوى العلماء والعابدين ومألف الاولياء والزاهدين وملتقى الفلك والسيار فجعلوها خزانة

لمتاعهم وزروعهم الى أن صار مسلكا للسالكين في ذهابهم ورجوعهم " (1) .  
تبين هذه الإشارة التاريخية مدى ما كانت تتمتع به تمبكتو من أهمية حيث أنها  
مدينة اسلامية منذ نشأتها وهي موطن لعباد الله الصالحين ومركز للتجار  
العابرين لهذه المنطقة من أجل التجارة ، وقد طبقت شهرتها الافاق ولعبت دورا  
هاما في انتشار الاسلام والثقافة العربية . كما تحدث السعدى عن التدفق العربى  
المبكر الى مدينة تمبكتو بقوله "... كان التسوق قبل فى بلد بير واليه يرد الرفاق  
من الآفاق وسكن فيه الأخيار من العلماء والصالحين وذوى الاموال من كل  
قبيلة ومن كل بلاد من أهل مصر ووجل وفزان وغدامس وتوات ودرعة  
وتفلالة وفاس وسوس وبيط الى غير ذلك ثم أنتقل الجميع الى تنبكت قليلا قليلا  
حتى استكماوا فيه وزيادة مع جميع قبائل صنهاجة بأجناسها . " (2) .  
ووصفها محمود كعت بقوله : "... لا نظير لها فى البلدان من بلاد السودان  
الى أقصى بلاد المغرب من بلاد كل مروة وحرية وتعففا وصيانة وحفظ العرض  
ورأفة بالمساكين والغرباء وتلطفا بطلبة العلم وإعانتهم . " (3) . ولذلك ألتخذ  
منها ررجال العلم والفكر الأوائل والأثرياء موطنا لهم بعد أن جاءوا اليها من  
أماكن متعددة ، الأمر الذى جعلها تحمل طابعا مميزا لاتصالها ببيئات ثقافية  
متنوعة . وقد شهدت تنمبكتو ازدهارا ثقافيا كبيرا وأصبحت قبلة للعلماء  
الوافدين من مراكز الثقافة العربية الإسلامية الذين جلسوا للتدريس بمدارسها التى

---

(1) السعدى ، المصدر السابق ، صـ21.

(2) المصدر نفسه ، صـ21 .

(3) كعت ، المصدر السابق ، صـ179 .

بلغت مائة وخمسين مدرسة حتى نهاية القرن العاشر الهجرى . (1) / السادس عشر الميلادى . بالإضافة الى مساجدها التى كانت بمثابة اللبنة الأساسية فى بناء مجتمعتها الإسلامى ولكونها كانت مركزا للعبادة والتثقيف والتعليم فقد لعبت دورا مميزا فى نشر مبادئ العقيدة الإسلامية وعلوم القرآن والسنة (2) . ومما لا شك فيه إن الجاليات العربية التى عاشت فيها قد أثرت تأثيرا كبيرا فى الحياة الثقافية (3) ، وذلك بفضل إحتكاكهم بالسكان المحليين ومن المعروف أن الحسن الوزان قد زار تمبكتو فى بداية القرن السادس عشر الميلادى ووصف أحوالها وثراءها الثقافى والعلمى بقوله : "... وفى تمبكتو عدد كبير من القضاة والفقهاء والأئمة يدفع اليهم جميعا مرتيا حسنا ويعظم الأدباء كثيرا وتباع أيضا مخطوطات كثيرة تأتي من بلاد البربر وتدر أرباحا تفوق سائر البضائع . " (4) . ومن المراكز العلمية الهامة بتمبكتو جامع سنكرى ، الذى بات جامعة إسلامية راقية ، على نمط جامعة الأزهر فى مصر ، وقد أستقدم لها منسا موسى العلماء من الخارج وأشتري لمكتباتها المصادر والمخطوطات ، وأغدق على علمائها وطلابها الأموال ورعاهم ، فأزدهرت العلوم والثقافة فيها (5) . وقد تحول هذا المسجد بعد مدة

---

(1) المصدر نفسه ، ص 180 .

(2) يوسف الكتانى . مدرسة الامام البخارى فى المغرب . (بيروت : دار لسان العرب ، د-ت) ، ص 474 .

(3) أحمد الفيتورى ، المرجع السابق ، ص 252 .

(4) الوزان 167/2 :

(5) ابن خلدون 201/6 ؛ السعدى ، المصدر السابق ، ص 7 ومايلها .

الى جامعة للدراسة والبحوث العلمية والدينية . وعن بناء هذا المسجد (الجامعة) يتحدث السعدى قائلا : "... أما مسجد سنكرى فقد بناها امرأة واحدة اغلالية ذات مال كثيرة فى افعال البر . "(1)

وقد ذاع صيت هذه الجامعة بما بلغته من مستوى علمى رفيع وجعلت من تمبكتو عاصمة من عواصم الدين والعلم والآداب فى بلاد السودان الغربى ، وكل ذلك راجع الى المؤثرات العربية الإسلامية التى يرجع اليها الفضل فى دعم نفوذ الإسلام فى تلك المناطق مما أدى الى إنتشار الإسلام واللغة العربية على نطاق واسع . وقد كانت أمانة مسجد سنكرى حكرا على أسرة (آل اقيت) العربية الصنهاجية التى نزحت الى تمبكتو من ولاته . كما احتكرت هذه الأسرة منصب القضاء فى تمبكتو طيلة عهد الاسبقين . ويمكن أن نستنتج بسهولة من كتب الطبقات والتراجم ، ومن تتبع الاسانيد العلمية ، أن أغلب فقهاء تمبكتو كانوا من أصل عربى شنقيطى (2). وهذا مايفسر لجوء فقهاء تمبكتو الى ولاته

---

(1) السعدى ، المصدر السابق ، ص 62 ، والمقصود بالبناء هنا توفير التمويل المادى ، أما القيام بتشيد البناء فقد قام به بعض المهندسين المعماريين العرب المسلمين كما سيتضح . أما عن بناء السيدات الغنيات للمساجد والمدارس فى تاريخ الاسلام فهى سنة مرعية منذ القدم ، فجامعة القرويين بتهها سنة 245هـ أول الامر السيدة فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهرى ، كما أن عددا من الخاتونات هن اللاتى بنين عددا من المساجد والمدارس فى الموصل وبغداد خلال العهدين العباسى والايوبى بشكل خاص . وقد أتقلت هذه العادة الى بلاد السودان العربى كأثر من الآثار الثقافية التى شهدتها المنطقة . أنظر : عبدالقادر زبادية ، الحضارة العربية والتأثير الاوربى ، ص 65 .

(2) ددود ولد عبد الله . " دور الشناقطة فى نشر الثقافة العربية الإسلامية بغرب افريقيا حتى نهاية القرن 18 للميلاد " ، نواكشوط : حوليات كلية الآداب والعلوم الانسانية 1(1989م) ، ص 23 .

عند خوفهم بطش سنى على ملك السنغاي ، ولم تستعد تمبكتو مكائتها العلمية الا بعد عودة الفقهاء اليها من ولاته فى عهد الاسيقيين ، الذين فتحوا الباب على مصراعيه أمام الفقهاء العرب الصنهاجين (1) .

واستقبلت جامعة سنكرى ، من ناحية أخرى ، أفواجا من الطلاب ، لاسيما من مدينة جنى ، واستقبلت أيضا عدد من فقهاء قرى السودان الغربى ، الذين كانوا يستبدلون بعمامة الفقيه جلباب التلميذ . وبفضل مؤلفات هؤلاء الفقهاء مازالت لدينا عن الحياة العقلية فى المنطقة ، صورة أقرب الى التكامل(2). وهذا يعكس المستوى العلمى الرفيع الذى بلغته جامعة سنكرى قياسا بباقي المراكز الثقافية بالسودان الغربى . ولعل اهم مايميز جامعة سنكرى إنها شابهت قريناتها من مراكز الثقافة العربية الاسلامية فى الشمال الافريقى والمشرق العربى فى مواكبتها للعلم وانتقال العلماء مما جعلها تواصل مسيرتها العلمية . وقد احتفظت تمبكتو بهذا المركز الثقافى الهام طيلة فترة دولتى مالى وسنغاي (3) . ومن المساجد الأخرى بتمبكتو (مسجد الونكريين أو الونقريين ) الذى أمر بتشيدته منسا موسى وكلف بذلك المهندس ابراهيم الساحلى \* ، ولم يبق من أثر لهذا المسجد اليوم لأن القاضى العاقب 1507-1583م هدمه وشيد مكانه مسجدا آخر اكبر اتساعا ، ولا تزال آثاره باقية حتى الآن . ولقد أورد أحمد بابير الأروانى فى مخطوطته عبارة تنم عما كان لتمبكتو من مكانة جليلة لدى أهالى

---

(1) المرجع نفسه ، ص23 .

(2) ددود ولد عبد الله ، المرجع السابق ، ص24.

(3) عبد القادر زنادية ، مملكة سنغاي ، ص103 .

\* حول الآثار المعمارية التى شيدها ابراهيم الساحلى ، راجع فقرة الفن المعمارى من هذا الفصل.



السودان ، إذ قال : " مقام تمبكتو من السودان مقام الوجه من الإنسان . " (1) .  
وقد أشاد المؤرخ الفرنسي دى بوا (Dubois) بالمكانة الكبيرة التى كانت تعيشها تمبكتو ، وخاصة فى القرن السادس عشر الميلادى ، ووصفها بأنها حاضرة ثقافية على صلة بغيرها من العواصم الثقافية الأخرى فى المغرب والعالم الاسلامى مثل : فاس فى المغرب الأقصى والقيروان فى تونس وقرطبة فى الاندلس والقاهرة فى مصر . ويذكر أن الكثيرين من علمائها رحلوا الى فاس وإلى القاهرة واتصلوا بعلمائها (2) . هذا بينما تحدث السعدى عن العلماء الذين توافدوا على تمبكتو وجلسوا للتدريس بمعاهدها وذكر إنها كانت سوقا للكتب تنسخ فيها المخطوطات وتوزع فى البلاد الأخرى وتحدث عن علمائها من أمثال: محمد بن محمود بن أبى بكر الذى أقتنى نفائس الكتب . وما جاء لبابه طالب كتب الا وأعطاه اياها ودون معرفة سابقة وكذلك أحمد بابا وغيرهما وقد وصل هؤلاء العلماء الى درجة لا تقل إن لم تزد ، عن مستوى علماء المسلمين فى الأقطار الأخرى (3) . ومن هؤلاء العلماء الأفذاذ الذين عرفتهم تمبكتو أحمد بن محمد بن أقيت المعروف بالحاج أحمد وهو جد العلامة أحمد بابا التمبكتى ، وكان رجلا فاضلا وعالما ورعا وهو من الفقهاء العظام (4) . وكذلك عبدالعزيز التكرورى من ابناء اواسط القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى وقد رحل الى المشرق وحل بمصر وزاول التدريس بها حيث شرح لهم

---

(1) الاروانى . مخطوطة ، "السعادة الأبدية فى التعريف بعلماء تمبكتو البهية" ، رقم 16 مالى مركز أحمد بابا

التمبكتى ، ورقة 9 .

(2) Dubois :OP.Cit.P .175 .

(3) السعدى ، المصدر السابق ، ص 51-62 .

(4) أحمد بابا ، معراج الصعود ، ورقة 7 .

كل مسائل المختصر لأصولها وذكره السيوطي في معجمه باسم عبد العزيز التكروري (1) . وكذلك العالم الفقيه الحاج التمبكتي الذي شغل قضاء تمبكتو في أوائل القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، وكان رجلا صالحا عالما أمر الناس بدراسة نصف حزب من القرآن الكريم بعد صلاتي العصر والعشاء بجامع سنكري (2) . بالإضافة الى كل هؤلاء كان هناك الفقيه محمد الكابري وعمر بن محمد أقيت وسيدى يحيى التادلسي وغيرهم (3) .

## 2- جنى .

يعتقد أن مدينة جنى (Jenne) أسست على نهر النيجر الأعلى في منتصف القرن الثاني الهجري (4) حوالي عام 800م . ويرى السعدى أن جنى لم تكن مدينة إسلامية منذ نشأتها ، مثل تمبكتو ، بل إن الإسلام قد دخلها في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي في عهد ملكها كبير ، الذي هدم قصره وبنى في مكانه مسجدا (5) . وعن قصة إسلام كبير ملك جنى يقول السعدى : "... ولما عزم على الدخول في الإسلام أمر بحشر جميع العلماء الذين كانوا في أرض المدينة فحصل منهم أربعة ومائتا عالما فاسلم على أيديهم وأمرهم أن يدعوا الله تعالى بثلاث دعوات لمدينته تلك أن كل من هرب اليها من وطنه ضيقا

---

(1) ابن فودي ، المصدر السابق ، ص 213 .

(2) البرتلى . فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، تحقيق : محمد ابراهيم الكتاني ومحمد حجي .

(بيروت : دار العرب الاسلامي ، 1981م) ، ص 10 .

(3) المصدر نفسه ، ص 11 .

(4) السعدى ، المصدر السابق ، ص 12 ومايلها .

(5) المصدر نفسه ، ص 13 .

وعسرا أن يبدلها الله له سعة ويسرا حتى ينسى وطنه وأن يعمرها بغير أهلها  
أكثر من أهلها وأن يسلب الصبر من الواردين إليها للتجارة في ذات أيديهم  
لكي يملوا منها فيبيعونها لأهلها بنقص الثمن فيربحون بها فقرا أو الفاتحة على هذه  
الدعوات الثلاث فكانت مقبولة" (1). ورغم أن الرقم الورد في رواية السعدى ،  
قد يكون مشكوكا في صحته ، أوعلى الأقل مبالغ فيه وغير دقيق ، فإن الذى  
يؤكد هو وجواد أعداد كبيرة من الدعاة العرب المسلمين ، ساهموا فى الإزدهار  
الثقافى والحضارى والعلمى ، بالإضافة الى نشرهم العقيدة الإسلامية فى هذه  
الديار منذ وقت مبكر . ويعتقد أن مكانة جنى الثقافة تأتى فى المرتبة الثانية بعد  
تمبكتو (2) . وقد كانت لجنى اتصالات واسعة مع المراكز الثقافية العربية  
الإسلامية ، وبالذات الواقعة فى الشمال الأفريقى . كما كانت الوعى الثقافى  
فيها ربما لا يقل عن تمبكتو والدليل على ذلك هو ارتفاع أسعار الكتب فيها (3).  
هكذا كانت الحياة العلمية والثقافية بجنى فى ذلك العهد مزدهرة ، إذ هى : "...  
مدينة عظيمة ميمونة مباركة ذات سعة وبركة ورحمة ." (4). ونتيجة لهذه  
الصفات التى أتصفت بها جنى فقد عليها طلاب العلم والفقهاء والمعلمين من  
أماكن شتى وهكذا يتضح أن جنى قد لعبت دورا ثقافيا هاما فى حياة المنطقة .

---

(1) المصدر نفسه ، ص12 وما بعدها .

(2) عبدالقادر ربادية ، مملكة سنغاي ، ص106 .

(3) الشيخ الأمين عوض الله ، المرجع السابق ، ص215 .

(4) السعدى ، المصدر السابق ، ص11 .

### 3- نياني (= مالى ) •

تقع مدينة نياني أو مالى فى ملتقى نهر النيجر بفرعه سنكارن (Sankam) ، وقد أيدت الحفريات الاثرية التى أجريت فى السنوات الأخيرة هذا التحديد (1). ويقال أن ماري جاطة نقل حوالى 1240 م عاصمته من جارب فى اقليم كانجابا الى مدينة جديدة أنشأها على نهر النيجر وعرفت باسم نياني (Niani) أو مالى (2) . ويقال إن نياني معناها المدينة الآمنة . وأول من أشار الى أن نياني أو يني هى عاصمة مملكة مالى ، على حد علمنا ، هو ابن فضل الله العمري الذى قال : "... واقليم مالى الذى به قاعدة الملك مدينة يني" (3) . وتحدث أيضا عن إنتشار المؤثرات العربية الإسلامية بهذه المدينة بقوله : "... وفشا بها الاسلام ونطق بها داعى الادان" (4) . وقد ازدهرت عاصمة مملكة مالى ازدهارا عظيما ، وخاصة فى عهد ملوكها العظام (منسا موسى ومنسا سليمان) . وقد زارها ابن بطوطة وأشار الى أنها كانت حافلة بالعلماء والفقهاء ، وخاصة الذين ينحدرون من أصول عربية . ولقى بها القضاة والخطباء ، وقال إن هؤلاء جميعا يتمتعون بمكانة سامية لاتداني (5) . كما زارها أيضا الحسن الوزان فى مطلع القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، ووصفها بأنها كانت مسكنا للملك والحاشية ، وبها مساجد كثيرة وأئمة ، ومعلمون يعلمون القرآن الكريم

---

(1) حسن أحمد محمود ، الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ، ص 221 .

(2) ابراهيم طرخان ، دولة مالى الاسلامية ، ص 42 .

(3) العمري ، المصدر السابق ، ورقة 34 .

(4) المصدر نفسه ، ورقة 35 .

(5) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 447 .

وعلوم الدين ، وأطلق أسمها على سائر المملكة (1) . ويبدو أن نياني قد لعبت دورا ثقافيا هاما لا يقل عما لعبته غيرها من حواضر الثقافة العربية الإسلامية بالمنطقة .

### ثالثا : - مظاهر الثقافة العربية الإسلامية .

#### 1- انتشار الإسلام واللغة العربية .

لقد تضافرت جهود عديدة ساهمت في انتشار الإسلام واللغة العربية بالمنطقة . وقد أثمرت هذه الجهود بحيث أضحت الإسلام ديناً رسمياً للدولة في ظل مملكتي مالى وسنغاي الإسلاميتين وصارت اللغة العربية لغة العبادة والثقافة والمعرفة والتجارة والمعاملات اليومية في أماكن واسعة من السودان الغربى . ونسبة لهذه الأهمية القصوى ، فإننا نلاحظ أن مراحل إنتشار الإسلام واللغة العربية قد أهدت في خطواتها بما يلى :-

#### أ ( انتشار الإسلام ،

من أولى الملاحظات التى ينبغى الإشارة إليها فى مسألة انتشار الإسلام فى السودان الغربى هى أن هذه الدعوة كانت سلمية وخاصة فى مراحلها الأولى وأن أهالى هذه المنطقة فى الغالب الأعم قبلوا هذه الدعوة قبولا حسنا وأنهم كانوا مختارين لا مرغمين ، إذ لا نجد فيما أورده البكرى عن إسلام ملك

---

(1) الوزان 164/2 .



التكرور وارجاى بين رابيس (1) . وأمير إقليم مالى الذى يعرف بالمسلمانى (2) اشارة الى الإكراه . يقول السعدى عن السابق الى الإسلام من ملوك سنغاي وكان اسمه زاكسى : "... يقال له فى كلامهم مسلم دم معناه اسلم طوعا بلا إكراه رحمه الله تعالى وذلك فى سنة اربعمائة من هجرة النبى صلى الله عليه وسلم . " (3) .

ولايبعد من ذلك ما ذكره المؤلف نفسه عن كنز ملك جنى (4) . وهذا ينسجم مع تعاليم الإسلام الذى لايجبر أحدا على ترك دينه ليعتنق الإسلام والدليل على ذلك قوله تعالى : " لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى " (5) . فالناس حسب تعاليم العقيدة الإسلامية أحرار فيما يعتنقون "لكم دينكم ولى دين" (6) . وخاطب الله تعالى رسوله (ص) بقوله : " ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين " (7) نافيا أن يكره الرسول (ص) أحدا على اعتناق الإسلام . وأمر الله رسوله أن يدعو الناس الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، فقال : ( أدع الى سبيل ربك بالحكمة

---

(1) البكرى ، المصدر السابق ، ص 172 .

(2) المصدر نفسه ، ص 178 .

(3) السعدى ، المصدر السابق ، ص 3 .

(4) المصدر نفسه ، ص 7 .

(5) سورة البقرة : آية (256) .

(6) سورة الكافرين : آية (6) .

(7) سورة يونس : آية (99) .

والموعظة الحسنة ( 1) . والغالب أن أسلاف العرب الصنهاجيين (صنهاجة الصحراء) ، كان لهم دور مؤثر في استمالة الطبقات السودانية النيلية الى الإسلام. ويبدو أن علاقات من الولاء كانت تربط أغلب الزعماء السودانيين مع "... صاحب أودغست في عشر الخمسين وثلاثمائة ثين يروتان ابن ويسنو بن نزار رجل من صنهاجة وكان قد دان له أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان كلهم يؤدي اليه الجزية ."(2) ومن القرائن المرجحة لذلك أن ملك التكرور لبي بن وارجابي قد انضم الى صفوف المرابطين مجاهدا سنة 448هـ (3) وقد تعاظم انتشار الإسلام على المذهب المالكي عقب جهاد المرابطين وزاد من ذلك توافد العديد من التجار والعلماء والفقهاء والأئمة والمتصوفة على هذه المنطقة وخاصة عقب رحلة السلطان منسا موسى الى الحج . ومن القرائن المرجحة لانتشار المذهب المالكي منذ ذلك التاريخ أن السلطان منسا موسى ، وهو في مصر ابان رحلته الشهيرة للحج ، أشار الى انه مالكي المذهب كما اشترى من مصر بعض الكتب في فقه المالكية كما تحدث عن ذلك المؤرخ تقي الدين المقرئزي (4) . ويعلل عمر الجيدى انتشار المذهب المالكي وتوطده بالمنطقة الى عدة أسباب من أهمها : ملائمة هذا المذهب لطبيعتهم ، فهو مذهب عملي يعتد بالواقع ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم ويناسب بساطتهم في الصحراء دون تكلف أو تعقيد ، فهم يميلون الى البساطة والوضوح والحرص على التمسك بالإسلام وبأصوله

---

(1) سورة النحل : آية (135) .

(2) البكري ، المصدر السابق . ص 159 .

(3) المصدر نفسه ، ص 172 .

(4) المقرئزي ،الذهب المسبوك ، ص 113 .

خوفا من الانزلاق فى مهاوى الضلالات (1) . ولايعنى هذا أن المذهب المالكي هو المذهب المسيطر تماما فى المنطقة ، بل لاحظ ابن بطوطة أن قرية زاغرى بالسودان الغربى تضم فريقا من الأباضية ، وهؤلاء هم من المغاربة البيض المقيمين فى تلك البلاد ، وكان أهل السودان يسمونهم (صغغرو) (2) . وينتسب الأباضيون الى عبد الله بن أباض التميمى مؤسس الفرقة ، وهى إحدى فرق الخوارج المعروفة فى التاريخ الإسلامى . وقد لعب الفقهاء الاباضيون دورا هاما فى نشر الإسلام فى السودان الغربى ، وخاصة فى الفترة السابقة لسيادة المذهب المالكي بعد القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى \* .

## ب) اللغة العربية

من الواضح أن الدعوة الإسلامية فى السودان الغربى ، كما فى غيرها من المناطق الإسلامية ، قد أرتبطت باللغة العربية لغة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية. ويعتبر تنشيط الحركة التجارية من العوامل الرئيسية التى ساهمت فى اتساع رقعة الاسلام واللغة العربية كما سلفت الاشارة . وقد أحترم مسلمو تلك البقاع اللغة العربية احتراما يقرب من التقديس لأنها لغة القرآن الكريم بها يؤدى المسلم صلاته ويتلو القرآن الكريم وبواسطتها يلم بعلوم الدين. ومن العوامل الأخرى التى ساعدت فى انتشار اللغة العربية بالاضافة الى الجانب الدينى هى

---

(1) عمر الحيدى .محاضرات فى ترايخ المذهب المالكي فى المغرب الإسلامى.(الدار البيضاء : منشورات دار

عكاظ ، 1987م ) ، ص29 .

(2) محمود الشرقاوى ، المرجع السابق ، ص389 .

\* راجع : أحمد الياس حسين . دور الفقهاء الاباضية فى اسلام مملكة مالي قبل القرن الثالث عشر الميلادى .

ندوة العلماء الافارقة ومساهماتهم فى الحضارة العربية الإسلامية . الخرطوم : 1983م ، ص91 ومابعدها .

ادعاء معظم اهالى وحكام السودان الغربى ، كما هو حال معظم المجتمعات الافريقية المسلمة ، انهم يتتسبون الى اصول عربية شريفة كما سلف . وساعد على انتشار اللغة العربية هجرات القبائل العربية الى تلك البلاد واستقرارهم بها وخاصة هجرات بنو هلال وبنو سليم منذ القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى . ومن العوامل التى أدت ايضا الى انتشار اللغة العربية أن أغلب الأئمة المسلمين افتوا بعدم جواز ترجمة القرآن الكريم وعدم جواز قراءته بغير اللغة العربية ووجوب أداء الصلاة بها ، فكان لابد لمن يريد معرفة أسرار الدين أن يتعلم اللغة العربية ويتقنها . وهكذا وجدت اللغة العربية فى هذه المنطقة تربة خصبة ضربت فيها بجذورها وقد لاحظ الرحالة البرتغالى كاداموستو (Cadamosto) الذى زار المنطقة انه يوجد بينهم بعض رجال الدين من الشعب الذى يسمى الصنهاجة أو العرب الذين كانوا ، بالإضافة الى دورهم الثقافى ، مستشارين لملوك السودان فى تنفيذ أحكام الشرع (1) . وأورد بعض الرحالة الذين وصلوا الى المنطقة فى مستهل القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى نفس الملاحظة حول مملكة الـ وولوف بالسنغال ، ولاحظوا أن الملك والطبقة الحاكمة كانوا من المسلمين وبينهم فئة من العرب البيضان المسلمون يعلمونهم أمور دينهم وهم يجيدون القراءة والكتابة فضلا عن اعتناق بعض افراد الشعب عقيدة الاسلام فى حين أن أغلبهم وثنيون (2) .

ويعقد ابراهيم طرخان مقارنة بين وضع اللغة العربية فى السودان الغربى ووضع اللغة اللاتينية فى اوربا بقوله : " ويشبه هذا ما كان عليه وضع اللغة اللاتينية عند

---

(1) ددود ولد عبدا لله ، المرجع السابق ، ص25 .

(2) المرجع نفسه ، ص25 .

الملوك الجرمان والشماليين وشعوبهم ، فهم يتكلمون بلغاتهم الاصلية : الفرنجية أو النورمانية أو الوندالية أو القوطية أو السكسونية ، بجانب اللغة اللاتينية ، ولكن العبادة والحكومة والثقافة والآداب والقوانين ، فباللغة اللاتينية " (1) . كما تأثرت طريقة الكتابة عند أهالي السودان الغربى بما هو معروف عند المغاربة فى الهندسة ونقوشها ، والخط واعجام الحروف وترتيبها ، ويظهر ذلك فيما تحفل به جدران المساجد بالمنطقة من خطوط مختلفة وتتحدى به من رسوم وآيات قرآنية حيث أن النقوش التى وجدت بالمساجد كان يستخدم فيها الخط الكوفى والخطوط الهندسية فى كتابة الايات القرآنية ، وهذا أثر مغربى واضح (2) . وقد وصف القلقشندى ذلك بقوله : " ... وكتابهم بالخط العربى على طريقة المغاربة " (3) . ووضحت هذه الطريقة فى النصوص العربية المصورة والكتب المنشورة ، مثل تاريخ الفتاش وتاريخ السودان وغيرهما ، ومن خصائص هذه الكتابة أن نقطة حرف الفاء توضع أسفل الحرف هكذا "ف" ، كما يستبدل بنقطتى حرف القاف نقطة واحدة توضع فوق الحرف هكذا "ف" ، وهذا بجانب رسم الحروف الذى يختلف قليلا عن الرسم المعروف فى بعض مقاطعه ويقرب مما نعرفه بالخط الكوفى (4) .

هذا وقد تركت اللغة العربية أثرا واضحا فى اللغات المحلية الافريقية بالسودان

---

(1) ابراهيم طرخان ، الاسلام واللغة العربية فى السودان الغربى والوسط ، ص 71 .

(2) شوقى عطا الله الجمل ، المرجع السابق ، ص 151-152 .

(3) القلقشندى 298/5 .

(4) ابراهيم طرخان ، الاسلام واللغة العربية فى السودان الغربى والوسط ، ص 72 .



الغربي (1) . يقول هوبير ديشان (Hober Dechan) ، المستشرق الفرنسي الشهير : " ولم تكتف بلاد السودان الغربي بالدخول في الإسلام بل طبعت بطابع عربي بسبب انتشار اللغة العربية في تلك البلاد " (2) . وتأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات ليس غريبا ، فهي قد تركت آثارها في لغات بلاد اوربا الجنوبية وحتى الشمالية كما في اللغة الايطالية والفرنسية والبرتغالية والاسبانية والانجليزية ، بل أن لغة مالطا أصولها عربية (3) ، حدث كل هذا التأثير رغم قصر أمد الاسلام واللغة العربية في اوربا من الناحية الزمنية \* .

أما التأثير العربي في اللغات السودانية المحلية فهو أوضح وأبرز لأنها ظلت متمسكة بالدين الاسلامي ومظاهر الحضارة العربية الاسلامية حتى اليوم . ولا يزال الى اليوم العديد من الكلمات العربية مستخدمة في بلاد السودان الغربي في شتى مظاهر الحياة ، فنجدها مستعملة في الحياة الدينية والعلمية وفي مجال القضاء والمكاتبات الرسمية ، وحتى في أسماء المدن والاعلام . ويورد ابراهيم طرخان أمثلة لذلك ففي الحياة الدينية توجد كلمات عربية مثل : الله : صارت (ياللا ) أو (يالف) عند الولوف والسنغاي والفولانيين والديولا والبابابارا والصوصو . والحمد لله : صارت (هاند اللايا) في السنغال . وامام : صارت

---

(1) ابراهيم طرخان ، الاسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط ، ص72 .

(2) هوبير ديشان . الديانات في افريقيا السوداء ، ترجمة أحمد صادق . (القاهرة : دار الكتاب المصري ،

1956م) ، ص132 .

(3) ابراهيم طرخان ، الاسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط ، ص73 .

\* المقصود هنا الوجود العربي الاسلامي بالذات في في جنوب اوربا وجزر البحر المتوسط ، أما الوجود

العربي الاسلامي في اسبانيا فقد امتد الى حوالى ثمانية قرون (711م-1492م) وذلك كما هو معروف .

(اليمام) أو (اليمامى) فى شتى بلاد غرب افريقيا (1) . وفى مجال التعليم : استخدمت كلمة (قرأ) (يقرأ) وماشتق منها فى الدلالة على معنى التعليم أو العلم وعلى معنى عالم أو أستاذ أو طالب أو مدرسة (2) وفى أسماء الاعلام : النبى محمد : صارت (أمادو) أو (دودو) ، وأحمد : (أمادو) ، ومحمود : (مامودو) ، ومحمد : (مامدو) ، والامين : (لامين) ، والحسين : (اوسينو) ، وابوبكر : (بوكار) أو (بوبكر) أو (بوكارو) ، وابراهيم (براهيم) أو (بوهاريم) ، وعائشة (ايساتو) ، وحفصة (افسا) ، وفاطمة (فاتيماتو) أو (فاتيماتا) أو (فاتو) ، وبنت (دمنت) وهكذا (3) وقد أطلقت بعض أسماء المدن العربية الاسلامية على مدن فى السودان الغربى مثل : الطائف : تايفا فى غينيا ، وتايف فى السنغال وغينيا ، وكذلك مصر التى تنطق ماسيرا فى غينيا (4) . ومن المجالات التى استخدمت فيها اللغة العربية أيضا هى : مجال القضاء والمكاتبات الرسمية ، بين ملوك السودان الغربى والعالم الاسلامى الخارجى . ووجد فى الدواوين المصرية زمن المماليك صيغ عربية لمخاطبة الملوك الافارقة المسلمين (5) . وفى مجال التعليم والحركة التعليمية ، وهو أخصب الميادين انتاجا ، كان أساس التعليم العربى الاسلامى حفظ القرآن وتفسيره ودراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية ، وذلك فى أشهر مراكز الثقافة العربية الاسلامية بالمنطقة والتى سبقت

---

(1) المرجع نفسه ، ص73 .

(2) المرجع نفسه ، ص74 .

(3) ابراهيم طرخان ، الإسلام واللغة العربية فى السودان الغربى والأوسط ، ص74 .

(4) المرجع نفسه ، ص74 .

(5) المرجع نفسه ص75 .

الإشارة إليها **وَجَلَّصَةُ الْقَوْلُ** : أن اللغة العربية رغم انتشارها الواسع ، كما سلف الايضاح ، الا أنها لم تلغ أو تحجب أو تمح نهائيا اللغات أو اللهجات المحلية بالمنطقة وقد ظل الكثير من الاهالى يستخدمون لهجاتهم المحلية ، بينما ظلت اللغة العربية لغة العبادة والثقافة والادارة والتجارة والدبلوماسية وكثيرا من المعاملات الرسمية . ومن الأدلة على تمسك أهالى وسكان السودان الغربى بلغاتهم ولهجاتهم المحلية ما أورده المصادر التاريخية من أن منسا موسى كان يكلم مرافقه خلال اقامته بالقاهرة عن طريق ترجمان مع اجادته اللسان العربى (1) . كما لاحظ ابن بطوطة أثناء زيارته لمملكة مالى انه كان هناك رجل يحمل رمحا ويشرح للناس بلهجتهم كلام الخطيب (2) ، كما لاحظ الباحث ذلك فى أحد مساجد باماكو بمالى ، وذلك أثناء زيارته لها فى اواخر شهر الصيف (يونيو) 1992م ، فى اطار جمعه لمادة هذا البحث .

## 2- التعليم ومراحله .

كان التعليم فى السودان الغربى يبدأ بتحفيظ الصبية القرآن الكريم فى الكتاتيب والمساجد التى كانت متشرة فى المدن والقرى . وقد وصفهم ابن بطوطة بحرصهم الشديد على تعليم ابنائهم وتحفيظهم القرآن الكريم ، حتى أنهم كانوا يقيدونهم فى سلاسل حديد حتى يحفظونه (3) . ومع تحفيظهم القرآن الكريم كانوا يتعلمون مبادئ العبادات والتوحيد وقواعد اللغة العربية . وعندما ينهى الصبى دراسته على هذا النحو ينتقل الى مرحلة دراسية أعمق من الأولى

---

(1) القلقشندى 116/8 .

(2) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص-447 .

(3) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص-450 .

حيث تدرس في المسجد الجامع للمدينة علوم التفسير والحديث والفقه المالكي والتاريخ والسيرة وعلوم العربية والمنطق وغير ذلك (1) . ومن هنا نستنتج أن المراحل التعليمية في السودان الغربي كانت مشابهة الى حد كبير لمراحل التعليم في الوطن العربي والعالم الاسلامي آنذاك . أما عن مدى انتشار التعليم المهني والحرفي في المنطقة فرغم صعوبة استنتاج ذلك من الاشارات المقتضبة التي خصصتها المصادر التاريخية لذلك الموضوع ومن أمثلة هذه الاشارات ما أورده الحسن الوزان ، الذي زار تمبكتو ووصفها بأنها كانت مدينة عظيمة الشأن وفيها الكثير من الدكاكين المملوءة بالمنسوجات والكتب ، وفيها عدد كبير من حوانيت الحياكين والحدادين والخرازين (2) ، ورغم أن هذه الاشارة التي أوردها الوزان تعنى مملكة سنغاي ، فإنه من الممكن أن يكون التعليم المهني والحرفي منتشر في المنطقة منذ أيام مملكة مالي .

أما عن ارسال البعثات الدراسية للخارج فقد حرص ملوك السودان الغربي المسلمين على ارسال افواج متتالية من الوطنيين الأفارقة الى المنارات العربية الاسلامية في الشمال الافريقي ومصر وأهمها : القاهرة وطرابلس وفزان والقيروان وفاس وغيرها لينهلوا من منابعها ثم يعودوا الى أوطانهم لينشروا الاسلام واللغة العربية في ربوعها (3) . وكان بعض الطلاب السودانيين يسافر الى المراكز الثقافية العربية الاسلامية للتعلم في الدراسات وذلك بعد حصولهم على الاجازات الدراسية من المراكز العلمية بالمنطقة (4) . وقد ارتفع عدد هؤلاء

---

(1) السعدى ، المصدر السابق ، ص 16 .

(2) عبدالقادر زبادية ، مملكة سغاي ، ص 101-102 .

(3) أحمد شلبي المرجع السابق ، ج 6 ، ص 206 ؛ عبدالقادر زبادية ، مملكة سنغاي ، ص 137 .

(4) السعدى ، المصدر السابق ، ص 16 .

الطلاب النازحين الى المراكز الثقافية العربية . ففى مصر مثلاً تقاطر العديد منهم على الازهر الشريف حيث أقاموا رواقاً خاصاً بهم يستقرون فيه ويتلقون فيه العلوم العربية الإسلامية . وقد عرف باسم (مدرسة ابن رشيق ) التى تحدث عنها المقرئزى فى كتابه : "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" والمعروف بالخطط المقرئزية ، بقوله "... هذه المدرسة للمالكية وهى بخط حمام الرش من مدينة مصر كان الكائن من طوائف التكرور لما وصلوا الى مصر سنة بضع وأربعين وستمائة قاصدين الحج دفعوا للقاضى علم الدين بن رشيق مالا بناها به ودرس بها فعرفت به وصار لها فى بلاد التكرور سمعة عظيمة وكانوا يبعثون اليها فى غالب الأحيان المال " (1) . ورغم أن هذا النص يشير صراحة الى أن طوائف الكائن بالسودان الأوسط هى التى أسست مدرسة بن رشيق المشار اليها . غير أنه يبدو أنها كانت منزلاً لحجاج وطلاب العلم من بلاد التكرور عموماً ، بما فيهم أهالى السودان الغربى ، والدليل على ذلك أن لفظ التكرور كان يطلق على عموم سكان غرب أفريقيا كما هو معروف . وأن المقرئزى وغيره من الكتاب ظلوا فيما بعد يستخدمون لفظ التكرور دون الكائن ، وذلك أثناء حديثهم عن مدرسة ابن رشيق المشار إليها . ومن أمثلة العلماء السودانيين الذين رحلوا الى المراكز الثقافية العربية الإسلامية : الفقيه أحمد بن عمر بن محمد أقيت جد العالم أحمد بابا التمبكى ، وقد التقى الفقيه أحمد بن عمر العالم المصرى السيوطى والشيخ خالد الأزهرى وغيرهم (2) ، وكذلك العالم محمد بن أحمد التازختى الشهير بلقب (أيد أحمد) الذى رحل الى كل مصر والحجاز وعاد لينشر ما تعلمه

---

(1) المقرئزى . المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية ، ط 2 (القاهرة : مكتبة

الثقافة الدينية ، 1987م ) ، ج 2 ، ص 365 .

(2) أحمد بابا ، نيل الإبتهاج ، ص 138 ، السعدى ، المصدر السابق ، ص 37 .



من علم ومعرفة (1) . وكذلك العاقب ابن محمود بن عمر بن محمد بن أقيت قاضى تمبكتو الذى رحل الى المشرق للتعليم والحج (2) ، وغيرهم كثير . وبالإضافة الى ذلك فقد وفد الى المنطقة العديد من العلماء والفقهاء وأقاموا بها وقدمت لهم ضروب المساعدة مما دعاهم الى إطالة الإقامة بالمنطقة ومن أمثلة هؤلاء : المغيلى وجلال الدين السيوطى وغيرهم من علماء فاس ومراكش وشنقيط ، وكل هذا يتضح صداه فيما كتبه السعدى وكعت وأحمد بابا وغيرهم من مؤرخى هذه الفترة (3) .

### 3- فن العمارة (البناء - النحت - النقش) -

من المعروف أن الفن المعماري الأصيل للسودان الغربى قبل خضوعه للمؤثرات العربية الإسلامية هو البناء المستدير المغطاة سطوحه دائما بالاختصاص والنقش فى شكل هرمى وربما يعود ذلك الى عامل التكيف مع المناخ حيث يشهد فصل الامطار بالمنطقة هطول أمطار غزيرة (4) . أما الحيطان فتبنى بالطوب ونادرا ما تنخللها الحجارة . وكان بناء الذوات والأغنياء يتميز غالبا عن بناء العامة بأن البناء الأول عادة يكون بالآجر أى الطوب المحروق فى حين تبنى الثانية ( بيوت الفقراء والمتوسطى الحال ) بالطوب المجفف أى اللبن الذى يخلط بالتبن أحيانا حتى يزداد صلابته (5) .

---

(1) المصدر نفسه ، ص 39 .

(2) المصدر نفسه ، ص 40-41 .

(3) راجع ما كتبه السعدى ، المصدر السابق وكعت ، المصدر السابق وأحمد بابا ، نيل الإبتهاج .

(4) عبدالقادر زبادية ، الحضارة العربية والتأثير الأوربي ، ص 87-88 .

(5) المرجع نفسه ، ص 88 .

وباعتبار الناحية العمرانية من ضمن المظاهر الثقافية فإن ملاحظات الرحالة والجغرافيين والمؤرخين والباحثين حول الأثر العربى الاسلامى فى عمارة بلاد السودان الغربى تفيد بأن طابع الفن المعمارى المغربى كان واضحاً فى المنشآت العمرانية المختلفة فى المنطقة ويقول السعدى عن تمبكتو بأنها : "... مأتتها العمارة الا من المغرب." (1) . والمعروف أن التأثيرات العربية الاسلامية فى مجال فن العمارة قد أتضحت مع رحلة منسا موسى الى الحج ، حيث أصطحب معه عند عودته ثلة من المهندسين المعمارين من أهمهم : ابراهيم الساحلى الغرناطى الذى ادخل الى المنطقة فن البناء وزخرفته على الطراز المغربى - الاندلسى إذ لم يكن معروفاً هذا الفن المعمارى فى هذه المنطقة من قبل (2) . وقد وصف العمرى هذا التطور المعمارى وهو ( نظام البناء بالباليستا ) الذى ادخله الساحلى الى المنطقة بقوله : "... وهو انه يبنى تقدير نصف ذراع بالطين ثم يترك حتى يجف ثم يبنى عليه مثله ثم يترك حتى يجف ثم يبنى عليه مثله هكذا حتى يتناهى وسقوفها بالاخشاب والقصب وغالب سقوفها قباب أو جملونات كالاقيا وارضها تراب مرمل ." (3) .

وقد بنى الساحلى قصراً للسلطان منسا موسى وصفه ابن خلدون بقوله : "... فأراد أن يتخذ بيتاً بمقعد سلطانه محكم البناء مجللاً لغرابته ، فأطرفه أبواسحق الطونجى ببناء قبة مربعة الشكل استفرغ فيها اجادته وكان صناع اليدين واحتفى عليها من الكلس ووالى عليها بالاصباغ المشبعة فجاءت من أتقن

---

(1) السعدى ، المصدر السابق ، ص 21 .

(2) Trimingham :A history of Islam in West Africa . P.P.68-69

(3) العمرى ، المصدر السابق ، ص 35 ؛ القلقشندي 283/5 .

المباني ووقعت من السلطان موقع الاستغراب لفقدان صنعه البناء بأرضهم . " (1) . وقد شاهد ابن بطوطة خلال زيارته للمنطقة هذه القبة وقال إن بابها بداخل قصر السلطان وأنه يجلس فيها أكثر الأوقات (2) . ويقال إن الساحلي بنى أيضا مسجدا يجاو من الطوب المحروق وعرفهم بنظام الاسقف المسطحة للمنازل وبنى مئذنة هرمية لمسجد سنكرى بتمبكتو (3) .

وقد عاش الساحلي بقية حياته في تمبكتو حتى توفي ودفن فيها (4) ، وقد شاهد ابن بطوطة لدى زيارته لتمبكتوقير الساحلي حيث قال: "...وفي تمبكتو يوجد قبر الشاعر المفلق ابي اسحاق الساحلي الغرناطي." (5) وكذلك من المهندسين المعماريين اللذين رافقوا منسا موسى أبان عودته من رحلة حجه الشهيرة هو عبدا لله الكومى الموحدى الغدامسى ، الذين كان مقيما بغدامس ورحل رفقة منسا موسى الى السودان الغربى (6).

وقد شارك عبدا لله الكومى الغدامسى مع الساحلي فى تشييد بعض الانشاءات المعمارية بالمنطقة ومنها مسجد سنكرى الشهير الذى شيده على الطراز المغربى - الاندلسى ، ولا زالت بقاياه موجودة الى اليوم بتمبكتو . وقبرا المذكورين موجودان حتى الان فى مقبرة بشمال تمبكتو . ولم يقتصر التأثير العمرانى العربى الاسلامى على القصور الملكية والمساجد والمساكن بل أمتد الى

---

(1) ابن خلدون 201/6 .

(2) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 445 .

(3) ابراهيم طرخان ، دولة مالى الاسلامية ، ص 6 ؛ أحمد الفيتورى ، المرجع السابق ، ص 248.

4) Joseph Cuq : OP.Cit .p. 114.

(5) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 451 .

(6) ابن خلدون 201/6 .

المتاجر وقام التجار العرب الذين سكنوا المنطقة ببناء حوائطهم على الطريقة المغربية حيث بنوا مخازن البضاعة فى أسفل دور السكن وقلدهم الاهالى فى ذلك.

ولعب المعمارىون العرب المغاربة دورا كبيرا فى تخطيط مدينتى جاور وبنى وغيرهما . وتمتاز هاتان المدينتان كما يقول ديشان بالشوارع الضيقة والبيوت ذات السطوح العالية والابواب الضخمة وهذه هى المظاهر الاساسية للمدن العربية بالشمال الافريقى (1) ويصف نعيم قداح تخطيط مدن السودان الغربى المتأثر بالنمط المعمارى العربى الاسلامى فى العصور الوسطى بقوله ، "... كان لكل مدينة مسجدها الكبير الذى يجتمع فيه سكانها . وقد نظمت المدن الاسلامية من حيث تخطيطها لتلائم حياة الطوائف الاجتماعية وفقا للأغراض الاقتصادية . ومن ذلك بناء وتنظيم المخازن والمتاجر والحوانيت التى بنيت حول المسجد . والتى كانت تباع المسابح والعطور والكتب . ثم تستدير الأبنية الاخرى حول المسجد لتقوم فيها أعمال التجارة والصناعة ، وتأتى فى نهاية هذه الابنية حوانيت الحدادين . " (2) . وحيث أن بناء المساجد فن عربى اسلامى قائم بذاته يبدو تأثيره فى كل مكان دخله الاسلام . فقد أنشئت المساجد فى معظم المدن الواقعة على طريق القوافل وغيرها . ويصف السعدى ملوك السودان الغربى المسلمين بأنهم حريصون على بناء المساجد ، فمنسا موسى كان يبنى مسجدا فى كل مدينة تدركه فيها صلاة الجمعة (3) .

---

(1) نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص 146 .

(2) المرجع نفسه ، ص 145 .

(3) السعدى ، المصدر السابق ، ص 7 .

وفى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى عمل المهندس معلوم أدرىس المراكشى الذى كان معاصرا للساحلى وربما أحد مساعديه على بناء مسجد مدينة جنى الشهير وهو نموذج للتمازج الفنى العربى الافريقى (1) . وفى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى قام المعمارى الافريقى محمد فادى ، الذى تعلم فن البناء فى المغرب ، بتشيد المسجد الجامع فى تمبكتو وقد خرب هذا المسجد وأعيد بناؤه مرارا (2) ورغم أن التأثيرات الفنية المعمارية فى السودان الغربى لم تحظ الى الآن ، على حد علمنا ، بدراسة تحليلية عميقة ، لكننا نستنتج أن ماوضح من معالم هذه الفنون ، العمرانية يؤكد عمق التأثير العربى الاسلامى فى هذا المجال . فقصور الامراء والحكام تدل فى هندستها ونقوشها ومعالمها وتنظيمها ومحتوياتها على الأثر العربى الإسلامى على تلك الفنون . فالشمسيات الزجاجية وغير ذلك من معالم الفن والنظام الذى بنيت به المساجد والنقوش التى أستخدم فيها الخط الكوفى والخطوط الهندسية وزخرفة الآيات القرآنية كلها تدل على التأثيرات العربية الإسلامية فى النقش والنحت . وقد شاع فى مدن السودان الغربى بناء الاسوار تشبها بما كان سائدا فى البلاد العربية وفى المغرب بالذات (3) . ويستخلص شوقى الجمل فى حديثه عن الآثار الفنية العمرانية العربية الإسلامية بالسودان الغربى بالقول أن اسلوب البناء كان متأثرا بأسلوب البناء فى البلاد العربية ، وأن أحياء بكاملها من أحياء تلك المناطق أشتهرت منازلها بتصميمها المغربى . ويعلل ذلك بأن حكام هذه المناطق وشعوبها

---

(1) نعيم قداح ، المرجع السابق ، صـ 147 ؛ عبدالقادر زبادية ، مملكة سنغاي ، صـ 107 .

(2) نعيم قداح ، المرجع السابق ، صـ 147 .

(3) شوقى الجمل ، المرجع السابق ، صـ 152 .



ينظرون الى مايشيع فى المغرب والبلاد العربية الأخرى التى اتصلوا بها من الوان الحضارة على أنها مثل عليا يحتذى بها (1) .

#### رابعاً : مظاهر التأثير فى الانماط الاجتماعية .

من المسائل البديهية أن التغير الاجتماعى عملية مستمرة ماوجدت الحياة الانسانية ، على أن ذلك التغير محكوم بقوى داخلية وخارجية تؤثر عليه سلباً أو إيجاباً . ولقد كانت العقيدة الاسلامية التى حملها العرب الى تلك المناطق ولاشك من القوى الخارجية الهائلة الأثر فى مجال التغير الاجتماعى فى السودان الغربى ، إذ أنها تعد من دوافع البعث الشامل فى كل أوجه حياة الانسان الافريقى الذى أحتك بمؤثراتها . وقد تعرضت مناطق السودان الغربى الى جملة من التغيرات الهامة فى مظاهر الانماط الاجتماعية المختلفة مثل : العادات والتقاليد والفنون الشعبية ووضع المرأة ونظام الأسرة ، والزى وتقاليده ، والشعائر والطقوس الدينية وأداء فريضة الحج .

#### 1- العادات والتقاليد والفنون الشعبية .

من المعروف ان العادات الاجتماعية وثيقة الصلة بتطور حياة الانسان ومن الصعب التحول عنها بيسر وسهولة . وقد وقع بالسودان الغربى امتزاج بين العادات والتقاليد العربية الاسلامية الوافدة من مناطق الوطن العربى وبين التقاليد السودانية . وظهر نتيجة لهذا الامتزاج تقاليد عربية اسلامية افريقية ، ويتضح ذلك من خلال ماسجله الرحالة والجغرافيون والمؤرخون الذين زاروا المنطقة

---

(1) المرجع نفسه ، ص 152 .

وكتبوا عنها ومنهم ابن بطوطة الذى لاحظ إتباعهم الكثير من العادات الاسلامية المنسجمة مع تعاليم العقيدة الاسلامية . ومنها على سبيل المثال الامتناع عن النواح فى المآتم وحكى قصة وقعت له عندما كان فى ضيافة أحد حكام اقاليم مملكة مالى بقوله : "... فجاءت الينا جارية له دمشقية عربية ، فكلمتنى بالعربى . فبينما نحن فى ذلك إذ سمعنا صراخا بداره ، فوجه الجارية لتعرف خبر ذلك . فعادت اليه ، فأعلمته أن بتا له قد توفيت ، فقال أنى لاحب البكاء ، " (1) . وعن الطقوس التى كانوا يمارسونها أثناء المآتم ماورد عن السلطان منسا موسى من أنه أقام ليلة عزاء ، دعا اليها الامراء والفقهاء والقاضى والخطيب وابن بطوطة ، الذى كان موجودا هناك ابان رحلته الشهيرة ، وقد جاءوا بالربعات وختم القرآن وكان الحاضرون يقرأون ويتلون (2) . ومن العادات التى ذكرها ابن بطوطة ، أيضا ، دليلا على تدينهم وتمسكهم باخلاق الاسلام ، " أنهم لايعترضون القوافل فى رمضان ، واذا وجد اللصوص متاعا فى الطريق ، فى رمضان ، ايضا تركوه . وانه اذا طلب انسان غريما له فلجأ الى المسجد أو الى منزل الخطيب لم يطلبه احتراما للمسجد وشيخه . حتى السلطان نفسه يترك غريمه اذا لجأ لأيهما ، كما رأينا فى قصة زوجة السلطان التى تأمرت عليه من قبل . " (3) . ومن هذه العادات ، أيضا ، قلة الظلم وفى هذا الصدد يقول ابن بطوطة : " فهم أبعد الناس عنه . وسلطانهم لايسامح أحدا فى شىء منه . ومنها شمول الامن فى بلادهم ، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم سارقا ولا غاصبا . ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيض ، ولو كان القناطير

---

(1) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 452 .

(2) محمود الشرقاوى ، المرجع السابق ، ص 391 .

(3) محمود الشرقاوى ، المرجع نفسه ، ص 386 .

المقنطرة ، وانما يتركونه بيد ثقة من البيض حتى يأخذه مستحقة . " (1) . ومن العادات التى حافظ عليها أهالى المنطقة وامتدحها ابن بطوطة هى : مواظبتهم على الصلاة، حيث يقول : " ومنها مواظبتهم على الصلوات وملازمتهم لها فى الجماعات، وضربهم اولادهم عليها. واذا كان يوم الجمعة، ولم ييكر الانسان الى المسجد ، لم يجد أين يصلى لكثرة الزحام. ومن عاداتهم أن يبعث كل انسان غلامه بسجادته ، فيبسطها له بموضع يستحقه ، حتى يذهب الى المسجد. وسجادتهم من سعف شجر يشبه النخل ، ولاثمر له ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة . ولو لم يكن له الا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة . " (2) . وامتدح أيضا ، حفظهم للقرآن الكريم وحرصهم الشديد على تعليم ابنائهم إياه ، حيث قال : "... ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم جعلوا لهم القيود ، اذا ظهر فى حقهم التقصير فى حفظه فلاتفك عنهم حتى يحفظوه. ولقد دخلت على القاضى يوم العيد، واولاده مقيدون ، فقلت له الا سرحهم ؟ فقال : لأفعل حتى يحفظوا القرآن. ومررت يوما بشاب منهم حسن لاصورة عليه ثياب فاخرة، وفى رجله قيد ثقيل ، فقلت لمن كان معى : ما فعل هذا ، أقتل ؟ ففهم عنى الشاب وضحك . وقيل لى : أنما قيد حتى يحفظ القرآن . " (3) . ومن الملاحظات الدقيقة الى أوردتها أحمد بابير الأروانى فى مخطوطته عن انتقال معظم التقاليد والعادات العربية الاسلامية الى السودان الغربى، أن بعض أصناف الاكل تشبه فيه أهالى المنطقة بالشمال الافريقى ، ومنها

---

(1) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 450 .

(2) المصدر السابق ، ص 450 .

(3) الصفحة نفسها .

أكلة الكسكسى التى انتشرت فى تلك المنطقة (1) . ومن هذه العادات هى عادة ضرب الطبول ، وهى عادة غير موجودة فى الاسلام ولكنهم ، أى أهالى السودان الغربى ، لم يستطيعوا التخلص منها بسهولة ، رغم قبولهم بالانماط الاسلامية ، ولكنها طوعوها ، وذلك بادخالها فى حلقات الازكار التى كانت تمارسها الحركات الصوفية التى تواجدت فى تلك المنطقة ومن أشهرها : الطريقة القادرية .

حيث كان يريدوها يضربون الطبول فى حلقات الذكر ويقومون ببعض الحركات البهلوانية التى هى بالتأكيد إمتداد لممارساتهم التى كانوا يقومون بها فى حلقات الرقص والغناء والطرب وذلك قبل اعتناقهم للعقيدة الإسلامية وخضوعهم لمؤثراتها وتعاليمها ، ومن الآثار العربية الإسلامية فى سلوك أهالى السودان الغربى هى : حسن العشرة وتقديم غيرهم على أنفسهم (2) . كما تحلوا بإكرام الغرباء الذين يحلون بين ظهرائهم فقد أكرم السلطان منسا سليمان ابن بطوطة بالعطايا ، وخصه الدوغا \* برعاية فائقة وأكرمه ، كما أن السلطان منسا موسى أجزل العطاء لأبى اسحاق الساحلى وأعطاه فى يوم واحد أربعة الاف مثقال (3) . وحدث نتيجة للمؤثرات العربية الإسلامية ايضا ، إختفاء الكثير من العادات الوثنية السيئة مثل : تقديم القرابين البشرية وواد الاطفال . وصار الناس الذين كانوا عراة تماما ولا يغتسلون ، يتأنقون بملابسهم من أجل الصلاة ، ويغتسلون يوميا لأن الشريعة الإسلامية تأمرهم بالطهارة وتعتبرها شرطا

---

(1) الاروانى ، المصدر السابق ، ورقة 14 .

(2) التمكنى، مخطوطة، أهمية التاريخ ، رقم 1430 تمبكتو : مركز أحمد بابا ورقة 5 .

\* الدوغا : معناها للمترجم أنظر : ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 444 .

(3) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 449 .

أساسيا لصحة أداء الشعائر الدينية مثل الصلاة والصوم وغيرها من العبادات .  
كما أصبح المسلمون السودانيون يهاون الوثنيين بملابسهم البيضاء النظيفة (3) .  
كما أن تحريم العقيدة الإسلامية لشرب الخمر وكافة المسكرات أثر في الاستقرار  
النفسي والصحي وساعد على إقبال الناس على أعمال الخير والكسب الحلال  
وامتهان المهن الشريفة . (4) . هذا وكان أهالي السودان الغربي يمارسون  
بعض العادات السيئة مثل : نثر التراب على رؤوسهم وجلووسهم على الركب  
حاسرين غير أن الاسلام خفف وهذب هذه الممارسات فأصبح السلام على  
الملك وتحيته تتم بالتصفيق .

ومن الوقائع التاريخية التي تؤكد تمسكهم بالقيم الإسلامية هي رفض  
السلطان منسا موسى تقبيل الأرض عندما دعى لمقابلة السلطان الناصر المملوكي  
في مصر ، أثناء رحلته الشهيرة الى الحج . وقد نقل ابن فضل الله العمري عن  
الأمير أبا العباس أحمد بن الجاكي ، الذي كان يشغل وظيفة مهنددار في بلاط  
المماليك آنذاك ، والذي أشرف على مراسم استقبال منسا موسى من طرف  
السلطان الناصر المملوكي مانصه : "... وحاولته أن يطلع للقلعة ويجتمع  
بالسلطان فأبى على وأمتنع وقال أنا جيت لاحتج لا لشيء آخر وما أريد أن  
أخلط حجى بغيره وشرع في الاحتجاج بهذا وأنا أفهم انه يرى الحضور نقصا  
عليه لما يضطر اليه من تقبيل الأرض أو اليد وبقيت أحاوله وهو يتعلل ويعتذر  
والمراسم السلطانية تتقاضى في احضاره فما زلت به حتى وافق فلما حضر الى  
نخضرة السلطان قلنا له قبل الأرض فتوقف وأبا اباء ظاهرا وقال كيف يجوز هذا

---

(3) نعيم قدامح ، المرجع السابق ، ص 173 .

(4) المرجع نفسه ، ص 173 .



فأسر اليه رجل عاقل كان معه كلاما لانعلمه فقال أنا أسجد لله الذى خلقنى وفطرنى ثم سجد وتقدم الى السلطان فقام له بعض قيام وأكرمه وأجلسه الى جانبه وحادثه حديثا طويلا ثم خرج السلطان موسى . " (1) .

ومن هنا عمل الإسلام على تهذيب العادات القائمة بالسودان الغربى وقضى على التقاليد الوثنية التى تنشأ مع تعاليمه . وتوطيد العقيدة الاسلامية ومفاهيمها انتشرت العلوم والمدنية الاسلامية ، وازداد اتصال هذه المناطق بأرقى الحضارات المعاصرة ، وهى الحضارة العربية الاسلامية بإنسانيتها .

ونتيجة للمستوى الأخلاقى الرفيع الذى وصل اليه اهالى المنطقة بعد إعتناقهم العقيدة الإسلامية فقد أثنى عليهم الحسن الوزان ووصفهم بقوله : " وهم أكثر تحضرا وذكاء واعتبارا من بين جميع السود لأنهم كانوا السابقين الى الإسلام . " (2) . وأشاد بهم توماس ارنولد بقوله : "... وهم من أعظم اجناس افريقيا رقا . " (3) . وقد علل ولوث بليدن ( N W.Blyde ) المسيحى الليبيرى أسباب قدرة العرب المسلمين على التأثير فى عادات وتقاليد أهالى المنطقة بقوله : " إن السرف فى نجاح المسلمين فى مهمتهم فى افريقيا السوداء ، أنهم احترموا العادات والتقاليد المحلية ولم يحتقروها (4) .

أما بالنسبة للفنون الشعبية فالموسيقى والغناء والرقص وشتى صنوف الطرب هى من الفنون التى بلغ فيها أهالى السودان الغربى ، وخاصة فى عهد مملكتى مالى وسنغاي الإسلاميتين ، درجة معتبرة فى الحذق والمهارة . وقد لاحظ

---

(1) العمرى ، المصدر نفسه ، ورقة 44 .

(2) الوزان 165/2 .

(3) توماس ارنولد ، المرجع السابق ، ص 356 .

4) W , Blyden:Chrisianity, Islam and the Negro-Race.(London.1881) PP.22-23.

المؤرخون والجغرافيون العرب ولع الافريقيين الشديد بمثل هذه الفنون . فقد وصفهم القلقشندى بأنهم بارعون فى الغناء والرقص والموسيقى (1) . وبترسىخ مفاهيم العقيدة الاسلامية أختفت بعض المظاهر الصاخبة وماتحويه من جلبه وضوضاء ، كانت تقتنر بالحفلات الوثنية ، ولم يعد هناك أى مدلول لتلك العبارة الشهيرة التى عرفت عن افريقيا الوثنية ، اذا غربت الشمس رقصت افريقيا .

ومن خلال إبراز هذه الشواهد التاريخية عن العادات والتقاليد فى السودان الغربى ابان خضوعها للتأثيرات العربية الإسلامية يتضح : أنه قد بدأ تفكك معظم العادات والتقاليد الوثنية التى كانت متبعة فى تلك المناطق ويتضح كذلك الامتزاج بين التقاليد العربية الإسلامية وبين التقاليد السودانية وتكونت بذلك تقاليد عربية إسلامية ، ذات أطر افريقية . ويرجع ذلك ، ولاشك ، الى ترسخ أقدام العقيدة الإسلامية وتعاليمها ومثلها ، وتخلى الوطنيين الأفارقة عن الكثير من الممارسات التى تتسم بالسحر والشعوذة وعبادة الاسلاف وأرواحهم . وقد زعزع الإسلام النظام القبلى الذى كان يقوم على العلاقات العشائرية والولاء للزعامات القبلية وأدى الحال الى أن تصبح الفكرة والقيم وليس الشخص محور التجمع العضوى للعشائر والمجتمعات ومكان التقائها ووحدها ، ولم يسع الاسلام الى هدم الأسس السابقة وتقويض القيم وجل العادات الافريقية القديمة ، بل عمل على أن تلائم الدين الجديد وتلتزم بما يشر به .

---

(1) القلقشندى 224/3 .

## 2- المرأة ونظام الأسرة

من المعروف أن الزواج فى المجتمعات الافريقية بالسودان الغربى ، قيل تعرضها للتأثيرات العربية الاسلامية كان محصورا داخل العشيرة حفاظا على تماسكهم . وكان الرجل فى تلك المناطق يسمى باسم أمه ، ثم باسم عائلة امه أو قبيلتها وكانت الأم هى المسيطرة على النظام العائلى (1) ، بحيث أصبحت القاعدة المتبعة هى الوراثة من ناحية الأمومة . وقد علق القلقشندى على هذا الموضوع بقوله : "... على قاعدة العجم فى تملك البنت وابن البنت " (2) .

وبتغلغل مؤثرات الحضارة العربية الاسلامية بالمنطقة بدأ أضمحل العادات الوثنية التى كانت سائدة فى النظام القبلى شيئا فشيئا . ومن هذه المظاهر أن كثيرا من الأهالى الذين اعتنقوا الإسلام قد تركوا أسماءهم السابقة واكتسبوا أسماء عربية وأصبح الفرد ينسب الى أبيه ويحمل أسم امه (3) ، وذلك حسب ماتقتضيه تعاليم العقيدة الاسلامية . غير أن المرأة ظلت تتمتع بمكانة مرموقة فى مملكة مالى على سبيل المثال حيث كانت الملكة الزوجة والملكة الأم ، أحيانا ، تشغلان مناصب هامة فى البلاط الملكى وتشارك فى مشاركة فعلية فى السلطة (4) .

ويقال إن الاسكيا محمد الكبير ، ملك مملكة سنغاي الإسلامية ، كان أول حاكم فى السودان الغربى أرغم النساء على إتباع قواعد الإسلام من ناحية الزى والإختلاط ، وكان أول من حكم بحرية ابن الرجل من أمته التى تصير بعد ذلك

---

(1) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 230 .

(2) القلقشندى 294/5 .

(3) نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص 94 .

(4) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 449 .

أم ولد وكان هذا الابن قبل ذلك يعتبر عبدا تبعا لأمه (1) . ولعل هذه الشواهد التاريخية توضح مدى حرص الملوك السودانيين المسلمين على التمسك بموروث وتقاليد العرب المسلمين . وقد أختلط التجار العرب ، وغيرهم من العناصر المسلمة ، التي وفدت الى السودان الغربى ، وعاشت فيه ، بأهالى المنطقة وتصاهروا معهم ، وقد أدى هذا التصاهر والتمازج بين الوافدين من المسلمين وبين الوطنيين الافارقة الى انتشار الثقافة العربية ورسوخ العقيدة الإسلامية فى السودان الغربى بصورة جماعية . كما وقع على عاتق المهجرين الجديد عبء توطيد دعائم المؤثرات العربية الإسلامية والدفاع عنها ، واليه يرجع الفضل فى تأسيس المؤسسات الإسلامية والدفاع عنها ، فى تلك البقاع . والجدير بالذكر أن تواصل انصهار العناصر العربية المسلمة الوافدة مع الوطنيين الأفارقة لم يقف تياره حتى بعد وقوع هذه المنطقة الافريقية فى براثن الاستعمار الاوروبى بل ظل الاسلام فى انتشار مستمر يكسب الى جانبه أنصار عديدين يفوق عددهم بكثير ماتم تنصيرهم بالرغم من الجهود المكثفة التى تبذلها المؤسسات التبشيرية المسيحية (2) .

ونظرا لأن الإسلام يرسخ القيم النبيلة التى تدعو الى المساواة بين البشر ، إذ لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، وبذلك زالت الفوارق اللونية والطبقية بين العرب وأهل السودان الغربى ، وتزوج الوافدون العرب من زنجيات من أهالى المنطقة ، وأنجبوا منهن ، فقد ذكر السعدى أن الفقيه محمد بغيغ هو الذى

---

(1) أحمد شلبى ، المرجع السابق ، ج 6 ، ص 266 .

(2) الشيخ الامين عوض الله ، المرجع السابق ، ص 181-182 .

كان يفصل بين المولدين والمسافرين (1) ، وذكر ابن بطوطه أن ابن الفقيه كان متزوجا من ابنة عم السلطان المالئ منسا سلیمان (2) . ونتيجة لهذا التآخى وصفهم توماس ارنولد بقوله : " أن المسلمين فى تلك البلاد لا يعرفون التعصب فى أى صورة من صورہ ، ولا يضمرون للمسيحية أى نوع من العداة " (3) . ويبدو التأثير العربى الإسلامى واضحا فى عادات الزواج ونظام الأسرة . والمعروف أن مجتمعات السودان الغربى كانت ، قبل تمثلها لمظاهر الحضارة العربية الإسلامية ، يسودها التفكك والانحلال . فكان الزواج بدون ضوابط ولا حدود ، وبالتالى كانت الروابط الأسرية واهية وضعيفة . ولكن ، وبتغلغل التأثير العربى الإسلامى ، تقيد المجتمع الأفريقى المسلم بضوابط الشرع الإسلامى ، وبالعادات والتقاليد التى وصلتهم مع الجماعات العربية الإسلامية ويؤكد ابن بطوطه ذلك عند وصفه لاحتفال السلطان بالعيدين بقوله : "... ويأتى دوغا الترجمان بنسائه الأربع وجواريه " (4) . وهذا يعتبر تغيرا فى نظام الأسرة والزواج ، وقد رفع الإسلام من مكانة المرأة وأحاط الأسرة السودانية بسياج من الحصانة ، وكفل لأبنائها التربية الصحيحة ، ووضع نظاما عادلا لتوزيع الثروة بين أفراد الأسرة جميعا اذا مات أحد أفرادها ، بعد أن كان النظام المحلى يخص ابن الزوجة الأولى بالتركة كلها . ولا شك فى أن البناء الأسرى فى مجتمعات السودان الغربى قد تأثر الى حد كبير بتعاليم الإسلام ومبادئه . وبالطبع لا يمكن

---

(1) السعدى ، المصدر السابق ، ص 118 .

(2) ابن بطوطه ، المصدر السابق ، ص 444 .

(3) توماس ارنولد ، المرجع السابق ، ص 140 .

(4) ابن بطوطه ، المصدر السابق ، ص 448 .



أن نتوقع أن القانون الإسلامى النموذجى هو الذى ساد ، لكن لاشك أن التغيير الذى حدث كان كبيرا ، والصراع ما بين القديم والجديد ظل مستمرا الى فترة غير قصيرة. وتختلف قوة كل من العاملين فى المدن عنها فى المجتمعات الزراعية والقرى بصفة خاصة. وفى هذه الاخيرة نلمس المحافظة على التقاليد القديمة والميل الى التغيير أقل منه فى المدن . ولعل نظم الوراثة ومكانة المرأة فى المجتمع ونظم الزواج ونظم البناء الاسرى عموما تعطى فكرة عن مدى سيادة الاسلام وتعاليمه وتأصل مفاهيم العقيدة الإسلامية فى المجتمع الافريقى .

### 3- الزى وتقاليده .

يعد الزى وتقاليده فى السودان الغربى من المظاهر الاجتماعية التى جاءت وليدة التأثيرات العربية الإسلامية خاصة التأثير العربى المغربى وقد أشار الى ذلك العمرى واصفا زى أهالى مالى بقوله : "... ولباسهم عمايم بحبك مثل العرب وقماشهم بياض من ثياب قطن يزرع عندهم وينسج فى نهاية الرقع واللطف يسمى الكميصيا ومنهم شبيه بزى المغاربة جباب ودراريع بلافريج ويلبس أبطالهم الفرسان أساور من ذهب ."(1) . كما يلبس الفقهاء منهم عمامة على نسق العمامة الشرقية مع ترك عذبة تتدلى على ظهره (2) . وفيما يتعلق بزى وحليه رجال الجيش فقد وصفهما ، أيضا العمرى بقوله : "... ويلبس أبطالهم الفرسان أساور من ذهب فمن زادت فروسيته لبس معها أطواقا من ذهب فان

---

(1) العمرى ، المصدر السابق ، ص 39 ؛ القلقشندي 299/5 . أما لفظ الكميصا الوارد فى النص فيبدو

انه محرف عن لفظ القميص العربى أنظر : الشيخ الامين عوض الله ، المرجع السابق ، ص 62 .

(2) ابراهيم على طرخان ، دولة مالى الإسلامية ، ص 164 .

زادت لبس معها خلاخل ذهب وكلما زادت فروسية الفارس منهم لبسه الملك  
سراويلا متسعا وكلما زادت فروسية البطل منهم يزيد فى كبر سراويله " (1) .  
ويضيف الى ذلك القلقشندى بقوله : " وأهل هذه المملكة يركبون السروج وهم  
فى غالب احوالهم فى الركوب كأنهم العرب . " (2) . ونتيجة للازدهار  
الاقتصادى الذى شهدته بلاد السودان الغربى وخاصة فى عهد مملكتى مالى  
وسنغاي الاسلاميتين ، فقد تأتى الأهالى فى ملابسهم وظهر لديهم الاهتمام  
بصناعة الملابس والأقمشة المحلية التى توفرت خاماتها المحلية بتوفر القطن ، فضلا  
عن استجلابهم الملابس الحريرية والقطنية المطرزة ذات الالوان الزاهية من  
الخارج (3) وخاصة من الشمال الافريقى .

ووصف الحسن الوزان أهالى منطقة السودان الغربى الذين زارهم وتعرف  
على أحوالهم بأنهم يرتدون لباسا حسنا ، ويتلثمون بلثام كبير من قطن أسود  
وأزرق يغطون به حتى رأسهم ، ولكن الأئمة والفقهاء يتلثمون بلثام أبيض (4) .  
ومن مظاهر تشبههم بالعرب المسلمين هو لبسهم للملابس البيضاء وخاصة فى  
المناسبات الدينية كعيدى الفطر والأضحى ، وأثناء خروجهم لصلاة الجمعة ،  
وقد شاهدتهم على هذه الأحوال ابن بطوطة أثناء زيارته لبلاد السودان الغربى  
وقال عنهم : "... وحضرت بمالى عيدى الأضحى والفطر ، فخرج الناس الى  
المصلى ، وهو قريب من قصر السلطان ، وعليهم الثياب البيض الحسان ،

---

(1) العمرى ، المصدر السابق ، ورقة 39 .

(2) القلقشندى 299/5 .

(3) أحمد فؤاد بليغ . " عبدالرحمن السعدى عصره وكتبه " ، المجلة التاريخية المصرية . القاهرة : 20

(1973م) ، ص 94 .

(4) الوزان 163/2 .

وركب السلطان وعلى رأسه الطيلسان . " (1) . ويصف ابن بطوطة ، أيضا ، ملك السودان أثناء جلوسه بالمشور وهو فى أبهى حلتة ، متشبهها فى ذلك بالخلفاء والسلاطين العرب المسلمين ، ويقول عن ذلك : "... ويخرج السلطان من باب فى ركن القصر ، وقوسه بيده ، وكنائته بين كتفيه . وعلى رأسه شاشية ذهب ، مشدودة بعصابة من ذهب ، لها أطراف مثل السكاكين رفاق ، طولها أزيد من شبر . وأكثر لباسه جبة حمراء موبرة من الثياب الرومية التى تسمى المطنفس . " (2) . ويصف ابن بطوطة حرص أهالى السودان الغربى على ضرورة الخروج الى الصلاة فى ملابس بيضاء فضفاضة ونظيفة بقوله : "... ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة، ولو لم يكن لأحدهم الا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة . " (3) ومن المعروف أن معظم قبائل السودان الغربى قبل خضوعها للمؤثرات العربية الإسلامية ، كانت تسير وأجسادها عارية وبعض تستر أجسادها بالجلود وغيرها وذلك وفقا للتقاليد الاجتماعية التى كانت سائدة ؛ لكن بعد أن اعتنقوا الاسلام بدأوا يتأنقون فى ملابسهم من أجل الصلاة ، وأصبحوا يباهون مواطنيهم الوثنيين بملابسهم البيضاء النظيفة (4)، وذلك كما سبقت الإشارة .

---

(1) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، صـ 447 .

(2) المصدر نفسه ، صـ 446 .

(3) المصدر نفسه ، صـ 450 .

(4) نعيم قداح ، المرجع السابق ، صـ 173 .

#### 4 - الشعائر والطقوس الدينية

كانت المعتقدات الوثنية سائدة في المجتمعات الأفريقية في السودان الغربى قبل قيام مملكتى مالى وسنغاي الاسلاميتين . غير أن معظم هذه العقائد والممارسات والطقوس الدينية وشعائرها أستمرت ردحا من الزمن بالرغم من بروز العديد من التأثيرات العربية الإسلامية ، ذلك لأن اعتناق الاسلام لم يبلغ كثيرا من تلك العادات والتقاليد بل مزج ، أحيانا ، مظاهر المجتمع الإسلامى بأنماط أفريقية . وقد كان لدى أهالى السودان الغربى عادات وشعائر وطقوس دينية متعددة ذات طابع وثنى منها احتفالات دينية مهية لاهتهم واسلافهم تقام سنويا وموسميا وفى المناسبات ، يشربون فيها الخمر ويرقصون ويتلون الأدعية ، ويقدمون الضحايا والقربان وتطول مدة هذه الاحتفالات أو تقصر حسب أهميتها ، فعند جنى المحاصيل يقيمون احتفالا لاله الحصاد ، وعند سقوط الأمطار يقيمون احتفالا لاله المطر وهكذا (1) ، وهناك احتفالات الزواج والولادة والختان وتلقين الأسرار والدفن والجنائز يدعون فيها أرواح أسلافهم تتركاهم وأتقاء لشهرهم (2) . وكانت لهم طقوس دينية يقومون بها عند اختلال ظواهر الطبيعة أو الكوارث والمحن ، وعند تناول الطعام يرمون الفتات على محراب الأسرة ويتلون بعض الأدعية ، وعند نحر الذبيحة يهدون بعضها لأرواح أسلافهم ، وارتكاب المحرمات كالزنا والحنث فى اليمين اعتبروه جرما عظيما يقتضى التطهر منه تقديم قربان وعند بعض القبائل يكون التطهر منه بالطرد من

---

(1) محمد عوض محمد ، المرجع السابق ، ص 97-98 .

(2) المرجع نفسه ، ص 97-98 .

القبيلة (1). واشتغل بعض السودانين بالسحر والكهانة للتنبؤ بما سيحدث ولدفع الكوارث والأخطار ومداواة المرضى وللحفاظ على القوى الحيوية (2). وكان لأهالى السودان الغربى نظم دينية دقيقة فهناك الكاهن الاكبر وهو الزعيم الروحى وغالبا الدنيوى أيضا للقبيلة فيقوم بتوجيه الحياة الدينية لها وهو الواسطة بين الأحياء وبين اسلافهم الموتى بل بينهم وبين الله ويمكنه التنبؤ بما سيحدث . وهناك فى القبيلة رجال يشتغلون بالسحر والكهانة ويقومون بتوجيه الحياة الروحية للناس وتقديم الضحايا والقرايين وعمل الاحجبة والتمائم وكانت لهم مكانة رفيعة . ويليهم شيوخ العشائر المختلفة ، وفوق هؤلاء جميعا واولئك ، أرواح اسلافهم إذ الموتى هم الرؤساء الفعليون للأسرة والقبيلة كلها ، وهم القوامون والمراقبون لسلوك الأحياء ولهم عليهم حق الثواب والعقاب ، ان تمسكوا بعادات القبيلة ونظمها أو تركوها (3) . غير أن انتشار الاسلام وتأثيره الاجتماعى قد هذب كثيرا من تلك الشعائر والطقوس الدينية الوثنية حتى أن بعضها الغى بالكامل . والبعض الآخر صبغ بصبغة اسلامية ويلاحظ أن العادات الخاصة باحتفالات الالهة والاسلاف قد الغيت ، إذ لامعبود سوى الله ، واستبدلوا هذه الاحتفالات بالاحتفال بعيدى الفطر والاضحى وغيرها من المناسبات الدينية كالمولد النبوى الشريف وليلة القدر وعاشوراء حيث وجدوا فيها خير بديل عما تركوه . وقد أبقى الاسلام على احتفالاتهم بالزواج والولادة والختان ، الا انه جردها من طابعها الوثنى شكلا ومضمونا ، ونبذ الإسلام

---

(1) هوبير ديشان ، المرجع السابق ، ص 64-86 .

(2) محمد عوض محمد ، المرجع السابق ، ص 97-98 .

(3) هوبير ديشان ، المرجع السابق ، ص 64-68 .



كذلك فكرة القربان وجعل من الاضاحى والصدقات خير بديل عنها (1). ومن طقوسهم الدينية توجههم الى ظواهر الطبيعة عند اختلالها ، فوجدوا فى شعائر الاسلام صلاة الاستسقاء عند تأخر هطول المطر وصلاة الكسوف والخسوف التى يتضرعون فيها الى الله حيث وجدوا فيها خير بديل عن طقوسهم السالفة ، كما وجدوا فى صلاة الاستخارة خير بديل عن الكهانة .

وحرمت العقيدة الاسلامية السحر فلجأوا الى كتابة تائم بآيات قرآنية . وأستبدل الإسلام بمذاهبهم المؤسسة على الفصول التقويم الهجرى ، وهو اثنا عشر شهرا هلاليا فى السنة الواحدة ، وذلك لإرتباطه بالعبادات التى يمارسها المسلمون . وكان لقبولهم التقويم الهجرى والتأريخ به أثر كبير فى قطع صلاتهم بعباداتهم الوثنية القديمة وتقوية الاسلام فى نفوسهم. وأصبح المسجد الجيد البناء النظيف بما فيه من آذان وصلاة مركزا للقرية بدلا من دارعبادة الأوثان أو اليويو : ( uYui ) ذات المنظر البشع وقد الغت عبادة الله الواحد القهار الكائن فى كل مكان كل مألن الأهالى عبادته من قبل (2) . ووجد أهالى السودان الغربى فى نظام الإسلام الدينى فأصبح ولى أمر المسلمين بديلا عن الكاهن الأعظم فى توجيه الحياة الدينية والدنيوية وعرفوا نظام قاضى القضاة أو شيخ الإسلام الذى يقيم الشرع . وأخذ الوزراء والأمراء والقضاة وأئمة المساجد مكان الكهنة والسحرة والأسلاف ومن المعروف أن الحياة الدينية فى السودان الغربى قد سيطر عليها المذهب المالكى ، كما سلف الإيضاح . أما بالنسبة

---

(1) شوقى الجمل ، المرجع السابق ، ص 159 .

(2) توماس ارنولد ، المرجع السابق ، ص 398 .

لإحتفالاتهم بالمناسبات الدينية والأعياد ، فإن الأثر العربى الإسلامى أوضح ما يكون فى ذلك ، حيث أعطوا إهتماما بالغاً لتلك المناسبات ، وصاروا يحيونها بتنظيم الإحتفالات الكبرى التى يشارك فيها الملوك وأفراد الأسر الحاكمة والنبيلة. وقد وصف ابن بطوطة هذه المظاهر وأثنى عليها (1) . كما وصف هذه الإحتفالات بأنها تقام بحضور الملك الى المصلى ، فتقام الصلاة والخطبة وبعدها يتغنى الشعراء بمدح الملك وبذكر غزواته وأفعاله ، وتغنى النساء والجوارى ويلعبون الألعاب الخفيفة منها اللعب بالسيوف وغيرها من الألعاب (2) . كما أكد أنهم فى ليلة العيد يطيلون السهر ويقضون الوقت فى الغناء والرقص والطرب والموسيقى ودقات الطبول (3) . وهكذا يتضح من خلال هذه الفقرة الأثر الهام الذى شهدته بلاد السودان الغربى فى مجال الشعائر والطقوس الدينية .

## 5- أداء فريضة الحج الى الأراضى المقدسة .

من المظاهر التى تؤكد تأثر بلاد السودان الغربى بالأنماط العربية الإسلامية هى خروجهم فى مواكب ضخمة لأداء فريضة الحج الى الأراضى المقدسة \* ، وكانت هذه المواكب تسلك طرقاً عديدة من أهمها طريق الدرب الصحراوى المعروف بطريق غات ، والذى يمر عند أهرام الجيزة بمصر (4) . ويبدو أن تفضيل

---

(1) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، صـ 447 .

(2) ابن بطوط ، المصدر السابق ، صـ 448 .

(3) المصدر نفسه ، صـ 447 .

\* للمزيد حول ظاهرة خروج سلاطين السودان الغربى فى مواكب سنوية الى الحج أنظر : عمر عبدالرازق

النقر ، المرجع السابق .

(4) حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية فى افريقيا ، صـ 223 .

شعوب السودان الغربى لمصر كطريق للحج راجعا الى الإزدهار الثقافى والحضارى لمصر آنذاك ، وقد كانت قوافل الحجيج تمر بمصر وتقيم فيها فترة من الزمن انتظارا لموسم الحج ، وتتنهز تلك الفرصة للمتاجرة بأسواق مصر المزدهرة، وللنهل من معين الثقافة العربية الإسلامية ، ومن هنا كانت تلك الاتصالات مدعاة لتعميق أواصر الصلات والعلاقات المختلفة بين مصر وأهالى تلك المنطقة.

والواقع أن الحج ظل يمثل أقوى الروابط وفرصة الالتقاء والتبادل الفكرى والثقافى والتجارى وفرصة للاحتكاك المباشر بين المسلمين والتعرف على أحوالهم المختلفة. وتتحدث المصادر التاريخية عن مواكب الحج الى الأراضى المقدسة ، وأشارت الى أنه ومنذ تغلغل الاسلام فى السودان الغربى حرص سلاطين الدويلات الإسلامية على تنظيم قوافل الحج السنوية الى الأراضى المقدسة (1) . ولاشك أن رحلات الحج هذه كانت بالغة الأثر فى نفوس أهالى المنطقة ، وكانت فرصة للالتقاء مع اخوانهم المسلمين فى الأمصار المختلفة ، وبذا تتأكد روح الأخوة الإسلامية التى يوجبها الإسلام . وكما يؤكد ترمنجهام أن شعورا بأن الإسلام ديانة الأفارقة جميعا كان يملك المسافرين من الأفارقة فى رحلة الحج (2) . كما يقول القلقشندى أن ملوك مالى ورعاياهم متمسكين بالإسلام محافظين على أداء فريضة الحج الى الأراضى المقدسة (3) .

---

(1) السعدى ، المصدر السابق ، ص7 ؛ كعت ، المصدر السابق ، ص16 ؛ المقرئى ، الذهب المسبوك ،

ص110 - ومايلها .

(2) شوقى الجمل ، المرجع السابق ، ص154 .

(3) القلقشندى 297/5 .

وقد كان أداء فريضة الحج بالنسبة لأهالي السودان الغربى مدعنة للإعتزاز  
والمفخرة ، وقد كان الفرد منهم يلقب عقب عودته من أداء هذه الشعيرة الدينية  
بالحاج وقد يكسبه هذا اللقب تجلة واحترام .

وقد عرف هذا النمط (مواكب الحج) منذ بداية دخول الإسلام الى المنطقة  
الا أن هذه المواكب ظهرت بوضوح منذ موكب السلطان منسا موسى الذى  
ضم من الحاشية الملكية والمواطنين أكثر من عشرة الاف شخص (1) . وبالرغم  
مما فى هذا العدد من مبالغة فإن مجيء ذلك الموكب الضخم أتاح للمناطق العربية  
التي اجتازها فرصة طيبة لمعرفة الكثير عن أحوال تلك البلاد ، وأتاح للسلطان  
منسا موسى ومرافقيه من جهة أخرى فرصة الإطلاع على الأحوال الحضارية ،  
والأحوال العامة ، التي كانت تعيشها المناطق العربية فى كنف ازدهار الحضارة  
العربية الإسلامية . وقد تركت هذه الرحلة المشهودة ذكرى عطرة فى نفوس  
أهالى المناطق التي أجتازها ذلك الركب ، لما شهدوه من مظاهر الثراء ، وضخامة  
عدد الحجيج المرافقين له . وكان لصرف منسا موسى وانفاقه لكميات كبيرة من  
الذهب فى تلك الرحلة أثر كبير فى ذيوع شهرة مملكة مالى الإسلامية ، حتى  
ظهرت فى الخرائط العالمية ، كما ظهرت فى هذه الخرائط أيضا صورة الملك  
منسا موسى ، الذى عرف بملك الذهب (2) .

وكان العمرى فى مخطوطته "مسالك الابصار" كثيرا ما يستمد معلوماته من  
الأمير أبى العباس أحمد بن الجاكي المهمندار ، الذى ندبه السلطان الناصر محمد

---

(1) السعدى ، المصدر السابق ، ص-7 .

(2) عرض الله ، المرجع السابق ، ص-201 .

للإشراف على ضيافة هذا الملك ، وقد أشار العمرى نقلا عن الأمير ابي العباس أن هذا الملك قد أظهر ثراء واسعا حيث قدم هدايا الى الخزانة السلطانية بقوله : "... ثم انه قدم للخزانة السلطانية جملا كثيرة من الذهب المجدنى الذى لم يصنع بعد" (1) . ولم يدع أميرا ولارب وظيفة الا وتفحه من هذا الذهب ، كما أفاض على الحجيج وأهل الحرم بمكة ، وأكرمه سلطان مصر ، وأرسل اليه الخلع ووفر له جميع وسائل الراحة (2) .

ورغم أن مواكب الحج أستمرت بعد ذلك الى الأراضى المقدسة ، الا أن أهمها كان موكب الاسكيا محمد الكبير ، الذى خرج حاجا الى بيت الله الحرام عام 902هـ/1497م (3) . ولم يكن موكبه يقل عن موكب منسا موسى المشار اليه . وأختلفت الروايات حول اعداد المرافقين فى هذه الرحلة فقد ذكر محمود كعت ، الذى كان مرافقا للاسكيا فى هذه الرحلة ، أن عدد العبيد والخدم قد بلغ ثمانمائة ، وتصدق الاسكيا على فقراء الحرمين بمائة الف دينار ذهبا ، وأشتري بيوتا وجنانا حبسها على الفقراء والعلماء المساكين (4) .

بينما ذكر السعدى أن عدد المرافقين كان الف وخمسمائة (5) ، وبلغت كمية الذهب التى أنفقها ثلاثمائة الف مثقال من الذهب (6) . وقد مر هذا الموكب الحاشد بمصر وقد أشار الى ذلك محمد الصغير الوفرائى بقوله : "... وكان الحاج

---

(1) العمرى ، المصدر السابق ، ص 44 .

(2) حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية فى افريقيا ، ص 224 .

(3) السعدى ، المصدر السابق ، ص 72 .

(4) كعت ، المصدر السابق ، ص 16 .

(5) السعدى ، المصدر السابق ، ص 73 .

(6) المصدر نفسه ، ص 73 .



المذكور رحل فى أوائل المائة التاسعة الى مصر والحجاز بقصد حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام " (1) ولقى الاسكيا محمد الكبير اعلام الاسلام بمصر والحجاز ، حيث التقى بالسيوطى واستفتاه فى بعض المسائل الدينية (2) . كما أستن الاسكيا محمد الكبير تقليدا صار لزاما على من خلفه وهى اعطاء مواكب الحج أهمية فى مراسم البلاط الملكى ، فصار وفقا لذلك الاساكى يخرجون لملاقاة مواكب الحجيج القادمة من الاراضى المقدسة ويقدموا لهم الهدايا ، ويتلقوا منهم البركات والدعوات ، وقد وقع ذلك بالتحديد فى عهد الاسكيا داؤود وروى محمود كعت ذلك (3) . وعليه يمكن الاشارة الى أن التأثير العربى الإسلامى فى المجالين الثقافى والاجتماعى قد بلغ ذروته فى السودان الغربى ما بين القرنين الرابع والسادس عشر الميلاديين فقد أدى تعدد روافد هذا التأثير ووسائل انتشاره الى ازدهار وأثراء الحياة الثقافية فى تلك البقاع حيث برزت مراكز ثقافية هامة منها تمبكتو وجنى ونيانى التى أقامت صلات وثيقة بأهم المراكز الثقافية فى الشمال الافريقى ومصر .

وساعد كل ذلك على إقبال أهل السودان الغربى طواعية على الانخراط فى المؤسسات التعليمية التى انتشرت فى ظل مملكتى مالى وسنغاي الاسلاميتين والتى ساهمت فى نشر اللغة العربية والإسلام وترسيخه فى تلك المنطقة . أما اجتماعيا، فإن لإنصهار معظم سكان السودان الغربى فى بوتقة الحضارة العربية

---

(1) الوراقنى ، المصدر السابق ، صـ 89 .

(2) السعدى ، المصدر السابق ، صـ 73 .

(3) كعت ، المصدر السابق ، صـ 111 .

الإسلامية آثار إيجابية فقد تلاشت معظم العادات الموروثة المخافية لروح الإسلام كالسحر والشعوذة وعبادة الأسلاف والإنتساب عن طريق الأمومة وسيادة المرأة ونتيجة للتأثير العربى الإسلامى اكتسب أهالى السودان الغربى الإنتساب الى آبائهم دون أمهاتهم ، مع محافظتهم على المكانة السامية التى كفلها الإسلام للمرأة ، وكذلك ألزموا بأداء صلواتهم فى مواعيدها وتمسكوا بحفظ القرآن الكريم وبمراعاة شعائره الدينية . وكان النمط العربى المغربى قد ضرب بجذور عميقة فى السودان الغربى ، حيث تأثر به أهالى السودان الغربى ، فى حياتهم الثقافية والاجتماعية .

## خاتمة

لعب التأثير العربى الإسلامى فى السودان الغربى فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين أدوارا حاسمة فى تاريخ شعوب تلك المنطقة، ولم يتوقف هذا التأثير حتى يومنا هذا بل أصبح بوتقة أنصهرت فيه الثقافة العربية الإسلامية الوافدة ، فى نوع من التلاقح والمعيشة السلمية ، مع الثقافات المحلية الأفريقية الأمر الذى اذى الى غلبة الطابع العربى الإسلامى فى المنطقة ويلاحظ المتتبع لحركة التاريخ ان الإتصالات والتمازج والإنصهار العربى الأفريقى قد توجت خلال الفترة المؤرخ لها بقيام مملكتى مالى وسنغاي الإسلاميتين بدور فعال على مدى ثلاثة قرون فى حمل مشعل الحضارة العربية الإسلامية فى السودان الغربى .

وإذا كانت الثقافة العربية الإسلامية تسود حاليا فى ربوع تلك المنطقة المعروفة جغرافيا اليوم بإسم (غرب أفريقيا )، وإذا كانت أعداد كبيرة من الوطنيين الأفارقة مازالت تدخل أفواجا فى الإسلام ، رغم محاولات التنصير الكنسية والإستيغاب الثقافى من جانب الغرب الصليبي ، فإن الفضل الأول لهذا التفاعل العميق مع الإسلام وحضارته الإنسانية ، إنما يرجع الى ذلك التأثير والتأثر المتبادلين بين العرب وأهالى السودان الغربى قديما ، لاسيما خلال القرنين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين .ومساهمة فى وضع العلاقات العربية الأفريقية فى إطارها الصحيح وتنقيتها من بعض ممالق بها من تشويهات وإدعاءات وإفتراءات الأعداء ، فإن هذه الدراسة حرصت على أستقاء جُل معلوماتها من أمهات المصادر الأولية والمراجع الهامة التى كشفت بجلاء ووضوح ذلك الدور البارز الذى تركه التأثير العربى الإسلامى فى شتى أوجه الحياة السائدة ، آنذاك

فى السودان الغربى.وبعد تتبع الجوانب المختلفة لهذا التأثير وتحليلها ، توصلت هذه الدراسة الى النتائج التالية :-

أولاً:- ترجع علاقة العرب بمنطقة السودان الغربى الى ما قبل الإسلام. فقد جذبت هذه المنطقة التى تتمتع بثروات طبيعية ضخمة وبمعدن الذهب بمجموعات عربية من التجار والبدو ، منذ وقت مبكر . فتسربت تلك المجموعات من الشمال الأفريقى ، عبر الصحراء الكبرى التى لم تكن عائقاً لهم ، فى بطء ويسر داما قرونا حتى إختلطت بالوطنيين الأفارقة على المستوى العرقى . غير أن دائرة هذا الإختلاط ظلت محدودة وبطيئة ولم تتسع رقعتها الا بعد ان توطدت العقيدة الإسلامية فى الشمال الأفريقى بمجىء القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى ، وذلك لأن الإسلام أعطى المهاجرين العرب السند الروحى والمادى فتدفقوا فى أعداد كبيرة حتى تخطوا الجنوب الموريتانى الحالى ووقفوا عند أبواب مراكز السودان الغربى . وكان لإنتشار الإسلام وحركة التعريب فى موريتانيا وفى قيام مملكة المثلثين الصنهاجية دورا حاسما فى نقل المؤثرات العربية الإسلامية الى تلك البقاع .

ثانيا :- لقد كانت قبائل صنهاجة القاطنة فى الشمال الأفريقى أول العناصر العربية التى توغلت وتأقلمت فى السودان الغربى منذ أمد بعيد وأصبحت جزءا من حضارة المنطقة وتراثها والىها يرجع الفضل فى تأسيس العديد من الممالك الهامة التى شهدتها تلك المنطقة ، ومنها ممالك غانة ومالى وسنغاي . وبإعتناق الصنهاجيين للعقيدة الإسلامية ، أصبحوا روادا لنشر الإسلام والثقافة العربية فى أرجاء السودان الغربى .

والجدير بالذكر أن هناك بعض الرحالة والمؤرخين ، عربا وفرنجة ، ومسلمين ومسيحيين يحدثونا عن أن العرب لم ينشروا الإسلام فى السودان الغربى ، كما هو الحال فى القرن الأفريقى وسودان وادى النيل ، وإنما يعود

الفضل فى إنتشاره الى مايسمى "بالبربر" الذين رسخوا التأثير المغربى فى تلك المنطقة . فقد نسى هؤلاء وأولئك أو تناسوا أن أصالة عروبة سكان الشمال الأفريقى ، ومن بينهم قبائل صنهاجة ، عريقة ولاجدال فيها . فمنذ إكمال حركة الفتوحات الإسلامية التى نشرت الإسلام ولغة القرآن الكريم والتى أكسبت الوطن العربى حدوده الحالية ، توسع مفهوم العروبة ، وبالتالى أصبح سكان الشمال الأفريقى عربا بالمولد وعربا بالثقافة والحضارة وعربا بالوجدان ، فالعروبة ، ليست عنصرية وغير مرتبطة بجنس ولا لون ، وإنما هى عروبة اللسان والإلتواء والأمانى والتطلعات المشتركة .

ثالثا :- لقد أمتد التأثير العربى الإسلامى فى السودان الغربى فى الفترة التى سبقت جهاد المرابطين الى الطبقات الحاكمة والمجموعات الأفرريقية الأخرى التى شاركت السكن وخالطتهم وصاهرتهم . ولكن ليس هناك ما يؤكد أن بعض الأسر السودانية الحاكمة أعتنقت الإسلام قبل القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى وعملت على نشره بين الرعية . وربما يعود السبب فى ذلك ، الى أن الرواد الأوائل من المسلمين كان معظمهم من التجار والبدو ، وهم ممن تنقصهم المعرفة الدقيقة بالفقه الإسلامى ، ولذا ظلت جهودهم محدودة .

يبد أن التأثير العربى الإسلامى قطع خطوات واسعة بإعلان جهاد المرابطين وقيام دولتهم التى أسقطت مملكة غانة الوثنية عام ( 469هـ / 1076م ) والتى أعطت الإسلام سندا سياسيا وروحيا فتح الباب على مصراعيه لنشره على أسس صحيحة فى ربوع البلاد ، الأمر الذى مهد الطريق أمام المرحلة التالية التى شهدت إنتقال الزعامة السياسية والدينية الى الوطنيين الأفارقة الذين أسسوا مملكتى مالى وسنغاي الإسلاميتين على التوالى .

رابعا :- أثبتت هذه الدراسة أن التأثير العربى الإسلامى كان له دور إيجابى فى المجال السياسى فى السودان الغربى . فقد أدى إعتناق عدد كبير من شعوب هذه



المنطقة للإسلام وتمثلهم للثقافة العربية الإسلامية الى خلق نوع من التماسك والترابط بينهم والى وضع المقومات الأساسية لوحدة وطنية وسياسية أضعفت القبلية ونقلت المجتمعات المفككة الى مجتمع الدولة المركزية . وما تأسيس مملكتى مالى وسنغاي الإسلاميتين اللتين كانتا إمتدادا لتكوينات سياسية قديمة ، بصورتها الجديدة ، الا تعبيراً عن غلبة المؤثرات العربية الإسلامية على تلك المنطقة .

خامساً :- لقد حرصت السلطات الحاكمة فى السودان الغربى على الإتصال بالأنظمة الإسلامية فى المجتمعات المعاصرة لها والتشبه بها فى نظم الحكم والإدارة والقضاء والحرية . وظل نظام الحكم والإدارة خلال القرون الثلاثة مستمداً من الشريعة الإسلامية . وكان متأثراً فى خطاه ، فى الغالب الأعم ، بما هو متبع فى المشرق العربى ، نتيجة للمؤثرات التى نقلها كل من منسا موسى والأسكيا محمد الكبير بعد أدائهما لفريضة الحج .

وأفادت المصادر التاريخية ان نظام الشورى كان سائداً فى كل هياكل الحكم والإدارة فى مملكتى مالى وسنغاي الإسلاميتين وأن العدالة والأمن مستتبان . كما أستخدم السلاطين مجالس الشورى فى معالجة شئون الدولة وفى النظر فى المظالم . وكذلك كان للعلماء فى أيام الاسكيا محمد الكبير دور فعال فى سياسة الدولة وفى مجلس الحرب الذى يرأسه الاسكيا شخصياً .

أما فى المجال الحربى ، فقد التزمت الدولة ، الى حد كبير ، بالتعاليم الإسلامية التى وضعت ضوابطاً للسلم والحرب والتى دعت الى الدفاع عن الدين والدولة ، حينما يعتدى عليهما . كما أخذ سلاطين السودان الغربى عن الحضارة العربية الإسلامية نظام التجنيد النظامى والتعبئة وإرسال السرايا الخفيفة ومحاصرة المدن وإرسال العيون لإستطلاع أخبار العدو .

ومن مظاهر التأثير العربى الإسلامى ، أن ملوك السودان الغربى وسلاطينهم ، قاموا بتسجيل سيرتهم وأعمالهم وجهادهم فى سبيل نصرة

الإسلام، إساءة بما كان يفعله رصفائهم فى المجتمعات العربية الإسلامية المعاصرة لهم .

سادسا :- أضح - كذلك - ان المجتمعات الأفريقية فى السودان الغربى ، كما هو الحال فى المناطق الأفريقية الأخرى ، تعطى وزنا كبيرا لظاهرة الإنتساب الى أصول عربية . وكان ملوكهم وسلاطينهم يحرصون على الإنتساب لنسب عربى شريف لتعزيز مكانتهم فى أعين مواطنيهم . فعلى سبيل المثال لا الحصر ، فان ملوك مالى يدعون إنحدارهم من أصول يمنية من أسرة ( ذا اليمن اوضياء اليمن). كما ان سنى على ( 1464م - 1492م ) مؤسس دولة سنغاي ينتسب الى أسرة ضياء أو ديا الطرابلسية ، وكذلك يرجح إنتساب الأسكيا محمد الكبير ( 1452 - 1528م ) الى أسرة صنهاجية وفدت من الجنوب الموريتانى . ولعل تكرار ظاهرة الإنتساب العربى فى المجتمعات الأفريقية مرتبطة بتواتر الروايات الشفاهية التى تؤرخ لنشأة تلك الممالك . ولايستبعد صحة هذه الروايات ، وذلك لأن "الرجل الغريب" عادة مايكون عربيا مسلما يحظى باحترام الزعيم الوطنى الذى يزوجه إبنته ، ثم يؤول الملك الى أبناء هذا الغريب حسب النظام (الأمومى) السائد فى المجتمعات الأفريقية ، قبل تمثلها للتعالم الإسلامية . وقد أستفاد العرب الى حد بعيد من نظام الوراثة عن طريق الأنثى فى الوصول الى المراكز السياسية والإدارية الهامة .

سابعا :- كشفت الدراسة ان التجارة كانت العمود الفقرى فى نقل التأثير العربى الإسلامى للسودان فقد كان المركز السياسى يتبع ، دائما ، مركز الثقل الإقتصادى ، وذلك لأن السيطرة على التجارة الداخلية والخارجية كانت من المقومات الرئيسية المساعدة فى توطيد دعائم هذه الممالك .

وكانت طرق القوافل التجارية بين شمال القارة الأفريقية وغربها تحت سيطرة عربية . كما احتكر العرب الوساطة التجارية بين سواحل البحر الأبيض المتوسط

والسودان الغربى . وكذلك أصبحت المراكز التجارية الواقعة على جانبى الصحراء الكبرى مراكزا لنشاط الجاليات العربية ومنها الجالية الغدامسية والجالية التواتية . وأشتهرت مراكز غدامس وتوات وتغازا فى الجانب الشمالى للصحراء الكبرى بينما إزدهرت ولاتة وتمبكتو وتادمكة فى جانبها الجنوبى .

وتتميزت هذه المراكز بطابعها العربى الإسلامى ، حيث قسمت الى أسواق ، يختص كل سوق بعرض نوع معين من السلع كما أقيمت أسواق تجارية فى أيام محددة من السنة ، تقليدا لما كان سائدا فى أسواق الوطن العربى .

ثامنا :- ويتبين من هذه الدراسة أن منطقة السودان الغربى كانت عامرة بمناجم الذهب والملح وبمواردها الزراعية والحيوانية . وقد جذبت هذه الثروة الضخمة الرحالة والتجار والهجرات العربية لاسيما بعد رحلة الحج الهامة التى قام بها منسا موسى والتى أنفق خلالها ثروة طائلة من الذهب . وتجلى التأثير العربى الإسلامى فى المعاملات التجارية ، حيث حلت المبادلة محل المقايضة المعروفة باسم التجارة الصامتة (Silent Trade) . كما ظهر فى التعامل التجارى أنواع من العملات الذهبية والفضية والنحاسية ، وكذلك استخدم الودع والمنسوجات القطنية فى المجال نفسه . وإلى جانب ذلك ، انتقلت المصطلحات العربية المتعلقة بالمقاييس والمكاييل والأوزان بأسمائها العربية الى اللغات الأفريقية المحلية وبرع العرب المسلمون الذين عاشوا فى تلك المناطق فى تنظيم مايمكن تسميته بالوكالات التجارية وتحديد مواعيد انطلاق القوافل التجارية ، فضلا عن اختيار البضائع الأكثر ربحا ورواجا .

تاسعا :- أفادت الدراسة أن الطابع الثقافى الذى ساد فى السودان الغربى كان مغربى السمات . فكانت المدارس ومراحلها ومناهجها ذات طابع مغربى ، بدرجة كبيرة . وقد تأثر أهالى السودان الغربى بالمذهب المالكى ، المعروف بإنتشاره الواسع فى منطقة الشمال الإفريقى ، وخاصة منذ أن عمل المرابطون فى

القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى على نشره بالمنطقة . كما كان معظم علماء المغرب الذين تقاطروا على تلك المنطقة يدينون بالمشهد المالكى ، فالمغرب العربى بجانب إسهامه فى نشر العقيدة الإسلامية والمذهب المالئ ترك أثرا واضحا فى تجويد القرآن الكريم وهندسة الخط واعجام الحروف وترتيبها ، وظهر ذلك واضحا فى الكتابات الموجودة على جدران المساجد . هذا ، وتركت اللغة العربية أثارا واضحة فى بعض اللغات المحلية السودانية ، التى صارت تكتب بالحرف العربى ، وظل الأمر على ذلك حتى عمل الأوربيون على كتابتها بالحرف اللاتينى ، وذلك عقب موجة الاستعمار الأوربى الحديث . كما استخدمت العديد من الكلمات العربية فى بلاد السودان الغربى فى الحياة الدينية والثقافية والعلمية وفى مجال القضاء والمكاتب الرسمية وفى أسماء المدن والأعلام . ونتيجة للتأثير العربى الإسلامى فى السودان الغربى فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين ، قامت مراكز ثقافية بارزة مثل : تمبكتو وجنى ونيانى التى صارت مدارسها وجامعاتها منارات للعلم توافد عليها الطلاب من أرجاء بلاد السودان الغربى والشمال الأفريقى والأندلس ، خاصة بعد سقوط غرناطة بيد الفرنجة 1492م . فصارت هذه المراكز الثقافية مراكز إشعاع ثقافى وعلمى وأحتضنت العديد من العلماء الوافدين من المنطقة العربية والأندلس والسودان الغربى نفسه ، وقد أثرى هؤلاء العلماء الحياة العلمية بمؤلفاتهم وإنتاجهم العلمى .

عاشرا :- لاحظت الدراسة أن التأثير العربى الإسلامى قد أمتد إلى الفن المعمارى فى السودان الغربى . وقد خلق هذا التأثير مزيجا يجمع بين التراث المحلى والتراث العربى الإسلامى الوافد . وتجلى ذلك الفن المعمارى فى تخطيط المدن وبناء المدارس والمساجد والمنازل . وكان إبراهيم الساحلى الذى أدخل إلى المنطقة نظام البناء بالباليستا ، قد شيد قصرا للسلطان منسا موسى وصفه كل من ابن بطوطة وابن خلدون كما بنى مسجدا يجاور من الطوب المحروق وعرفهم



بنظام الاسقف المسطحة . كما شارك الساحلى مع عبدا لله الكومى الغدامسى فى بناء مسجد سنكرى الشهير الذى شيدها على الطراز المغربى - الاندلسى . ولم يقتصر التأثير العمرانى العربى الإسلامى على المساجد والقصور الملكية ، بل امتد الى المتاجر ، حيث قام التجار ببناء حوانيتهم على الطريقة المغربية ، حيث بنوا مخازن البضاعة فى أسفل دور السكن ، وقلدهم الأهالى فى ذلك .

**حادى عشر :-** أثبتت الدراسة أن التأثير العربى الإسلامى قد ساعد فى التخفيف من غلواء التقاليد الوثنية التى كانت سائدة فى المجتمعات الافريقية بالسودان الغربى . فقد تخلى الأهالى عن الكثير من العادات المجافية لروح العقيدة الإسلامية كتمارسة السحر والشعوذة وعبادة الأسلاف والعرى والمبالغة فى تعدد الزوجات والإنتساب الى أمهاتهم دون آبائهم . وأصبحت عاداتهم وتقاليدهم سواء فى الملبس أو المسكن أو المأكل مشابهة الى حد كبير للنمط المغربى . وكذلك ترسخت فى نفوسهم الإلتزام بأداء الشعائر الدينية مثل : حفظ القرآن الكريم وتلاوته ومحافظتهم على الصلاة وأدائها فى جماعات وضرب أولادهم اذا قصرُوا فى ادائها . كما سجل الرحالة والجغرافيون الذين زاروا المنطقة ، خلال فترة الدراسة ، حرص أهالى السودان الغربى على ممارسة بعض العادات الإسلامية الصحيحة مثل : عدم النواح فى المآتم وإقامة ختمات القرآن الكريم على أرواح موتاهم وعدم مطاردة الغريم اذا دخل المسجد أو دار الخطيب ، وعدم الظلم فهم أبعد الناس عنه وملوكهم لايسامحون أبدا من ارتكب ظلما وأداء فريضة الحج الى الأراضى المقدسة .

واخيراً: أتطلع أن تكون هذه الدراسة خطوة على الطريق الطويل من أجل تأكيد الهوية العربية الإسلامية لهذه المنطقة، التى كانت -وباستمرار- امتداد ثقافى وحضارى ودينى وعرقى للامة العربية الإسلامية.

والى الامام..



## المصادر والمراجع

### أولا : المصادر

#### أ) المصادر المخطوطة

- 1- الأروانى ، أحمد بابير . مخطوطة ، "السعادة الأبدية فى التعريف بعلماء تمبكتو البهية" ، رقم (16)، مالى ، مركز أحمد بابا التمبكتى.
- 2- الأروانى ، محمد محمود بن الشيخ سيدى بيكر ابن القاضى سيدى أحمد . مخطوطة ، "الترجمان فى تاريخ الصحراء وبلاد السودان وبلد تنبكت وشنجيط وأروان ونبذة من تاريخ الزمان فى جميع البلدان " ، رقم (760) ، تمبكتو - مالى : مركز أحمد بابا التمبكتى.
- 3- التمبكتى ، أحمد بابا ، "معراج الصعود الى نيل مجلوب السود" ، مخطوطة ، المعهد الموريتانى للبحث العلمى ، نواكشوط - موريتانيا.
- 4- التمبكتى ، أحمد بلعراف . مخطوطة ، "أهمية التاريخ" ، رقم (1430) تمبكتو: مركز أحمد بابا التمبكتى.
- 5- العمرى ، ابن فضل الله . مخطوطة ، "مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار" ، فرانكفورت : معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية ، مج (4) ، 1988م.

## ب) المصادر المطبوعة

- 1 - القرآن الكريم
- 2 - ابن أبى زرع . الانيس المطرب برمض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس . ( الرباط : 1973 م ) .
- 3 - ابن الاثير . الكامل فى تاريخ ، راجعة مصححه : محمد يوسف الدقاق (بيروت : دار الكتاب العلمية ) ، ج 8 .
- 4 - ابن بطوطه . تحفة النظار فى غرائب الامطار وعجائب الاسفار . ( بيروت : دار الكتاب اللبنانى ، د - ت ) .
- 5 - ابن حوقل . صورة الارض . ( بيروت : دار مكتبة الحياة ، 1979 م ) .
- 6 - ابن خلدون . التعرف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا . تحقيق : محمد بن تاويت الطنجى . (القاهرة: نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1951م).
- 7 - ابن خلدون . العبروديان المبتدا والخبر فى اخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من دوى السلطان الاكبر . ( بيروت : مؤسسة عبدالكريم للطباعة والنشر ، 1979 م ) ، ج 6 ، 7 .
- 8 - ابن عبدالحكيم . فتوح مصر واخبارها ( بغداد : مكتبة المثنى ، د - ت ) .
- 9 - ابن فودى . انفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكروم . ( القاهرة : دار مطابع الشعب ، 1383 هـ/1964 م ) .
- 10 - ابوالفداء . تقويم البلدان . ( باريس دار الطباعة السلطانية ، 1850 م ) .
- 11 - الادريسى . نزهة المشتاق فى اختراق الافاق . ( القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، د - ت ) .
- 12 - الاصطخرى . المسالك والممالك . ( القاهرة : مطبعة الحسينى ، 1961 م ) .

- 13- البرتلى. فتح الشكور فى معرفة اعيان علماء التكرور ، تحقيق : محمد ابراهيم الكتانى ومحمد حجي.(بيروت:دار العرب للاسلامي ، 1981م).
- 14- البكرى . المغرب فى اخبار افريقيا والمغرب وهو جزء من موسوعة المسالك والممالك. (الجزائر : المطبعة الحكومية ، 1858 م) .
- 15- التلمسانى . تقم الطيب فى اغصان الاندلس الطيب، تحقيق : أحسان عباس. ( بيروت دار صادر ، 1968م ) ، ج 5 .
- 16- التمبكتلى . نيل الابتهاج يتطير السياج . أشرف وتقديم عبدالحميد الهرامة. ( طرابلس : كلية الدعوة الاسلامية ، 1989م ) .
- 17- الحموى . معجم اليلدان . ( بيروت : دار صادر ، د - ت ) ، ج 8 .
- 18- السعدى . تاريخ السودان . ( انجى فرنسا : طبعة هوداس ، 1898م ) .
- 19- السلاوى الناصرى . الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقص، تحقيق وتعليق: محمد الناصرى وجعفر الناصرى . ( الدار البيضاء : دار الكتاب ، 1955م ) .
- 20- الغرناطى . تحفة الالباب . ( نشر الجمعية الاسيوية 1950م ) .
- 21- الفشتالى . مناهل الصفا فى مآثر موالينا الشرفاء، دراسة وتحقيق : عبدالكريم كريم . (الرباط : مطبوعات وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية والثقافية ، 1972م ) .
- 22- القزوينى . أثار البلاد واخبار العباد ( بيروت : دار صادر ، د - ت ) .
- 23- القلقشتدى . صبح الاعشى فى صناعة الانشاء . ( القاهرة : المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، 1983م ) ، ج 5 ، 8 .
- 24- كعت . تاريخ الفتاش فى اخبار البلدان والجيش واکابر الناس . ( باريس : نشر هو داس ، 1913 م ) .

- 25- مجهول . الاستبصار فى عجائب الامصار نشر وتعليق : سعد زغلول عبد الحميد . ( الدار البيضاء : دار النشر المغربية ، 1985م ) .
- 26- مجهول . الحلل الموسية فى ذكر الاخبار المراكشية ، تحقيق : سهيل زكار وعبدالقادر زمامة . ( الدار البيضاء : دار الرشاد الحديثة ) .
- 27- المقريزى . الذهب المسيوك فى ذكر من حجج من الخلفاء والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال . ( القاهرة : مكتبة الخانجي ، 1955م ) .
- 28- المقريزى . المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقريزية ، ط 2 . ( القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، 1987م ) ، ج 2 .
- 29- الوزان . وصف افريقيا ، ط 2 ، ترجمة: محمد صبحى ومحمد الاخضر . ( بيروت : دار المغرب الاسلامي ، للتأليف والترجمة والنشر ) ، ج 2 .
- 30- الوفرائى . نزهة الهادى فى اخبار ملوك القرن الحادى ، ط 2 . ( الرباط : مكتبة الطالب ، 1988م ) .
- 31- اليعقوبى . تاريخ اليعقوبى . ( بيروت دار صادر ، د - ت ) ، مج 1 .

## ثانيا : المراجع

- 1- أبوبكر ، على . الثقافة العربية فى نيجريا ، 1950 - 1960م ، عام الإستقلال . (بيروت : مؤسسة عبدالحفيظ البصاط ، 1962م ) .
- 2- أرنولد ، توماس . الدعوة الى الامام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون . (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1970م ) .
- 3- أمين ، محمد محمد . " تطور العلاقات العربية الافريقية فى العصور الوسطى " محمود خيرى عيسى ( المحرر ) ، العلاقات العربية الافريقية ، دراسة تحليلية فى ابعادها المختلفة ، ( القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، 1978م ) .
- 4- أيوب ، محمد سليمان . " جزمة فى عصر ازدهارها من 100م الى 450م " ليبل فى التاريخ . ( بنغازى . كلية الاداب جامعة بنغازى 1968م ) .
- 5- بوفيل . تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، ترجمة : الهادى ابولقمة ومحمد عزيز . ( بنغازى : منشورات جامعة قاريونس ، 1988م ) .
- 6- الجمل ، شوقى . " دور العرب الحضارى فى افريقيا " ، رؤوف عباس أحمد ( المحرر ) ، العرب فى افريقيا : الجذور التاريخية والواقع المعاصر ، ( القاهرة : دار الثقافة العربية ، 1407هـ 1987م ) .
- 7- الجيدى ، عمر . محاضرات فى تاريخ المذهب المالكى فى المغرب الاسلامى : ( الدار البيضاء : منشورات دار عكاظ ، 1987م ) .
- 8- الجيلالى ، عبدالرحمن محمد . تاريخ الجزائر . ( بيروت : 1965م ) .
- 9- حركات، ابراهيم. المغرب عبر التاريخ . ( الدار البيضاء : دار الرشاد الحديثة ، 1984م ) ، ج2.



- 10- حسن ، حسن ابراهيم . انتشار الاسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى . ( القاهرة : معهد البحوث والدراسات الافريقية ، 1957م ) .
- 11- حسن ، حسن ابراهيم . انتشار الاسلام فى القارة الافريقية ، ط3 . ( القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1957م ) .
- 12- حسن ، يوسف فضل . " الجذور التاريخية للعلاقات العربية الافريقية " ( بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1984م ) .
- 13- حسن ، يوسف فضل . انتشار الاسلام فى افريقيا . ( الخرطوم : مطبعة جامعة القاهرة ودار جامعة الخرطوم للنشر ، 1979م ) .
- 14- حسين ، أحمد الياس . " دور الفقهاء الاباضية فى اسلام مملكة مالى قبيل القرن الثالث عشر الميلادى " ندوة العلماء الافارقة ومساهماتهم فى الحضارة العربية الاسلامية . ( الخرطوم 1983م ) .
- 15- حسين ، احمد الياس " سلع التجارة الصحراوية " ، الصحراء الكبرى ، ترجمة ، عماد غانم ( طرابلس : منشورات مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية ، سلسلة الدراسات المترجمة ، 1979م ) .
- 16- دندش ، عصمت عبداللطيف . دور المرابطين فى نشر الإسلام فى غرب افريقيا . ( بيروت : دار الغرب الاسلامى ، 1988م ) .
- 17- دافدسن ، بازل . افريقيا تحت أضواء جديدة ، ترجمة : جمال أحمد . ( بيروت : دار الثقافة ، 1961م ) .
- 18- ديشان ، هوبير . الديانت فى افريقيا السوداء ، ترجمة : أحمد صادق ( القاهرة : دار الكتاب المصرى ، 1965م ) .
- 19- زكى ، عبدالرحمن . الاسلام والمسلمون فى غرب افريقيا . ( القاهرة : مطبعة يوسف ، د-ت )

- 20- زكى ، عبدالرحمن .تاريخ الدول الاسلامية السودانية بافريقيا الغربية .  
(القاهرة : المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ،1961م) .
- 21- زيادية، عبد القادر . الحضارة العربية والتأثير الاوربي ، دراسات ونصوص.  
( الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1989م) .
- 22- زيادية ، عبدالقادر . مملكة سنغاي في عهد الاسيفيين 1493-1592م.  
(الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،د-ت ) .
- 23- سيالم ، السيد عبدالعزيز . المغرب الكبير في العصر الاسلامي .( القاهرة :  
الدار القومية للطباعة والنشر ، 1966م) .
- 24- ستودارد ، لوثرروب . حاضر العالم الاسلامي ، ترجمة عجاج نويهض ،  
تعليق الامير شكيب أرسلان . ( بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر  
والتوزيع ، 1973م) .
- 25- شتريتر ، كارل . الرسوم الصخرية كمصدر تاريخي للصحراء الكبرى ،  
ترجمة: عماد غانم ( طرابلس : مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية ،  
سلسلة الدراسات المترجمة ، 1979م) .
- 26- الشرقاوي ، محمود . رحلة مع ابن بطوطة : من طنجة الى الصين  
والاندلس وافريقيا. ( القاهرة : 1987م ) .
- 27- شلبي ، احمد . موسوعة التريخ الاسلامي . ( القاهرة : مكتبة النهضة  
المصرية 1978م)،ج6.
- 28- الشيخلى ، صباح ابراهيم . " النشاطات التجارية عبر الطريق الصحراوى  
حتى نهاية القرن الخامس الهجرى " ، تجارة القوافل ودورها الحضارى  
حتى نهاية القرن 19م ، (بغداد : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،  
معهد البحوث والدراسات العربية ، 1984م) .

- 29- صابر، محي الدين ، العرب وافريقيا ، العلاقات الثقافية.(بيروت : المكتبة  
العصرية، 1987م).
- 30- صقر ، احمد . مدينة المغرب فى التاريخ . ( تونس : دار بوسلامة للنشر ،  
د-ت ) ، ج 1 .
- 31- طرخان ، ابراهيم على . اميرطورية اليرنو الاسلامية ، (القاهرة : الهيئة  
المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1975م) .
- 32- طرخان ، ابراهيم على . إمبراطورية غانة الاسلامية ، (القاهرة : الهيئة  
المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1970م) .
- 33- طرخان ، ابراهيم على . الاسلام واللغة العربية فى السودان الغربى  
والاوسط. ( القاهرة : الهيئة العامة للتأليف والنشر ، 1969م) .
- 34- طرخان ، ابراهيم على . دولة مالى الاسلامية ،(القاهرة: الهيئة  
المصرية العامة للكتاب ، 1973م ) .
- 35- الطيبى ، امين توفيق . دراسات وبحوث فى تاريخ المغرب والاندلس ، (ليبيا  
- تونس : الدار العربية للكتاب ، 1984م) .
- 36- عاشور ، سعيد عبدالفتاح . العصر المماليكى فى مصر والشام . (القاهرة :  
دار النهضة المصرية ، 1965م ) .
- 37- العبادى ، أحمد مختار . فى تاريخ والأندلس . (بيروت : دار النهضة العربية  
للطباعة والنشر 1983م ) .
- 38- عبدالله ، عبدالعزيز . الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية ، معلمة  
الصحراء . ( الرباط : مطبعة فضالة ، 1976م ) .
- 39- عبدالله ، عبدالعزيز . تاريخ الحضارة المغربية ، ( دار السلمى ، 1962م ) .
- 40- العربى ، اسماعيل . الصحراء الكبرى وشواطئها . (الجزائر : المؤسسة  
الوطنية للكتاب 1983م ) .

- 41- عنان ، محمد عبدالله . عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والاندلس ،  
(القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1964م ) .
- 42- عنان ، محمد عبدالله . نهاية الاندلس ، ( القاهرة : مطبعة لجنة التأليف  
والترجمة والنشر ، 1964م ) .
- 43- عمار، محمد . العرب والتحدى . (بيروت : دار الشروق ، 1991م ) .
- 44- عوض الله ، الشيخ الامين . العلاقات بين المغرب الاقص والسودان  
الغربى فى عهد السلطنتين الاسلاميتين : مالى وسنغاي . ( جدة : دار  
المجمع العلمى ، 1979م ) .
- 45- العزبى ، محمد . بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى . ( بغداد : دار  
الرشيد للنشر ، 1982م ) .
- 46- غوتيه ، أ . ف ماضى شمال افريقيا تعريب : هاشم الحسن . ( طرابلس :  
مكتب الفرغانى ) .
- 47- قاسم ، جمال زكريا "الروابط العربية الافريقية قبل حركة الكشف  
الجغرافية " العلاقات العربية الافريقية ، دراسة للآثار السلبية للاستعمار،  
(القاهرة : المنظمة العربية للثقافة والعلوم والفنون ، 1977م ) .
- 48- قاسم ، جمال زكريا . الأصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ،  
(القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، 1975م ) .
- 49- قداح ، نعيم . افريقيا الغربية فى ظل الاسلام ، ط2 . (الجزائر : الشركة  
الوطنية للنشر والتوزيع . 1974م ) .
- 50- الكتانى ، يوسف . مدرسة الامام البخارى فى المغرب ، ج2 . ( بيروت :  
دار لسان العرب ، د-ت ) .
- 51- مارتى ، بول . البرابيش (بنوحسان ) ، تعريب محمد محمود ولد ودادى .  
(دمشق : مطبعة زيد بن ثابت ، 1985م ) .

- 52- مارتى ، بول . كنته الشرقيون ، ترجمة وتعليق : محمد محمود ودادى .  
(دمشق : مطبعة زيد بن ثابت ، 1985م ) .
- 53- محمد ، محمد عوض . الشعوب والسلالات الافريقية . (القاهرة : الدار المصرية للتأليف والنشر ، 1965م ) .
- 54- محمود ، حسن أحمد . الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ، ط3 . (القاهرة : دار الفكر العربى ، 1986م ) .
- 55- محمود، حسن أحمد. قيام دولة المرابطين: (القاهرة: دار الفكر العربى، 1956).
- 56- مقلد ، محمد يوسف . شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون . (الدار البيضاء : مكتبة الوحدة العربية ، 1962م ) .
- 57- مؤنس ، حسين . ابن بطوطه ورحلاته . ( القاهرة: دار المعارف ، د-ت ) .
- 58- النحوى ، الخليل . شنقيط المنارة والرباط . ( تونس : المنظمة العربية للعلوم والثقافة ، 1987م ) .
- 59- يونس ، ابراهيم صالح . تاريخ الاسلام وحياة العرب فى امبراطورية كانم - بورنو، (جامعة الخرطوم، كلية الآداب، شعبة أبحاث السودان ، 1970م).



## ثالثا : الرسائل الجامعية

- 1- التكيثك ، جميلة امحمد . مملكة سنغاي الاسلاميه فسي عهد الاسكيا محمد الكبير 1493-1528م رسالة ماجستير غير منشورة ، (طرابلس : جامعة الفاتح ، كلية العلوم الإجتماعية التطبيقية ، 1991م) .
- 2- السراج ، زين العابدين عبد الحميد . دولة كانم الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ( جامعة القاهرة ، كلية الاداب ، 1975م ) .
- 3- النقر، عمر عبد الرزاق. الحج في غرب افريقيا، دراسة تاريخية باشارة خاصة للقرن التاسع عشر الميلادى ، ترجمة : صفيه صالح عيسى . جامعة الخرطوم ، كلية الآداب وحدة الترجمة والتعريب مرقونه على الآله الكاتبه .
- 4- حسين ، أحمد الياس . الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن السادس عشر الميلادى كما عرضها الجغرافيون العرب ، رسالة لنيل درجة الماجستير فى التاريخ الإسلامى ، غير منشورة (جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، 1977م ) .
- 5- عابدين ، أحمد فتوح . الخواضر الإسلامية فى غرب افريقيا فى القرنين السادس والسابع عشر ، تاريخها السياسى والحضارى والاقتصادى ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة فى التاريخ الحديث من معهد البحوث والدراسات الافريقية . ( جامعة القاهرة ، 1989م ) .
- 6- عبد القادر ، صالح السباني . مملكة كانم - بورنو وعلاقتها بأقطار الشمال الافريقى من القرن الثالث الى العاشر الهجرى (القرن التاسع الى السادس عشر الميلادى ) ، رسالة ماجستير غير منشورة . ( الرباط :جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، 1988-1989م.

- 7- نورالدين ، عبدالقادر صالح . "علاقات فزان بكاتم بين 3-7 هـ/9-13م " ، رسالة ماجستير غير منشورة (طرابلس : جامعة الفاتح ، كلية التربية ، قسم التاريخ ، 1986م ) .
- 8- هاشم ، زينب أحمد على . علاقة مصر بالدول الإسلامية في حوض نهر النيجر . رسالة ماجستير غير منشورة (القاهرة : جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ) .

## رابعاً : الدوريات

- 1- العبادى ، أحمد مختار . "الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين " ، : مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، مج 21 : (1967م) .
- 2- الزهواء ، اخوان . "الوجود الاجنبى البرتغالى وبعض عواقبه فى القرن 16م" ، مجلة المؤرخ العربى ، بغداد : 31(1987م) .
- 3- الفيتورى ، أحمد سعيد . "الجاليات العربية المبكرة فى بلاد السودان ، دراسة أولية وبعض الملاحظات" ، مجلة البحوث التاريخية ، طرابلس : مركز جهاد الليبيى للدراسات التاريخية ، 2:3 ( 1981م ) .
- 4- بليغ ، أحمد فؤاد . "عبدالرحمن السعدى ، عصره وكتابه " ، المجلة التاريخية المصرية ، القاهرة 20(1973م) .
- 5- بوعزيز ، يحيى . المراحل والأدوار التاريخية لدولة بنى عبدالوادر والزياتية . مجلة الأصالة ، الجزائر : 26:4 (1395هـ 1975م) .
- 6- زيادية ، عبدالقادر . "التلمسانى محمد بن عبدالكريم المغيلى ، بعض آثاره وأعماله فى الجنوب الجزائرى وبلاد السودان " ، مجلة الأصالة ، الجزائر : 26:4 (1975م) .
- 7- عبدالله ، ددود . " دور الشناقطة فى نشر الثقافة العربية الإسلامية بغرب افريقيا حتى نهاية القرن 18 للميلاد " ، نواكشوط : حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1(1989م) .
- 8- فرسخ ، عونى . الأقليات فى الوطن العربى : تراكمات الماضى وتحديات الحاضر واحتمالات المستقبل ، المستقبل العربى ، 1:1989م .
- 9- فضل الله ، قمر الدين محمد . "لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الإسلامية ، 1468-1591م " ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس : 4 (1987م) .

- 10- كاني ، أ.م. " مظاهر الاتصالات الفكرية بين شمال افريقيا ووسط السودان بين سنة 700م و1700م " مجلة البحوث التاريخية ، 1(1981م) .
- 11- مزين ، محمد . "المغرب وبلاد السودان خلال القرنين 16-17 الميلاديين " ، المؤرخ العربي ، بغداد : 31 (1987م) .
- 12- مصطفى ، صلاح الدين عبدالهادي . "اسهام المرابطين في نشر الاسلام في الشمال الافريقي والسودان الغربي" ، المؤرخ العربي ، بغداد : 12: 31 (1987م).

## خامسا : المراجع الأجنبية

- 1- Barth ,H.: Travels and discoveries in North and Central Africa , Vol I V , (London , 1858).
- 2- Blyden , W : Christianity , Islam and The Negro Race .(London , 1881).
- 3- Cuoq : J.Histoire de l' Islamsation de l'Afrique des L'ouest, Paris,1984).
- 4- Dubois , F : Tombouctou , l'mysterieuse,( Paris , 1890).
- 5- Fage ,J.D: Introduction to the History of West Africa,(Cambridge, 1959.)
- 6- Herskovits , M:" Apreliminary Consideration of Culture Areas of Africa", American Antropologists, 26, 1926.
- 7- Hunwick, J: " Ahmed Baba and Moroccan invasion of the Sudan (1591) "Journal of the Historical Society of Nigeria, (J H S N ) 1962,II No 3.
  - Hunwick ,J.O. "Religion and State in Songhay Empire 1464-1591 ", in Islam in Tropical Africa, edited by I.M Lewis , (Oxford University Press , 1966).
- 9- Mauny ,R. Tableau Geogrpique de l'ouest Africa au Moyen ages , (Dakar,1961).
- 10- Oliver , R: The Cambridge history of Africa , Vol,3.
- 11- Sauvaget , J. "les Epitaphes Royales de Gao" Bult Efan . XII , 1950.
- 12- Trimingham , J.S. A history of Islam in West Africa , (London , 1970).
  - Trimingham , J.S. : " The Phases of Islamic Expansion and Islamic Culture Zones in Africa", Islam in Tropical Africa , ed, I .M , Lewis , (Oxford University Press , 1966).



الملحق رقم (1) نموذج من مخطوطة: مسالك الابصار من عمالك  
الامصار لابن فضل الله العمري، الجزء الرابع.

وهي على الخيط وجسميها مسكونة الاما فاك وان في طاقته سلطان  
هذه الممالك بل ومنزلة النبى على الاله النبى كل سنة وهو  
كان يخرج لوليا، احد هو ولكن ملوك هذه المملكة قد جربوا انه ما فتح  
سفر احد مدنيه من نذر الانقب وفسا بها الاسلام ونطق بها حامي  
الاذا ان الفاك وجود الانقب توتلا حتى حتى بعد م يزاد فيها  
بيد من بلاد الكمار وانما فتح هذا عند م على التجريب يقول بلاد  
النبى يا نبى هذا الكمار ورضوا اسهر من ذلك الممالك وتقول نزلت  
عليهم وليد في مملكة صا حسب هذه المملكة من يطلق عليه اسم ملك  
الا صاحب غانه وهو كاشيب له وان كان ملوكا في مثال بلاد  
ما في قبايل البربر بعين تحت حكم سلطان فها هو يفتح ويتولى  
وتدونه ولتونه ولقد استباح حاكم عندهم الا يتقصر فافسر  
يندار لهن ملوك سهر تحت حاكمها حب ثا في كرك في طاعته  
نور من الكمار وسهر من كل طوم في ادم وسهر من سلم وسهر من هو  
باق على هذا وقد ذكر هذا في موصيه وتدنيه بيتي عنده طوكا في  
كرك طول بربر تغريتا وهر منها كرك لا يحيط بها سودا كرها تنقير  
وللك عدة قصور نيتد بر بها شوا يحيط بها وفتح من اصيل يستد  
لهم المدنيه من جهة قبا الاربع وفي بعضها بجا موصي في عهده عند الله  
وفي بعضها لا يبر الاما كرك قبا، هذه المدنيه بايا في من الطين مثل  
جدران لسان من حشوق هوانه بيتي تغد بر نصف د ربح بالطين مهر  
ترك حتى يحف يمين عليه سله نترك حتى يحف شريفي عليه سله  
هكذا حتى ينشأ في سقوفها بالاضراب والقصب وعاب سقوفها  
قباب او علوانا كالا قبا، ارضها تراب مرمل وحراب اعلا منيا،  
البلدان بارح سقوفه فتح من البلاد مسخرة مجبله وجبالها ذات  
اسم هذه المملكة في جنوب نفة اقرب سقوفه بالبحر المحيطان عن  
للك بها مدنيه بيتي وهذه المملكة شريفة لقر قسفة المبيسة  
تدلية انواع الاقوابت واهل طوان في غايه للسواد وتغلغل للشمس  
وغالب طول اهلها بر سو قصور منها كل البرافير وسلطان اسمها نيلان  
اخوان سلطان في سبي يده ما كان في رجمه اخو ما فخته من بلاد  
السودان وراضا الى بلاد اسلام وتي به المساجد والجرارم والمواذن  
وانا مر به بلهم والجماعة والاذا رجب الى بلاد القها، من مذهب  
الاما وما لنت رضي الله عنه وبنى بها سلطان المسلمين وتغنى بالبروصا حسب  
هذه المملكة هو المرونة عن اهل مصر وملك الشكر ورة لفتح هذا الفت  
منه لان المذكر وانما هو اقليم من انا لبر مملكة والمجب ايتة ان يابل  
صاحب ما لان الا لبر الا خبره هو به اسهر وهذا الملك هو اعظم  
ملوك السوادان المسلمين واسمهم بلاكا او اكر هو عس كركا  
واسمهم بلاكا واسمهم بلاكا واسمهم بلاكا واسمهم بلاكا  
واندر هر بجا انا صفة النفا والذري تشتمل عليه هذه المملكة من الانا ليم  
غانة وزانون ورتكا وتكر ورسفان، وبانقوا ورنظامنا  
وبيتنا ودمورا وزانا وكابرا وبرافورك وكوكو  
وسكان كوكو قبايل بران وانتم ما الى الاى به ناعده الملك من  
بيتى واهل الانا لبر حضانه الاله والامر المطلق عليه في هذه الانا ليم  
كل ما يان عدة انا لبر هذه المملكة وذات المذرع المروى الى اعمال اربعة  
عشر انا ليم حش رثن السبع الثمة المنت ابو عا ن سحر الركا ل  
وهو مكن مدنيه بيتي حش ودين سنة واضرب في هذه المملكة  
انما في مدنيه طولها اربعة اشكر واز يد عرضها سكر الى سكر جنوب  
راشر دواخل البرادره جنوبا بغرب الى الخيط وطولها من مولى الى طول روا





الملحق رقم (3) نموذج من مخطوطة معراج الصعود إلى نيل مجلب  
السود لأحمد بابا التميكتي. المعهد الموريتاني للبحث العلمي

نواكشوط - موريتانيا.

موضوع نصيب نفوس الغنايين خيرين تضمهم قبم عيلانا وهما هورين

مترجمة الشئ على ما جهور  
وهو كنه على ما يشهد من  
التي هي من رتبة في  
مردود من رتبة في  
بعضية لهم هور. فـ

الز	الز	الز	الز
الز	الز	الز	الز
الز	الز	الز	الز
الز	الز	الز	الز

ولا نسبنا المهور التي في رتبها بهر جه لم نفل الملبس في الزالة  
نفل من عربا المهور في رتبها بهر جه لم نفل الملبس في الزالة  
بعضية لهم هور. فـ

لهم انهم المهور في رتبها بهر جه لم نفل الملبس في الزالة

بعضية لهم هور. فـ

بعضية لهم هور. فـ

بعضية لهم هور. فـ

سيرة بربر في الزالة انوات حاتم الاله نفل

الاسود اء من له و الاله انتم في الزالة حضور الاله قسم المهور في رتبها بهر جه لم نفل الملبس في الزالة

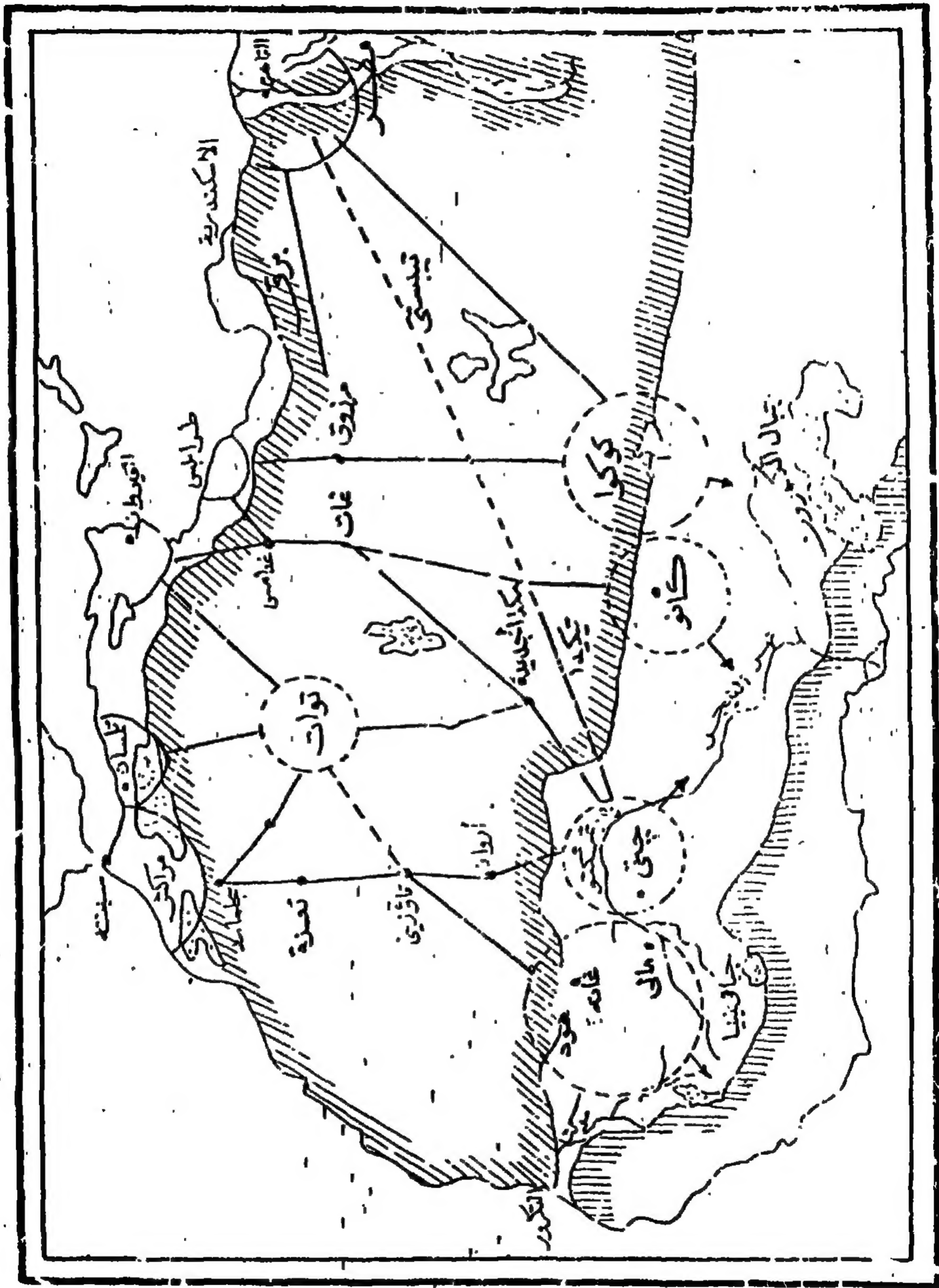
الاسود اء من له و الاله انتم في الزالة حضور الاله قسم المهور في رتبها بهر جه لم نفل الملبس في الزالة

الاسود اء من له و الاله انتم في الزالة حضور الاله قسم المهور في رتبها بهر جه لم نفل الملبس في الزالة

الاسود اء من له و الاله انتم في الزالة حضور الاله قسم المهور في رتبها بهر جه لم نفل الملبس في الزالة

الاسود اء من له و الاله انتم في الزالة حضور الاله قسم المهور في رتبها بهر جه لم نفل الملبس في الزالة

الملحق رقم (4) أهم الطرق التي ربطت شمال أفريقيا بغربها.  
المرجع: حسن إبراهيم حسن، انتشار الاسلام في افريقيا، ص 23











تؤكد المصادر التاريخية أن التواصل والتمازج والتلاقح بين المناطق المعروفة حالياً بالوطن العربي ، وبين افريقيا ماوراء الصحراء ، قد أبتدأت منذ عصور زمنية مبكرة جداً . حيث أنطلقت الهجرات العربية من شبه الجزيرة العربية ، مهد العروبة ، متجهة غرباً عن طريق باب المندب وبرزخ السويس الى مصر وعموم منطقة الشمال الافريقي . فإنه من المنطقي أن تنساح هذه القبائل المهاجرة ، والتي سكنت الشمال الأفريقي الى مناطق ماوراء الصحراء المصابقة لها من الناحية الجنوبية ، وذلك تحت ضغط الظروف المختلفة .

وقد عبرت هذه الهجرات المتعاقبة الصحراء الكبرى التي لم تكن في يوم من الأيام عائقاً للتواصل الحضاري بين المنطقتين ، بل كانت منافذها ومسالكها وطرقها ومفازاتها جسراً للقوافل التجارية التي ظلت تجوب جانبيها منذ قرون عديدة .

وقد عبرت صحبة هذه الهجرات المؤثرات العربية الاسلامية شارحة : السياسية ، الاقتصادية ، الثقافية والاجتماعية .

وبذا صارت هذه المنطقة امتداد ثقافي وحضاري وديني وعرقي للامة العربية الاسلامية وهذا ما يدرجه هذا الكتاب .

توزيع

دارالرواد

ذات العماد برج 4 - هاتف + فاكس : 75593  
ص.ب.: 91969 - طرابلس - الجماهيرية